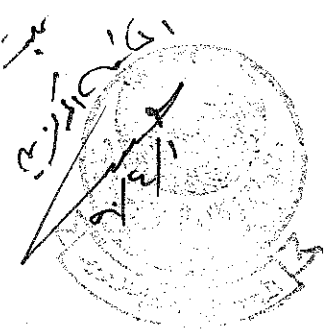


جامعة عين شمس
كلية الآداب - قسم اللغة العربية

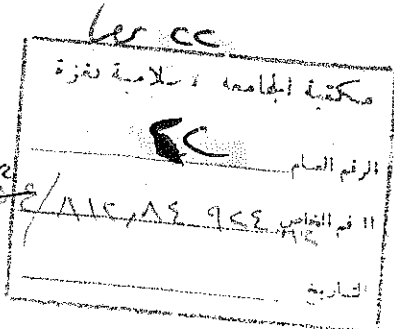


صورة اليد في المسرح العربي

في هـ
رسالة دكتوراه

اعداد: فوزى إبراهيم عبد الرادى الحاج

أشرف: د. د. صلاح فضل
د. أحمد عبد الباقى



١٤٠١ هـ - ١٩٨٨ م

المقدمة

شكل اليهود جزءاً من المجتمع العربي الإسلامي على مر العصور وقد كانوا يمثلون أقلية دينية كهل لها الدين الإسلامي كافة الحقوق. وقد ظلت علاقة هذه الأقلية بالمجتمع العربي الإسلامي علاقة طبيعية إلا في فترات محدودة ، لهذا لم تتميز هذه الأقلية عن المجتمع ولم تنفصل عنه إلا في أواسط القرن العشرين ، حيث طرأت ظروف سياسية واجتماعية كسيرة أدت إلى انفصال هذه الأقلية عن باقي المجتمع ، وتمثلت ذروة هذه الظروف في الحركة الصهيونية ثم في قيام دولة إسرائيل فيما بعد ، وتحول كثير من يهود البلاد العربية إلى إسرائيل التي أصبحت كياناً معادياً للعرب .

كان هذا التاريخ إذن فيصلاً في تحول نظرة العرب إلى اليهود وذلك بعكس المجتمعات الأوروبية التي نظرت إلى اليهودي - منذ البداية - على أنه الشرير العدواني المرابى الوغد الذي لا ضمير له .

وقد لاحظ الباحث كثرة الدراسة في اللغات الأجنبية - الانجليزية خاصة - لصور الشعوب والجماعات - بعامة - في آدابها ، وصورة اليهود بشكل خاص ، كما لاحظ الباحث خلو اللغة العربية - في حدود علمي - من مثل هذه الدراسة ، على الرغم من أن اليهود شكلوا همياً يومياً للإنسان العربي طيلة النصف الأول من هذا القرن وشكلوا له خطراً يومياً مصيراً طيلة النصف الثاني من هذا القرن ، لهذا كان هدف هذه الدراسة البحث عن صورة اليهودي في قطاع محدود من قطاعات الأدب العربي ، ذلك أن الأدب - كما يقول غنيمي هلال - سجل مشاعر الأمة وآرائها ، ومن هذه الآراء ما يتعلق بصلات هذه الأمة بغيرها ، وبالصور التي تكونها لنفسها عما سواها من الأمم بناءً على هذه الصلات .

ومن الواضح أن العوامل النفسية والاجتماعية - يضيف غنيمي هلال - تتضافر لخلق العناصر الهامة والأفكار العامة التي تلعب دورها في تكوين عقيدة شعب في شعب آخر ، فتصيفها بصفتها ثم تساعد على

رؤاها لدى ذلك الشعب • وقد تتغير تبعاً لتلك العوامل والصـور الأدبية للشعوب الى ما هو خير من الصور السابقة أو الى ما هو شرئها (١)

يمكن أن نضيف الى العوامل السابقة العامل السياسى والعامل الدينى بكثير من الاطمئنان وربما كان العامل السياسى الأيديولوجى أوضح تأثيراً فى رسم صورة شعب ما فى أدب شعب آخر • كذلك يمكن أن نضيف الى مقولة غيمى هلال السابقة أن هذه الصورة الأدبية التى يكونها شعب ما لشعب آخر ، قد تتغير تبعاً لتلك العوامل الى ما هو أدق وأقرب الى الواقع من سابقتها •

أما الفترة الزمنية التى شملتها الدراسة ، فقد حتمت طبيعة المادة المدروسة أن تبدأ من عام ١٩٤٥ حيث كتب على أحمد باكثير أول مسرحية تحتوى على شخصيات يهودية وكانت بعنوان (شيلوك الجديد) ، وتنتهى فى سنة ١٩٨٣ حيث نشرت آخر مسرحية تقوم على الشخصيات اليهودية وكانت بعنوان (اليهودى النائر) •

أما عن المنهج ، فقد لاحظ الباحث من خلال الدراسات السابقة التى بحثت صور اليهود فى الأدب الانجليزى والامريكى ، والتى وقعت بين يديه ومنها :

— الشخصية الصهيونية فى الرواية الانجليزية ، د • هانى الراهب

- The Jew in American Literature.
- The Jew in early English literature.
- The Jew in the literature of England to the end of the Nineteenth Century.
- Jewish prototypes in English Fiction (From Shylock to Svengali)

(١) انظر الأدب المقارن ط ٣ ص ٤٠١ - ٤٠٤ ، دار نهضة مصر القاهرة بدون تاريخ •

- The Jew in English Drama.

لاحظ أن هذه الدراسات تقوم على الدراسة الموضوعية لصور اليهود في الأدب بعيدا عن الاعتبارات الفنية للجنس الأدبي ، لذا حاولت هذه الدراسة الموازنة بين الجانب الموضوعي والجانب الفني ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الجانب الموضوعي هو الجانب الرئيسى ، وأن الجانب الفني وجد لخدمة الأول منهما .

واستعانت الدراسة في ذلك بأكثر من منهج بحثي ، فقد سيطر المنهج النقدي التحليلي المقارن على جميع خطوات البحث ، بينما اتبعت الدراسة النسق التاريخي في دراسة المسرحيات في كل فصل على حده .

كما تم تقسيم فصول الدراسة على أساس فني ، وجاء هذا التقسيم على النحو التالي :

تصهيد تاريخي يبحث في وضع اليهود الاقتصادي والاجتماعي والصهيوني في مصر ، حتى قيام إسرائيل ، وموقف الحكومات والأحزاب المختلفة منهم .

الفصل الأول بعنوان (المقدمة المنطقية) وتعنى الفكرة الأساسية التي تقوم عليها المسرحية ، والتي توظف من أجلها عناصر المسرحية وقد قام الفصل برصد الأفكار الأساسية للمسرحيات المدروسة ، ومضى نجاح الكتاب في إثبات هذه المقدمات .

الفصل الثاني (الشخصية النمطية) ويعرض هذا الفصل للتصوير النمطي (النوعي) للشخصية اليهودية ، أي بحسب ما هو شائع عنها دون تطوير أو تحرير في هذه الشخصية .

الفصل الثالث بعنوان " الشخصية المتطورة " ويعرض للشخصيات التي لم تقع في اطار النمطية ، وأحدث فيها الكاتب الكثير من التطور والنمو ، فجاءت شخصيات مسرحية حية .

الفصل الرابع بعنوان الصراع : " صراع عيسى - إسرائيل " ويعرض هذا الفصل للصراع المسرحي الذي يكون طرفاه الحرب وإسرائيل ، ومدى فنية هذا الصراع وفاعليته ومدى موضوعيته .

الفصل الخامس بعنوان الصراع : " صراع يهودى - يهودى " ويعرض للصراع المسرحي الذي يكون طرفاه اليهود أنفسهم ، كما يعرض للأبعاد الاثنية والمسبولوجية لهذا الصراع ، وما يعلقه الكاتب من آمال على هذا الصراع الداخلى .

وقد تم تناول المسرحيات في هذه الفصول تناولا تاريخيا بحسب كتابتها ، وذلك لمعرفة مدى التطور في الفكرة والجوانب الفنية المختلفة منذ أواسط الأربعينات حتى أواسط الثمانينات ، وتطور النظرة لليهود خلال هذه الفترة .

الخاتمة ، وتعرض لأهم النتائج التي خرجت بها الدراسة من الناحيتين الموضوعية والفنية ، وأهم الثيمات التي تكررت عند كثير من الكتاب .

ومعجم بالمصطلحات والألفاظ اليهودية والصهيونية التي وردت في الدراسة وذلك كشفاً لغموض ومحدودية هذه الألفاظ . ولم أشير الى هذه الكلمات في الحواشي ذلك أنها تتكرر بصورة يصعب معها الإشارة اليها في كل مرة .

وينبغي الإشارة - بداية - الى أن هذا البحث ينطلق من —
إيمان عميق بأن الأدب بخاصة ، والفن بعامة ، ينبغي أن يكون هادفا
وملتزما بخدمة الإنسان ، وأن الهزلة التي تحدثها النشوة الفنية لم
تعد المعيار الوحيد لجودة العمل الفني . ولكن هذا لا ينفى أن الشكل
الجمالى للعمل الأدبى هو الطريق المؤدى الى المضمون الذى يريده
الكاتب أو المبدع ، وأنه كلما تمكن هذا المبدع من أدواته الفنية
الجمالية كان أقدر على توصيل هدفه ، وهذا يعنى أن الهدف السامى
لا يلقى وحده لى يكون العمل الأدبى جيدا .

وقد استعانت الدراسة بكثير من الكتابات التاريخية والسياسية
والاجتماعية المعاصرة وذلك بقصد جلاء الأعمال الأدبية وبحث مدى قوتها
أو بعدها عن الحقيقة الموضوعية التى ينشدها الكتاب ، كما أننا لم
حاولنا فهم الإبداع الثقافى منعزلا عن الحياة الاجتماعية العامة التى
ينشأ فيها لكان ذلك فى عقمه وعدم جدواه شبيها بنزع كلمة من جملة
أو جملة من مقال ، لا لضرورة دراسية مؤقتة ، وإنما جذريا وصفية
دائمة .^(١)

وقد بذل الباحث جهدا شاقا لمغالبة هوى النفس واندفاعها
وتغليب الناحية العلمية على الناحية العاطفية ، ولم تكن هذه هى
الصعوبة الوحيدة التى واجهت الباحث ، وإنما كانت هناك صعوبات
كبيرة ، لعل أهمها أن هذا البحث يرتاد أرضا بكرًا ، ويترك موضوعا غير
مستوفى فى اللغة العربية — فيما أعلم — ومن هنا كان لابد للبحث
من السير مرة والتعثر مرات .

وصاحب ذلك قلة من المراجع المساعدة من الناحية الفنية ، مما
أدى الى غلبة المراجع ذات الصبغة السياسية والسيكولوجية والميكولوجية .

(١) د . صلاح فضل ، منهج الواقعية فى الإبداع الأدبى ص ٢٢٧ ، ط ٢
دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٠ .

ولابد — فى النهاية — من الاعتراف بالفضل فى إتمام هذا البحث على هذا الوجه للأستاذ الدكتور صلاح فضل ، الذى وافق على الإشراف عليه ، وقام بإثرائه بتوجيهاته ، وملاحظاته القيمة ، ولعل أبرز هذه التوجيهات تمثل فى توجيه الباحث الى الموازنة بين الناحيتين الموضوعية والفنية ، بعد أن كان تصور الباحث الأولى قاصرا على الناحية الموضوعية .

كما أقدم الشكر والعرفان للدكتور سمير بيبرس الذى قام (بغريلة) هذا البحث قبل أن (ينخله) الآخرون ، فخلصه من كثير مما به من الشوائب .

ولو كانت قدرتى على الكتابة ، تساوى رغبتى فى الإجابة ، لاختلفت حال هذا البحث اختلافا بينا .

هذا ، وبالله التوفيق .

تمهید تاریخی

غالبا ما يصور الكتاب الاسرائيليين - بعد عام ١٩٤٨ - وضع اليهود المصريين على انه وضع سيى* ، وانهم عانوا من اضطهاد المصريين لهم ، ويصفون خروجهم من مصر بأنه " الخروج الثانى " مشيرين بذلك الى الخروج الاول فى عهد موسى .

ويحاول هذا التمهيد - بما تفرضه عليه طبيعة الدراسة من إيجاز - أن يعطى صورة متكاملة لوضع اليهود فى مصر من النواحي التالية :

- (١) الناحية التاريخية .
- (٢) الوضع الاجتماعى والاقتصادى لليهود مصر .
- (٣) الوجه الصهيونى لليهود المصريين .
- (٤) موقف الدولة والأحزاب والمثقفين من يهود مصر .

وذلك بهدف التعرف على الخلفية الاجتماعية والسياسية والتاريخية التى حتمت تشكيل صورة اليهودى فى أذهان كتاب المسرحيات المصريين . كما يحاول هذا التمهيد - ولو بصورة عرضية - اختبار صحة المقولة الصهيونية من أن يهود مصر قد عانوا فيها من الاضطهاد وكانت الصهيونية طوق النجاة لهم .

أولا : علاقة اليهود بمصر تاريخيا

يرجع كثير من الباحثين أن قدوم يعقوب* وأولاده الى مصر كان عام ١٦٥٠ ق.م وأنهم مكثوا فيها حتى عام ١٢١٣ ق.م^(١) . وهذه الفترة الموزلة فى القدم ، تحمل - رغم ضبايتها - علامات ومضامين بارزة فى التاريخ اليهودى ، فلقد دخل اليهود مصر وهم مجرد عائلة وخرجوا منها وهم شعب غير صغير ، وكان الفرعون يخشى تحالفهم مع الأعداء لهذا مانع فى خروجهم من مصر .

فى هذه الفترة أيضا أخذ الدين اليهودى صورته الرسمية النهائية على يد موسى ، أما اجتهاد الحاخامات - والذي استمر مدة طويلة بعد ذلك -

(١) انظر د. أحمد شلبى . اليهودية ط ٧ ص ٦٤ . مكتبة النهضة المصرية .

فقد تضمنه التلمود • وعلى عكس الكتب التاريخية ، يكرر الكتاب المقدس فى الحديث عن تلك الفترة ^(١) . وبمعنا من هذه الأخبار التوراتية بعض الملامح التى سيكون لها أكبر الأثر فى تكوين الفكر اليهودى فيما بعد ، ومن ذلك أن اليهود عندما دخلوا مصر اختاروا العزلة ووضعوا أنفسهم فى أول "جيتو" فى التاريخ وكان هذا بطلب من يعقوب الى فرعون مصر ^(٢) . وكان هذا الجيتو فى منطقة الفيوم • أما الحادثة الثانية التى يروها الكتاب المقدس فهى حادثة سرقة ذهب المصريين ^(٣) هذا الذهب الذى صنعوا منه عجلا يعبدونه فى سيناء • ويجعل الكتاب المقدس هذا السلب وهذ السرقة بتكليف — بل ونعمة — من الرب ، هذا الرب الذى كلفوه من أمره شططا بما نسبوا اليه من أعمال !

وكانت العودة الى أرض مصر عام ٥٨٢ ق.م وكان النبى جريشا على رأس العائدين هذه المرة • كذلك هاجر كثير من اليهود الى مصر بعد فتح الاسكندر لفلسطين عام ٣٢٢ ق.م • وقد شهدوا فترة من الهدوء النسبى ^(٤) حتى عام ٦٦ ق.م عند سقوط القدس على يد (تيتوس) الذى أرسل اليهود أسرى بالآلاف الى مصر للأعمال الشاقة ^(٥) ، وعلى ضوء هذه الحادثة يمكننا أن نفهم قول المؤرخين بأن القرن الأول الميلادى شهد وجود مليون يهودى فى مصر فى وقت كان كل سكان مصر يبلغون فيه نحو سبعة ملايين ونصف مليون نفس ^(٦) . ورغم ما فى هذا الرقم من مبالغة ، ورغم الشكوك التى يثيرها بعض الباحثين ^(٧) فى حقيقة هذا الرقم ، إلا أنه

(١) انظر التكوين — الخروج — العهد القديم •

(٢) انظر التكوين • اصحاح ٤٦-٤٧ •

(٣) انظر خروج اصحاح ٣ آية ٢١-٢٢ •

(٤) فقد حصلوا على مكانة مرموقة فى دولة البطالمة الذين استعانوا بهم كثيرا

لخشية البطالمة من الاستعانة بأهل البلاد من المصريين •

(٥) يهود البلاد العربية ص ١٥٩ د • على ابراهيم عبده وخيرية تاسمية • مركز

الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٧١ •

(٦) انظر تاريخ مصر فى عصر البطالمة ص ٢٧١ د • ابراهيم نصحي مكتبة

النهضة المصرية ١٩٤٦ القاهرة •

(٧) انظر اليهود والماسون فى مصر ص ٣١ د • على شلى الزهراء للأعلام

العربى القاهرة ١٩٨٦ •

يدلنا بوضوح على لجوء اليهود - بأعداد كبيرة - الى مصر كلما تعرضوا للاضطهاد .

وهكذا ظل وضع اليهود في مصر في قلب بحسب حكام البلاد حتى مجيء الإسلام ، وقد بات من المعروف أن اليهود قد وقفوا مؤقتاً معادياً من الإسلام ، وحاربوا النبي وتحالفوا مع أعدائه ، وحاربوا - كثيراً - الطمن في الإسلام والمسلمين بعد أن فشلوا في إخماد الدعوة الإسلامية في مهندها ، وأدخلوا على الحديث النبوي آلاف من الأحاديث الموضوعة والمعروفة باسم (الإسرائيليات) ، كما عملوا على إيجاد الفرق الغريبة في الإسلام بدءاً بالسبئية التي تؤمن بطول الذات الإلهية في علي بن أبي طالب ووصولاً الى فرقة الدويزة - في القرن السابع عشر - التي عملت على منج التعاليم والناسك الإسلامية باليهودية .

وعلى الرغم من ارتباط ذكر اليهود في القرآن الكريم بصفات منها : اللعنة ، قتل النبيين بغير حق ، تحريف الكلم ، الكفر^(١) ، إلا أن القرآن الكريم قد أمر المسلمين بأن يعاملوا أهل الذمة بالحسنى والعدل ، ونفى ذلك يقول أحد المستشرقين وقد تخطى مؤقتاً عن تعاطفه مع الصهيونية : " من المؤكد أن الفتح الإسلامي كان يعنى - بالنسبة لليهود - تحسناً كبيراً في موقفهم من عدة نواح : فهم لم يعودوا طائفة منبوذة تضطهدونها الكنيسة الحاكمة ، وأصبحوا جزءاً من طبقة كبيرة من الرعايا الذين لهم ^(٢) وضع خاص لأن القانون العام الإسلامي لم يفرق بين اليهود والمسيحيين .

ومضيف في موضع آخر : " إن رسالة محمد للعرب قد وصفت في وثيقة يهودية واسعة الانتشار ترجع الى أواخر العصر الأموي بأنها من أعمال رحمة الله ، وهو ما يرقى الى الاعتراف بها كديانة حقة " (٣) .

(١) الأعراف ١٣٨ - ١٤٠ ، البقرة ٥٤ ، ٦١ ، البائدة ٤١ - ٤٢ ،
٧٧ - ٧٩ ، النساء ٤٦ - ٤٧ ، ٥١ - ٥٤ ، الحشر ١ - ٤ ، طه
٨٢ - ٨٩ .

(٢) Goitein, Jews and Arabs, Their Contacts through ages, P.51.

Ibid., P. 52.

وكان من نتيجة هذا الوضع الجيد لليهود في ظل النفوذ العربي المسلم ، " أن اتخذ الفكر والفلسفة اليهوديان وحتى القانون اليهودي والعرف الديني شكله بطريقة منظمة ونهائية ، وحتى اللغة العبرية قد طورت من قواعدها ومعجم مفرداتها على نمط اللغة العربية " (١) .

ولكن هذه الحيدة التي يهددها هذا المستشرق لاتدوم طويلا ، إذ سرعان مايتهم الحكومة الإسلامية بأنها كانت كثيرا ماترغم موظفيها - من أهل الذمة - على اعتناق الاسلام ، ويستشهد على ذلك يعقوب بن كليس الذي - بحسب زعمه - " كان مسئولا عن تأسيس الأزهر ، وهو أقدم جامعة دينية إسلامية مازالت تعمل " (٢) .

ومن العجيب ألا يتنبه الكاتب الى هذا التناقض البين الذي ورد في الفقرة السابقة ، إذ كيف يقوم شخص اعتنق الاسلام عنوة بتأسيس أكبر جامعة إسلامية في العالم الاسلامي ؟ هذا ، في الوقت الذي تشير فيه المراجع العربية الى أن يعقوب بن كليس " اعتنق الإسلام قبل قيام الدولة الفاطمية - التي تبوأ فيها منصب الوزارة - وبالتحديد في فترة حكم كافور الاخشيدى ، وكان ذلك طمعا في منصب كبير " (٣) ، وهذا ماتحقق له ولكن بعد تغيير النظام الحاكم كله ، ولكن ابن كليس عاد ثانية الى يهوديته بعد أن تحقق له ما أراد .

ومن خلال المناصب الهامة التي تولاها اليهود في مصر أحرزوا من النفوذ والسطوة ما مكسبهم من العمل لصالح إخوانهم في العقيدة ، كما أن بعضهم استغل نفوذه في الإساءة الى المصريين المسلمين مما جعل هؤلاء يرضجون بالشكوى بين الحين والحين ، كتبت امرأة الى العزيز تقول : " بالذى أعز اليهود بـ " منشا " والنصارى بابن نسطورس وأذل المسلمين

Goitein, P. 8 Jews and Arabs

Ibid. P. 55.

(١)

(٢)

(٣) اليهود في مصر منذ الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ص ١٠ قاسم عبده قاسم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠ .

بك الا قضت امرى " مشيرة بذلك الى نفوذ منشا اليهودى وابن نسطورس
المسيحى اللذين توليا مقاليد الأمور بعد موت الوزير يعقوب بن كليس .

" وكانت أم المستصرامة سوداء عند تاجر يهودى هو أبو سعيد بن
سهل التستري الذى تولى بفضل مساعيها ديوان الخليفة ، فميز اليهود
وانحاز اليهم حتى انتهت الأمر بقتله سنة ٤٣٩ هـ (١) .

ولم يكن مقتل التستري سوى جزء من ظاهرة الاستياء التى عمت الناس
نتيجة ازدياد نفوذ اليهود وتحكمهم ، حتى شاعت هذه الأبيات الشعرية
التي تدعو أهل مصر - فى سخرية مرة - الى اعتناق اليهودية اذا أرادوا
استرداد مكانتهم :

يهود هذا الزمان قد بلغوا . غاية آمالهم وما ملكتهم
العز فيهم والملك عندهم . ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر انى نصحت لكم . تهودوا قد تهود الفلك (٢)

ويروى أحد كتاب ذلك العصر أن مسيحي وسهود عصره كانت دورهم
تعلو على دور المسلمين ومساجدهم ، كما أنهم اتخذوا القاب الخلفاء وكاهنهم
وتظاهروا بأقوالهم وأفعالهم ، وذكر أيضا أن اليهودى كان يسير بدايته
والمسلم يجرى فى ركابه يطلب منه قضاء حاجة له (٣) . ولعل هذا القول يفسر
لنا ما حدث عام ١٠١٢ فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله
(٩٩٦ - ١٠٢١) الذى قام باحراق الحص اليهودى بالقاهرة (٤) مما

(١) المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) خطط المقرئ ج ١ ص ٤٠٥ مؤسسة الحلبي .

(٣) معالم القرية لابن الاخوة : نقلا عن : اليهود فى مصر قاسم عبده قاسم
ص ١٥ .

(٤) لم يكن من قبيل المصادفة أن يحدث فى غرناطة - فى الفترة ذاتها -
ما حدث فى القاهرة ، فقد ازداد نفوذ اليهود فى غرناطة حتى
سميت " غرناطة اليهود " فكتب أبو اسحق الألبيرى (ت ١٠٦٢) قصيدته
الشهيرة التى " فجرت ثورة ضد اليهود " الا قل لصنهاجة أجمعين . . .
الخ " انظر د . الطاهر مكي ، دراسات اندلسية ص ٨٠ - ٨٣ دار
المعارف .

جعل كثيرا من اليهود يهجرون القاهرة ، ودخل بعضهم في الإسلام خوفا ، ولكنه عاد فسمح - بعد سبع سنوات - لليهود بالعودة الى مساكنهم والعودة الى دينهم ، وأمر بإعادة بناء معابدهم التي أحصاها المقرئى " بأحد عشر معبدا في القاهرة والفسطاط وأقاليم البلاد المصرية ، كلها محدث في الإسلام " (١) . وقد استغل كثير من الكتاب اليهود هذه الحادثة في تاريخ يهود مصر ليظهروه ملثما بالاضطهاد والظلم (٢) ، وأن الصهيونية هي التي أنقذتهم من هذا الاضطهاد .

ولعل هجرة العديد من يهود الأندلس - قبل وبعد سقوطها - الى مصر تظهر أن تلك الحادثة كانت استثناء وخروجا على قاعدة معاملة اليهود وأهل الذمة بعامة في مصر ، وكان ممن وفدوا على مصر من يهود الأندلس الطبيب الشهير موسى بن ميمون عام ١١٦٠ الذي تولى التطبيب في بلاط الأيوبيين . وكان قد اعتنق الإسلام ثم رجع الى يهوديته عندما أذن له صلاح الدين بذلك . وقد كان اعتناقه للإسلام أثناء وجوده في المغرب (٣) .

وفي الوقت الذي كانت فيه " محاكم التفتيش " ومذابح اليهود تقوم في أسبانيا ، وكثير من الدول الأوروبية ، كان اليهود ينعمون بالأمان والرخاء في جميع أرجاء الامبراطورية العثمانية بما في ذلك مصر ، وتولى أحدهم - ويدعى جلبي - وزارة الخزانة في منتصف القرن السابع عشر في عهد عبد الرحمن كخذا والى مصر آنذاك .

ومع الحملة الفرنسية - حيث يبدأ تاريخ مصر الحديث - تعرض اليهود لسخط المسلمين خلال الحملة الفرنسية بسبب تعلقهم ببونا برت وتعاوضهم معه (٤) .

(١) خطط المقرئى ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٢) انظر : د . على شلى ص ٣٣ ، ص ٣٩ اليهود والمسلمون في مصر

Goitein, P. 64 , Jews and Arabs.

(٣) اليهود في مصر . قاسم عبد . ص ١٥ .

(٤) كان اليهود أول من اعترف ببونا برت وتعاون معه . وقد استعان بهم في الترجمة والتحصيل والصيرفة وسمح لهم ببيع الخمر ، وبعد رحيلهم تغيرت نظرة الأهالي اليهم .

ومن الملاحظ أن ظاهرة تعاون اليهود مع الغازي قديمة جدا تعود لأيام الفراعنة ، وتكررت أيام البطالمة ومع الحملة الفرنسية ثم عند احتلال الانجليز

١ د . شلى ص ١٧٨ .

وعندما تولى محمد على ولاية مصر خفف عنهم الضرائب والجزية التي كانت مفروضة عليهم أيام المالك والعثمانيين حتى تم إلغاء الجزية عنهم عام ١٨٥٥ (١) .

واستعان بهم محمد على في الأعمال والوظائف حتى ازدهروا في عهده ، وشهد عصر أسرة محمد على موجات من الهجرة اليهودية الى مصر نتيجة جو التسامح الذي يسود البلاد .

ويلاحظ J. Landou أن " اليهود لم يتعرضوا لآية أعمال عدائية من جانب المصريين في القرن التاسع عشر " (٢) .

وقد شهد عهد إسماعيل توسعا في استخدام اليهود في وظائف الدولة ، ولاسيما في أقسام الحسابات والترجمة ، وكان من أوائل اليهود الذين عملوا في هذه الوظائف فيكتور هراي وإفرايم عاداه ، اللذان تدرجا بعد ذلك حتى صار الأول مديرا للخزانة ، وصار الآخر مراقبا لوزارة المالية (٣) .

وقد ازداد نفوذ اليهود بصورة واضحة مع الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢ ، ذلك أن من مصلحة المستعمر تشجيع الطوائف والأقليات ، وصاحب ذلك زيادة في أعداد المهاجرين من يهود أوروبا الى مصر ، كما أن نظام الامتيازات الذي عمل به في ظل الاحتلال كان في صالح الجاليات الأجنبية ، لهذا وجدنا غالبية يهود مصر يسمون الى الجنسيات الأجنبية ويتخلون عن الجنسية المصرية ، لما تتيحه لهم هذه الجنسيات من امتيازات ، " وقفز رقم اليهود في مصر من خمسة آلاف يهودي زمن محمد على الى

(١) J. Landau, The Jews in the Nineteenth Century in Egypt. P. 169.

وقد تم ذلك في إطار إعفاء أهل الذمة مسيحيين ويهود من الضرائب مسن باب " د و ام النظر بعين الرأفة الى الرعايا " .

Ibid. P. 207.

(٢) كان إسماعيل يقتصر الأموال من أثرياء اليهود في أوروبا وخاصة بيت روتشيلد ، (٣) بيت أوننهايم . انظر : د . على شلش ص ٦ اليهود والماسون في مصر .

٦٤٤٨٤ عام ١٩٤٧* (١) ، كان حاملو الجنسية المصرية منهم خمسة آلاف فقط وحوالى ٣٠ ألف يحملون الجنسيات الأجنبية والباقي لاجنسية لهم (٢) . ويتضح موقف اليهود من الجنسية المصرية أكثر عندما نعلم أن قانون الجنسية المصرية الصادر سنة ١٩٢٩ كان " يقضى بقبول طلب كل مقيم فى مصر للحصول على جنسيتها مالم يثبت أنه يحمل جنسية أخرى . لكن اليهود فى مصر ، باستثناء قلة قليلة منهم لم يقدموا طلبات للحصول على الجنسية المصرية لأنهم لم يعلقوا عليها أهمية كبيرة " (٣) .

وهذا يعنى بكل وضوح عدم اندماج الغالبية العظمى من اليهود فى المجتمع المصرى . وتأكد هذا القول أكثر عندما نعلم أن التعليم اليهودى فى مصر - كما سيأتى ذكره - اعتمد اللغة الفرنسية لغة أساسية ثم الانجليزية والعبرية والعربية .

ومن مظاهر الحرية التى تمتع بها اليهود فى مصر بخاصة ، والعالم الإسلامى بعامة ، " ما أتاحه لهم التصريح الإسلامى من حرية فى معاملاتهم الخاصة وطرق عبادتهم وتنظيم أمورهم الداخلية " (٤) ، فقد عهدت بإدارة شئون الطوائف الى الرؤساء الدينيين المسئولين أمام السلطة ، وكجزء من العلاقة بين السلطات ، وأهل الذمة منح الآخرين حرية العبادة والاقامة والسفر والتعليم ، ومقابل الحماية التى كانوا يتلقونها فوضت عليهم ضريبة معينة ، " وهذا النظام للطوائف المستقلة ذاتيا والذي ظهر خلال عهد الامبراطورية العربية استمر خلال الفترة العثمانية وأصبح يعرف باسم " نظام الملّة " (٥) .

(١) د . عواطف عبد الرحمن . الصحافة الصهيونية فى مصر ص ١٣١ دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٨٠ .

وانظر : يهود البلاد العربية ص ١٦١ د . على ابراهيم عبده وخيرية تاسمية .

(٢) انظر : يهود البلاد العربية ص ١٦٢ د . على ابراهيم عبده وخيرية تاسمية .

(٣) د . على شلش : اليهود والماسون فى مصر ص ٣٦ .

(٤) أبو الأعلى المودودى : حقوق أهل الذمة ص ٢٠ كتاب المختار . القاهرة .

(٥) يهود البلاد العربية . د . ابراهيم عبده وخيرية تاسمية ص ١٥ .

تشير د . عواطف عبد الرحمن ص ١٢ الى أن نظام الملّة هذا نشأ فى العهد العثمانى ، وقد فات الباحث أن قواعد معاملة أهل الذمة قد أرسيت مع صدر الإسلام واستمرت فى العهد العثمانى .

أما من ناحية التقسيم الطائفي ليهود مصر فقد انحصرت في طائفتين رئيسيتين :

الخاصية أو الرابنيون : وهم جمهور اليهود المعروفون أكثر من غيرهم "وتعنى كلمة " رابنيم " العبرية : الإمام أو الحبر أو الفقيه وقد سمي أبناء هذه الطائفة باسم الرابنيين إشارة إلى اتباعهم تفاسير علمائهم وفقهائهم في الشنا والتلمود ، وكان الرابنيين أكثر اليهود عددا في مصر ، وكان رئيس اليهود من الرابنيين " (١) .

أما الطائفة الثانية فكانت طائفة القرائيين وكان عددهم محدودا جدا (٢) ، وهم لا يعترفون إلا بالألواح التي أنزلت على موسى (٣) وينكرون التوراة والتلمود وتعالم الخاصيات ، وكان للقرائيين - على قلتهم - صحفهم ومجلاتهم التي تهتم بأخبار طائفتهم في المقام الأول وأخبار اليهود بعامة (٤) .

كما أنشأ اليهود العديد من المعابد بلغت ٢٩ معبدا في القاهرة وحدها كما أقيم ٢٠ معبدا في الاسكندرية بخلاف معابد في مدن الأقالسيم ، ويبلغ مجموع هذه المعابد ستين معبدا (٥) .

ثانيا : الوضع الاجتماعي والاقتصادي ليهود مصر

على المستوى الاجتماعي والطبقي كان اليهود في مصر ينقسمون إلى ثلاث شرائح أساسية : الشريحة العليا وتتكون من مجموعة من العائلات الأرستقراطية الثرية التي تجمعت لديها وسائل الثروة والجاه والمكانة الاجتماعية. من هؤلاء أسر قطاوى وموصيرى وسوارس وهزارى ومنشة وشيكوريل ووهبة وغيرهم

(١) تاسم عبده . اليهود في مصر ص ٤٥ وانظر : خطط المقرئى ج ٢ ص ٤٢٦ .

(٢) انظر : د . عواطف عبد الرحمن . الصحافة الصهيونية في مصر ص ١٢ .

(٣) بلغ عددهم في بداية القرن العشرين مائة عائلة . انظر : اليهود والحركة الصهيونية في مصر ص ١٢ ، أحمد غنيم وأحمد أبو كف . كتاب الهلال القاهرة ١٩٦٩ .

(٤) انظر : سهام نصار . اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ص ١٤٣ العربي للنشر .

(٥) انظر : اليهود والحركة الصهيونية في مصر ص ٣٠ أحمد غنيم وأحمد أبو كف .

(١) من أصحاب البنوك والأعمال التجارية وملاك الأراضي .

ويلي هؤلاء الشريحة الاجتماعية الثانية التى تضم فئة رجال الأعمال البارزين فى مجالات التصدير والاستيراد ، وتجارة القطن ، والصيرفة ، والبورصة ، وأصحاب المحال التجارية وعدد من الموظفين اليهود فى مختلف المؤسسات الخاصة والحكومية . وقد تميزت حياة هاتين الشريحتين ببعض السمات الاجتماعية تمثلت فى عاداتهم وملابسهم وأسلوب حياتهم ، واستخدامهم للفرنسية - لغة الصالونات - مما حدد انتماءهم بشكل نهائى للثقافة الغربية ، وساعد على انفصالهم تماما ، اجتماعيا وثقافيا ، عن المجتمع المصرى ككل من ناحية ، وعن أبناء طائفتهم من اليهود المستوطنين الأصليين فى مصر من ناحية أخرى .

وتمثل الشريحة الثالثة من اليهود قاع السلم الاجتماعى من الناحية الطبقيّة ، وهى تشمل صغار الحرفيين ، والباعة الجائلين ، وفقراء اليهود الذين يعتمدون على الإعانات بشكل أساسى .

بيد أننا لو قارنا مستوى الطائفة اليهودية بالمعدل العام لمستوى الحياة فى مصر لوجدنا أنها كانت تتمتع بمستوى اجتماعى جيد (٢) .

وكان لليهود فى مصر العديد من المحافل والجمعيات التى كان لها نشاط واسع بين أعضاء الطائفة وخاصة فى مساعدة الفقراء ، وإقامة المدارس والمستشفيات والنوادر الرياضية ، " وقد كانت هذه المحافل والجمعيات مخصصة لخدمة أبناء الطائفة ، لكن الصهيونية تمكنت من الاستيلاء عليها فيما بعد ، وتسخيرها لخدمة أهدافها " (٣) .

J. Landau , P.P. 127-148.

(١) انظر:

حيث يترجم لهذه العائلات ونستفيد من هذه الترجمة أن أغلب هذه العائلات ذات أصول أوروبية ، وخاصة من ألمانيا .

(٢) انظر : سهام نصار ص ١٤ ، عواطف عبد الرحمن ص ١١ الصحافة الصهيونية فى مصر .

(٣) أحمد غنيم وأحمد أبو كف ص ٣٠ ، اليهود والحركة الصهيونية فى مصر .

وكانت هذه الجمعيات تحت هيئة كبار الرأسماليين اليهود ، ومنها جمعية (بخور حليم) ، والمستشفى الإسرائيلي للذان تأسس لتقديم الرعاية الطبية للمرضى اليهود ، وخاصة المحتاجين منهم ، وجمعية ماثان باستير ، وملجا ابن ميمون للعجزة ، وجمعيات الشبان ، وجماعات الكشافة ، واتحاد الشبيبة اليهودية (١) .

ومن ناحية التعليم أنشأ الاتحاد الإسرائيلي (الاليانس) شبكة من المدارس لتعليم اليهود باللغة الفرنسية ، " وهذا ما أدى بكثير من اليهود - كسائر الأقليات - الى التخلي عن أسلوب حياتهم الشرقية أمام اغتراب الحضارة الغربية " (٢) .

ومن الجدير بالملاحظة أن الطائفة اليهودية كانت تهوى الى أن يكون تعليم أبنائها تحت اشرافها حتى توجههم الوجهة التي تريدها ، " وحتى يشبوا وولاؤهم الأول لدينهم وطاقاتهم ، وفي هذا المجال عنت بالتعليم الديني وبحث المفاهيم الدينية فيهم ، كما اهتمت بالتعليم المهني فأنشأت المدارس الصناعية " (٣) .

والى جانب المدارس الكبيرة التي أنشأها اليهود لأبناء طائفتهم ، لم تكن المدارس الحكومية ولا الجامعة أو المعاهد العليا مغلقة في وجه اليهود في ذلك الوقت " فقد بلغ عدد المتخرجين اليهود من الجامعة والمعاهد العليا المصرية في سنة ١٩٤٧ وحدها ٩٢٧ يهوديا منهم ١٢٦ بنتا ، كما بلغ عدد المتخرجين من المدارس الثانوية ومانى مستواها ٣٠٨٠ يهوديا منهم ٧٤٠ بنتا ، ومن الواضح أن نسبة الأمية عند اليهود كانت منخفضة جدا وتقع في فئة السن التي تزيد على الخمسين " (٤) .

(١) انظر : سهام نصار ص ١٦ اليهود المصريون صحتهم ومجالاتهم .

(٢) على ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ص ٦١ يهود البلاد العربية .

(٣) سهام نصار ص ١٦ اليهود المصريون .

(٤) د . على شلش ص ٦١ اليهود والماسون .

أما عن حياة اليهود الاقتصادية في مصر ، فقد كان لهم نشاط ملحوظ في هذا المجال ، وساعدت طبيعة المجتمع المصري في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كمجتمع برجوازي ناشئ ، على اتاحة المجال أمام اليهود لممارسة نشاطهم الاقتصادي في حرية واسعة ، حتى استطاع بعضهم أن يسيطر على جوانب هامة من الاقتصاد المصري .

نعم حاجة البلاد الى التطور كانت لليهود - مع سائر الأوروبيين الذين تدفقوا على البلاد في النصف الأخير من القرن التاسع عشر - مكانة أكبر في اقتصاديات مصر ، وكان ارتفاع مستوى التعليم بينهم وتشجيع السلطات لهم ، واختلاطهم بالأجانب ، قد فتح أمامهم فرصا واسعة للعمل ، فشمّل نشاطهم مجالات العمل الاقتصادي كافة في التجارة والصناعة والزراعة ، المصارف ، والشركات وغيرها ، حتى استطاعت عدة أسر يهودية رأسمالية أن تتحكم فترة طويلة في الاقتصاد المصري وتمويله وتطويره (١) .

وكانت أعمال الصيرفة والربا من أهم مجالات العمل التي اشتغل بها اليهود ففي عهد الخديوي إسماعيل ازداد عدد المرابين في مصر بصورة كبيرة ، وكان معظمهم من اليهود الذين انتشروا في البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، حيث أداروا بنوك الرهن ، وبنوك التسليف ، وأسهموا - أيضا - في إنشاء البنوك ، والشركات الائتمانية ، التي تتولى عمليات الخصم ، والعمولة وتقديم القروض مقابل التأمينات ، وبيع وشراء الأوراق المالية والسندات ، لدرجة أنه في عام ١٩٤٢ كان الرأسماليون اليهود يمتلكون ويساهمون في إدارة ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ وسيطرون على جانب ضخم من رؤوس أموالها ، كما كان العاملون فيها يهودا (١)

ومن أهم البنوك وشركات التأمين التي أنشأها اليهود أو ساهموا في إنشائها ، البنك العقاري المصري ، البنك الأهلي المصري ، البنك البلجيكي ، البنك التجاري المصري ، بنك موصري ، بنك سوارس ، البنك الزراعي ، شركة الشرق الأدنى المالية ، الشركة المصرية المالية ، شركة الاسكندرية

(١) انظر : سهام نصار ص ١٧ الصحافة الصهيونية .

(١) للتأمين ، شركة التأمين الأهلية المصرية ، شركة التسليفات التجارية .

كما بلغ من خطورة البنك العقاري المصري - الذى أنشأه اليهود - على اقتصاد مصر الزراعى أنه كان تحت تصرفه عام ١٩١٠ ما يزيد على ٢٣١٥١٤٢٣ فدان كتأمين عن القروض التى قدمها للفلاحين .

ويتضح لنا مدى تغلغل اليهود داخل الهيئات والمؤسسات المالية إذا علمنا أن " سوق الأوراق المالية (البورصة) ومصلحة الجمارك ، ومعظم البنوك كانت تغلق أبوابها فى أيام الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية " .

كما امتلك اليهود البيوت التجارية الكبرى فى مصر ، مثل شيكوريل وبنزايين وعدس وعمر أفندى ، وقد تحكمت هذه البيوت فى استيراد السلع الأوروبية الى مصر زمنا طويلا .

وتختصر دائرة المعارف اليهودية الوضع الاقتصادى ليهود مصر بقولها : " إن مصر عرفت العديد من المليوثيرات اليهود مما لم تعرفه أى طائفة أخرى فى الشرق الأوسط " (٢) .

ثالثا : الوجه الصهيونى ليهود مصر

يختلف الباحثون فى تحديد بداية النشاط الصهيونى فى مصر ، فعلى حسين يرى البعض أن بداية هذا النشاط كانت عام ١٨٩٧ عندما وفد الى البلاد جوزيف ماركو باروخ الذى نجح فى تأسيس أول جمعية صهيونية بمدينة القاهرة تدعى جمعية " بركوخا الصهيونية " أسندت رئاستها الى جاك هارلين (٣) ، يرى البعض الآخر أن " وصول هرتزل الى مصر عام

(١) انظر : عبد القادر ياسين الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية ص ٧٠٢ اشلون

فلسطينية عدد ٣٦ اغسطس ١٩٢٤ .

(٢) د . على شلش ص ١٢٥ ، أحمد غنيم وأحمد أبوكف ص ٦٣ .

(٣) سهام نصار ص ١٨ اليهود المصريون .

(٤) Judaica, Vol. 6, C. 500.

(٥) انظر سهام نصار ص ٢١ ود . على شلش ص ٩٩ .

١٩٠٣ كان تفتيحا لأعين اليهود فيها ، وتبشيرا بقيام حركة صهيونية سياسية^(١) .
ويغرق فريق ثالث في التناقل عندما يرجع بداية النشاط الصهيوني في مصر
الى مابعد الثلاثينيات من هذا القرن ، عندما قام مندوبون من المنظمة
الصهيونية العالمية بزيارة الطوائف الشرقية^(٢) .

هذا بينما يعزو لاندau نشأة الصهيونية في مصر " الى ما قبل انعقاد
المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ وذلك بفضل ماركو باروخ " ^(٣) .

والواضح أن اهتمام الصهيونية العالمية بمصر ويهودها كان مبكرا جدا
لعدة اعتبارات أهمها أن مصر تقع على أبواب فلسطين ، وبها طائفة يهودية
كبيرة يمكن أن تلعب دورا كبيرا في خدمة الأهداف الصهيونية ، لذلك
واكب النشاط الصهيوني في مصر بداية ظهور الصهيونية في أوروبا^(٤) .

وقد أقامت جمعية " بركو خبا " فروعا لها في كثير من المدن المصرية
الكبرى ، وتلا ظهور هذه الجمعية العديد من الجمعيات الصهيونية " ، وحتى
نشوب الحرب العالمية الأولى تأسست في القاهرة جمعية أبناء صهيون ١٩٠٠ وجمعية
الأدب العبري ١٩٠٥ ، وجمعية أحباء صهيون ١٩٠٦ ، ولجنة التنسيق
الصهيونية ١٩٠٩ ، وجمعية أبناء صهيون للأمام ١٩١٠ ، واتحاد أطفال
صهيون ١٩١١ ، والدائرة القومية اليهودية ، ودائرة هرتزل ١٩١٢ ، كما
تأسست أول جمعية صهيونية بالاسكندرية عام ١٨٩٨ ، وجمعية عمال صهيون
وجمعية أبناء صهيون ، وجمعية شبان صهيون ١٩٠٧ " ^(٥) .

(١) أحمد غنيم وأحمد أبو كف ص ٢١ اليهود والحركة الصهيونية .
(٢) على ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ص ٢٧ . لا تذكر الكتب التي تعرضت
للسياط الصهيوني في مصر قيام أي جمعية صهيونية بعد الثلاثينيات
إذ أنها كانت قد قامت بالفعل قبل ذلك بكثير ، ولكن ازدياد نشاط هذه
الجمعيات في العقد الرابع من هذا القرن بشكل واضح .

Landau, P. 115.

(٣)

(٤) كانت مصر أفضل جسر الى فلسطين في نظر الصهيونية منذ مؤتمرها
الأول ١٨٩٧ . انظر : د . على شلش ص ٩٩ اليهود والماسون .

Landau, P. 122.

(٥)

وبعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ أصبحت الجمعية الصهيونية بالاسكندرية تتلقى التعليمات من المنظمة الصهيونية العالمية مباشرة ، ولم يعد دورها مقتصرًا على الأنشطة الدعائية ، بل شاركت في تسهيل عمليات الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وقد اتسع النشاط الصهيوني بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بدرجة ملحوظة " ففي عام ١٩١٨ قام ليون كاسترو بتأسيس أول فرع للمنظمة الصهيونية في مصر ، كما قام كاسترو بتحويل المحافل اليهودية في مصر الى منابر للدعوة الصهيونية ، كما قام يهودى مصر يدعى البير ستراسكى بتأسيس فرع لحزب التصحيحيين عام ١٩٢٩ الذى أنشأ جابوتسكى ، وشهدت نهاية عام ١٩٤٥ وبداية عام ١٩٤٦ نشاطا مكثفا للجماعات والأحزاب الصهيونية التى قامت بنشاط واسع وجاد لحث الشباب اليهودى في مصر على الهجرة الى الكيبوتزات " (١) .

ومن الملاحظ على النشاط الصهيونى في مصر أنه تركز في أوساط الاشكنازيم ذلك أن الفكرة الصهيونية أو الحل الصهيونى كان غريبا تماما ، وفشلت الصهيونية - في بدايتها على الأقل - في إقناع اليهود الشرقيين بها ، ذلك أن يهود مصر الذين ارتبطوا بها منذ زمن طويل ، لم تكن لديهم مشكلة ليجدوا حلا لها في الصهيونية ، أو بعبارة أخرى لم تنشأ المسألة اليهودية في مصر " لذا نجد أن عدد المهاجرين الى فلسطين من يهود مصر حتى عام ١٩٤٨ لا يتجاوز ١٨٤٥ نسمة وهو عدد ضئيل إذا قيس بحجم الطائفة اليهودية في مصر ، إذ يبلغ نسبته ٢% من مجموع الطائفة " (٢) .

ومن طريق اليهود الاشكنازيم تكوّن فرقة " البغالة " التى شاركت في الحرب العالمية الأولى ، ثم تكوّن ماعرف باسم " الفيلق اليهودى " وأرسلت كتيبتان منه الى مصر عام ١٩١٨ حيث تلقتا تدريباتها ، ثم تكوّن في مصر الكتيبة رقم " ٤٠ " من يهود مصر وفلسطين (٣) .

(١) د . عواطف عبد الرحمن ص ٢٢-٢٣ الصحافة الصهيونية .

(٢) عبد القادر ياسين ص ١٠٧ ش . ف .

(٣) انظر : د . على شلش ص ١٠١ وأحمد غنيم وأحمد أبو كف ص ٢٤ .

وامتد النشاط الصهيوني الى الصحافة ، حيث أنشأت الجماعات والأحزاب الصهيونية ما يرو على خمسين صحيفة بالعربية والفرنسية ، والعبرية ، وكان معظم هذه الصحف يدعو صراحة الى قيام الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، ولم يقتصر النشاط الاعلامى على الصحف التى أنشأها اليهود ، ولكنه امتد الى الصحف والمجلات المصرية ، " وذلك بمحاولة " شراء " كثير من الكتاب أو أصحاب الصحف " (١) .

كانت الحركة الصهيونية حريصة على ابعاد مصر والمصريين عن قضية فلسطين وعلى إقامة علاقات صداقة معها ، أما الأصوات الوطنية فى الصحف المصرية فقد سعت الصهيونية لإسكاتها بعدة طرق أهمها سلاح الاعلانات والمصرفات السرية ، ذلك أن الصحف تعتمد فى دخلها بشكل أساسى على الاعلانات ، ولما كانت كل الاعلانات فى مصر تقريبا عن متاجر يهودية ، أو عن بضائع يقوم اليهود بتسويقها ، فإنه يمكننا أن ندرك مدى استخدام اليهود لسلاح الاعلانات فى التأثير على الصحافة المصرية . وقد تم تأسيس مكتب يهودى لمراجعة الصحف المصرية فى الثلاثينيات ، مهمته معاينة الصحف التى تجرؤ على انتقاد اليهود بقطع الاعلانات عنها (٢) .

وقد سعت الحركة الصهيونية الى التسلل داخل الصحف المصرية وحاولت السيطرة على المراكز الحساسة بها ، أما تلك التى لم تتمكن من النفاذ اليها فقد عملت على تشويهها واتهامها بالعمالة (٣) .

ويستخلص د . شلش من هذا النشاط أن الصهيونية العالمية قد حولت مصر فى الفترة من ١٩١٧ الى ١٩٤٨ الى مركز من أخطر مراكزها ، ان لم يكن أخطرها ، بعد المركز الذى صنعتة من فلسطين فى تلك الفترة . لقد كانت مصر - دون أن تدري أو تريد - معسكر الانتقال للصهيونية العالمية والمحطة الرئيسية على الطريق الى فلسطين ، ولولا جهود الصهيونية على أيدي زعمائها وأعوانها فى مصر ، لما استطاعت الصهيونية العالمية تأمين ظهر

(١) انظر : عواطف عبد الرحمن ص ٦٨ الصحافة الصهيونية .

(٢) انظر : سهام نصار ص ١٤٠ اليهود المصريون .

(٣) انظر : عواطف عبد الرحمن ص ٦٧ الصحافة الصهيونية .

المستوطنين اليهود في فلسطين ، وضمان حركة الهجرة اليها ، وتخفيف حدة التوتر العربى داخل فلسطين وخارجها ، وأخيرا اعلان قيام دولة اسرائيل " (١) .

ومن الحق أن نشير الى أنه لم يكن كل يهود مصر قد وقعوا قسرياً شركاء الصهيونية ، بل إن بعضهم وقف معارضا لها ، " وكونوا فيما بينهم جماعة عرفت باسم الحركة المضادة للصهيونية " (٢) ، كذلك تكونت بين يهود مصر " الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية " التى أصدرت كراسا وبيانا عام ١٩٤٧ تحت شعار " ضد الصهيونية .. فى صالح اليهود " وفى صالح مصر .. " وقد عدت الرابطة من أهدافها .

(١) الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب .

(٢) الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصرى فى الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية .

(٣) العمل على حل مشكلة اليهود المشردين .

وهذا يعنى بوضوح أن الرابطة رأت أن اندماج اليهود فى مجتمعاتهم هو الحل الأمثل للمسألة اليهودية ولن يحدث هذا الاندماج - كما ترى الرابطة - إلا بانتهاء العداء للسامية فى أوروبا . كما أن رئيس الطائفة اليهودية فى مصر بدأ يبذل مساعيه لوقف النشاط الصهيونى فى البلاد حرصا على مكانة اليهود وعلاقتهم الطيبة بالمصريين ، ولذلك " بعث برسالة تحذيرية الى ليون كاسترو رئيس اللجنة المركزية للاتحاد الصهيونى بمصر ، كما بعث برسالة تحذيرية أخرى الى مثل الوكالة اليهودية بالقاهرة " (٤) . وهذا الموقف من رئيس الطائفة اليهودية بمصر كان رد فعل للتغيرات التى أخذت تطرأ على موقف الشعب المصرى من اليهود ، فلم يعد جو التسامح هو السائد ،

(١) د . على شلش ص ١٢٦ اليهود والماسون .

(٢) أحمد غنيم وأحمد أبوكف ص ١٧٣ اليهود والحركة الصهيونية .

(٣) انظر عبد القادر ياسين ص ١١٣ وانظر النص الكامل لبيان الرابطة :

عواطف عبد الرحمن ص ١٣٩-١٤٣ الصحافة الصهيونية .

(٤) سهام نصار ص ٢٩ اليهود المصريين .

بل جرت أمور أخرى كثيرة كانت الصهيونية وقيام إسرائيل عام ١٩٤٨ السبب الأول فيها ، كما سنعرض بعد قليل . وبشكل عام نستطيع القول إن يهود مصر انقسموا من حيث موقفهم من الصهيونية الى ثلاثة أقسام :

(أ) أقلية يهودية تبنت الصهيونية ودافعت عنها ونادت بها ، وهى - فى الغالب - من الاشكنازيم .

(ب) أقلية أخرى عارضت الصهيونية ووقفت فى وجهها ولم تؤمن بها .
(ج) أغلبية لم تر فى الصهيونية قضيتها الأولى ولكن هذا لم يمنعها من أن تتعاطف مع الفكرة الصهيونية وأن تساعدوا بالمال كلما اقتضت الحاجة ، وقد اقتضت هذه الأغلبية بأن الفكرة الصهيونية - حل " للمسألة اليهودية " عند الآخرين وليس فى مصر . لهذا نجد أن هجرة يهود مصر لم تتجه كلها الى فلسطين كما تنادى الصهيونية ، بل إنه - وكما تقول دائرة المعارف اليهودية - فى الفترة من عام ١٩٤٨ - ١٩٥٠ أى نحو ثلاثة أعوام غادر مصر نحو ٢٥ ألف يهودى لم يستقر منهم فى إسرائيل سوى ١٤ ألفا ، أما عن عدد اليهود المصريين الذين يعيشون اليوم فى إسرائيل فإنه يبلغ - تضيف الدائرة - ٣٥ ألفا ، ويعيش قرابة ثلاثين ألفا آخرين منهم فى الأمريكتين وبريطانيا (١) .

وتتضح المبالغة فى هذا الرقم عند مقارنته بالأرقام الأخرى ، حيث يرى (شحاتة هارون) " أن نسبة يهود مصر الذين هاجروا الى فلسطين تتراوح بين ٢٠ و ٢٥% " (٢) بينما يرى آخرون أنه فى عام ١٩٤٩ وحده غادر مصر عشرون ألف يهودى ، ذهب منهم الى فلسطين سبعة آلاف فقط (٣) . وأيا كان الرقم الصحيح فإن الحقيقة الماثلة للعيان أن معظم يهود مصر قد رفضوا الهجرة الى فلسطين وفضلوا عليها دولا أخرى ، أما الذين هاجروا

(١) انظر :

(٢) يهودى فى القاهرة ص ٢٣ دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٢ . وهذا الكتاب إضافة متميزة وهامة لوضع اليهود فى مصر والبلاد العربية .

(٣) انظر د . على ابراهيم عبده وخيرية تاسمية ص ١٨١ يهود البلاد العربية .

اليها فهم المتحسبون للصهيونية وكذلك الفقراء ومتوسطو الحال الذين
عدموا كل وسيلة للهجرة الى الأمريكتين أو أوروبا ، والذين حلموا بتحسين
مستواهم الاجتماعى فى إسرائيل ، ولكنهم قابلوا تفرقة عنصرية من أبناء دينهم ،
هذه التفرقة التى لم يعرفوها فى مصر طيلة وجودهم فيها (وفى حديث
للباحث مع أحد اليهود المصريين فى تل أبيب ، وبعد هجرته الى
إسرائيل بأكثر من عشرين عاما ، قال بلهجة مصرية تخلو من أى شائبة
عبرية ، إنه يتمنى أن يعود يوما واحدا الى القاهرة ثم يموت) .

رابعاً : موقف مصر من اليهود والصهيونية فى البلاد

يتسم الموقف المصرى تجاه اليهود والصهيونية حتى عام ١٩٤٨ بالتعددية
ولكنها تعددية الانسجام الى حد كبير ، ولم يخرج عن هذا الانسجام
الا تلة قليلة من المصريين وفى أوقات محدودة أيضا ، ولكى يتضح ذلك
نعود الى مفردات هذا الموقف لكى نلقى الضوء على كل منها على حدة
وعلاقتها بالآخرين :

(١) موقف الحكام :

ينظر كبير من المؤرخين الى عصر محمد على وأولاده على أنه العصر
الذهبى لليهود فى مصر ، فقد مر بنا كيف خفف محمد على عن اليهود
حتى ألغى الضرائب المفروضة عليهم ، كما استعان بهم فى الوظائف
والأعمال الحكومية حتى ازدهروا فى عهده ، وشجع ازدهارهم هجرة كثيرين من
يهود اليونان وشرق أوروبا الى مصر ، وقد شهد عصر محمد سعيد مزيدا
من هجرة اليهود الى مصر ، غير أن عصر اسماعيل شهد توسعا فى
استخدام اليهود فى وظائف الدولة ولاسيما فى أقلام الحسابات والترجمة .^(١)

وقد قرب عباس الأول اليهود اليه ، ومنهم تطاوى الذى عينه فى
وظيفة الصراف العام أو شيخ الصيارفة ، وفى عهد توفيق ظلت الحظوة
لاسرة تطاوى فى القصر وشاركتها فى ذلك أسر هرارى وموصيرى وعاداء ،
وفى عهد الخديوى عباس الثانى (١٨٩٢ - ١٩١٤) كان محاسن القصر

(١) انظر : د . على شلش ص ٥٨ اليهود والماسون .

المحامى اليهودى مراد فيج وكان الخديو يستعين باليهود فى تصريف الاستثمارات والمضاربات المالية التى شغل نفسه بها ، وظل طول حكمه على علاقة ود بعدد من الأسر اليهودية ولا سيما أسرة قطاوى (١) .

وبلغ من تعاطف عباس الثانى مع اليهود أنه وافق عام ١٩٠٣ على إعطاء اليهودوطنا قوميا فى العريش والمناطق المحيطة بها على مساحة تبلغ ٦٣٠ ميلا مربعا ، وقد حضر هرتزل الى مصر من أجل التفاوض فى هذا المشروع الذى ساندته بريطانيا ، " لكن الحكومة المصرية آنذاك رفضت هذا المشروع وتعالى أصوات المثقفين برفض المشروع مما جعل الخديو يسحب موافقته ، وفى نفس الوقت كان هرتزل يطمح فى إقليم كامل وليس فى مدينة بضواحيها فقط " (٢) .

وعند اندلاع الحرب الأولى عام ١٩١٤ أحست الدولة العثمانية بخطر الحركة الصهيونية فى فلسطين ، فأصدر الوالى العثمانى أحمد جمال باشا أمرا بتحريم نشاط العناصر الهدامة التى تسعى لإنشاء حكومة صهيونية على أرض فلسطين وأصدر مجموعة من القرارات التى تهاجم اليهود الذين دفعهم هذا الهجوم الى البحث عن منطقة يجدون فيها الأمن والطمأنينة - فى انتظار ما تسفر عنه الحرب - ولم يكن أمامهم سوى مصر التى استقبلت أعدادا كبيرة منهم " بلغوا ١١٢٧٧ مهاجرا وقد أبسدى السلطان حسين كامل عطفًا شديدا نحو هؤلاء المهاجرين ، وسادت الحكومة لاتخاذ خطوات سريعة لاستضافتهم وإغاثتهم ، ووضعت تحت تصرفهم كثيرا من الأماكن الحكومية ، وصرفت لهم معونة يومية مائة جنيه مصرى " (٣) .

وفى عهد السلطان أحمد فؤاد - الملك فيما بعد - (١٧ - ١٩٣٦) بلغ التقارب المتبادل بين القصر واليهود عصره الذهبى ، وازدادت الثقة المتبادلة بينهما ، فعند صدور وعد بلفور بالوطن القومى صرح السلطان بأن مصر تنظر بعين العطف الى قضيتهم ، وتأمل أن يتحقق أملهم ، وتعلن حمايتهم لهم . وفى سنة ١٩٢٢ عندما أعلن السلطان استقلال مصر كان

(١) انظر : د . على شلش ص ٦٢ اليهود والماسون .

(٢) أحمد غنيم وأحمد أبوكف ص ١٦ اليهود والحركة الصهيونية .

(٣) المرجع السابق ص ٢١-٢٢ .

يوسف قطاوى ضمن اللجنة التى شكلت لوضع دستور البلاد ، كما اشترك قطاوى فى وزارة أحمد زيور ووزيرا للمالية ، ف سجل بذلك أول سابقة لوزير يهودى فى تاريخ مصر الحديث^(١) . كما شغل قطاوى العديد من المناصب الحكومية الهامة ، ولم يكن اختياره لكل هذه المناصب تقديرا لشخصه فحسب ، وإنما تعبيراً عن تقدير الحاكم للطائفة اليهودية التى كانت تحت رئاسته قطاوى نفسه ، كما اختيرت زوجته وصيفة للملكة نازلى ثم للملكة فريدة بعد ذلك ، وكان ابنه أدولف صديقاً للملك فؤاد منذ كان الأخير أميراً ، كما احتل أولاد قطاوى مناصب رفيعة فى الحكومة أو الشركات والبنوك الحكومية . ومع ذلك لم يكن قطاوى وحده من أصحاب الخطوة لدى السراى ، فقد كان الملك فؤاد يشجع اليهود ويعطف عليهم ، فقد عين جاك جوهر مشرفاً على النشاط الرياضى فى مصر كما عين الحاخام حاييم ناحوم — المتعصب للصهيونية — عضواً بجمع اللغة العربية^(٢) .

وفى عهد الملك فاروق (٣٦ — ١٩٥٢) لم يتغير الموقف الرسمى من اليهود " على الرغم من أن الظروف دفعت فاروق فى سنة ١٩٤٨ الى ارسال الجيش الى فلسطين ، ومع ذلك أعلن عشية الحرب أن حياة اليهود وأموالهم فى مصر مؤمنة ومحمية ، ومن المعروف أن المد الشعبى المعادى للصهيونية كان أقوى من فاروق^(٣) . وتأمين حياة اليهود وأموالهم فى مصر ليس دليل تعاطف بقدر ما هو واجب وطنى وإنسانى . وكان على الكاتب أن يبحث أدلة التعاطف فى أمور أخرى .

ويوضح العدد الكبير من اليهود الذين حصلوا على رتبة الباشوية أو البكوية الصلة المتينة التى ربطتهم بالقصر ، كما ربطت القصر بهم . وقد عبر القصر عن موقفه تجاه الصهيونية " بطرح حل للصراع الفلسطينى — الصهيونى يلتقى مع الحلول التى طرحتها الصحافة الصهيونية ، وهو

(١) لا يوجد فى المصادر ما يؤكد ماترويه سهام نصار ص ٢٠ — وتشايعها فى ذلك عواطف عبد الرحمن ص ١٢ ود . على ابراهيم وخيرية قاسمية ص ١٥٢ — أن قطاوى اشترك فى وزارة سعد زغلول سنة ١٩٢٤ ، بل على العكس ممن ذلك يورد عبد الرحمن الرافعى أعضاء وزارة سعد ص ١١٣ ولا وجـود لقطاوى فيهم ، ويورد أعضاء وزارة زيور حيث قطاوى وزيرا للمالية ص ١٥٥ : فى أعقاب الثورة المصرية ج ١ كتاب الشعب . القاهرة ١٩٦٩ .

(٢) انظر : سهام نصار ص ٣٣ و Landau, P. 130.

(٣) د . على شلش ص ٦٥ اليهود والماسون .

ضرورة الاتفاق بين الفريقين لتسوية ما بينهما من "خلافات" وذلك من خلال الصحف التي تعتبر لسان حال السراى آنذاك (١).

(٢) موقف الحكومات :

كان من المنطقي أن ينسجم موقف رؤساء الحكومات المتعاقبة من اليهود مع موقف ملوكهم أو سلاطينهم ، ولم تشهد أسرة محمد على خلافا حقيقيا بين الحكومة والخديو أو الملك إلا بشأن مشروع العريش الذي مر ذكره ، أما فيما عدا ذلك فإن الوزراء ورؤساءهم ارتبطوا - في أحيان كثيرة - بعلاقات ود وعمل مع اليهود ، وهرقوا بعطفهم على اليهود وخاصة أحمد زور واسماعيل صدقي وحسين سرى ومحمد محمود . ومن المعروف أن صدقي وسرى كانا عضوين ببعض مجالس إدارات الشركات اليهودية في مصر (٢) . ومن مواقف صدقي المعروفة أنه اعتقل عام ١٩٢٥ - حين كان وزيرا للداخلية - الوطنيين الفلسطينيين الذين تظاهروا في القاهرة ضد بلفور أثناء مروره بمصر لحضور افتتاح الجامعة العبرية (٣) .

وفي العام نفسه قامت الجمعية الصهيونية بتوجيه دعوة الى أحمد زور باشا رئيس الحكومة وقتها لحضور حفل افتتاح الجامعة العبرية ، وقد لبثت الحكومة المصرية الدعوة وأرغدت أحمد لطفى السيد مدير الجامعة المصرية ممثلا لها (٤) .

وعندما تولى صدقي رئاسة الوزارة عام ١٩٣٠ أغلق جريدة الشورى الفلسطينية في حين " شمل برعايته جريدة إسرائيل الصهيونية ، كما اشتركت

(١) د . عواطف عبد الرحمن ص ٥٥ الصحافة الصهيونية .
(٢) يضع د . علي شلش ص ٦٦ النحاس باشا في مقدمة المتعاطفين مع اليهود بينما تشير المراجع الى أن النحاس عارض فكرة الوطن القوي بشدة وقال للسفير البريطاني أنه لا يستطيع أن يشعر بالاطمئنان وهو يفكر في قيام دولة يهودية على حدود مصر . إذ ما الذي يمنع اليهود من ادعاء حقوق لهم في سيناء فيما بعد : انظر : د . عواطف عبد الرحمن ص ٥٣ الصحافة الصهيونية .

(٣) انظر : سهام نصار ص ٣٥ ود . علي شلش ص ٦٦ .
(٤) سهام نصار ص ٣٨ ود . عواطف عبد الرحمن ص ٦٣ .

حكومته في معروض تل أبيب سنة ١٩٣٢ ، وقد وقعت حكومة محمد محمود سنة ١٩٢٩ ضد ثورة الشعب الفلسطيني وهددت الفلسطينيين المقيمين بمصر بالطرد لانتهاهم بإثارة الفتنة الطائفية لدى الشعب المصري " (١) .

ويتضح موقف الحكومة الساند للصهيونية عندما وقعت حكومة السعديين التي كان يرأسها محمود فهمى النقراش باشا بشدة أمام " الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية " وأصدرت قرارا بحلها واعتقلت أعضاء اللجنة التأسيسية للرابطة (٢) . وكانت وزارة الشؤون الاجتماعية قد أبلغت سكرتير الرابطة " بعدم الموافقة على تكوين الرابطة لأسباب تتعلق بالأمن العام " (٣) .

(٣) موقف الأحزاب المصرية :

كان حزب الوفد أكبر الأحزاب المصرية حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، ونجد أن زعيم الحزب سعد زغلول قد رفع شعار الوحدة الوطنية والتسامح الدينى ، وقد استفاد اليهود من ذلك ، وادبر بعضهم الى الانضمام للحزب باعتباره حزب الأغلبية ، بل إن بعض الصهيونيين استطاعوا التغلغل بين صفوفه لدرجة أن ليون كاسترو مؤسس المنظمة الصهيونية في مصر أصبح السكرتير الخاص لسعد زغلول وصحبه في مفاوضاته الى أوروبا . " وقد سمح هذا الوضع بلاشك لكاسترو أن يفيد الحركة الصهيونية ، فهو كيهودى صهيونيسى استطاع أن يكسب ثقة صداقة زعيم الأمة ، مما يعطى انطبعا بعدم تعارض النشاط الصهيونى مع النشاط الوطنى المصرى ، وهذا يكفل للصهيونية حرية الحركة ، كما كان من شأنه أن يضى على اليهود مظهرها وطنيا " (٤) .

وتكشف د . عواطف عبد الرحمن عن الدور الحقيقى والخطر الذى لعبه كاسترو من خلال الوفد ، فقد كلفه سعد زغلول بالتحدث باسم الحزب فسى

(١) د . عواطف عبد الرحمن ص ٤٥ الصحافة الصهيونية ، وهذا الموقف من الفلسطينيين هو ذاته الذى تتخذه جميع الحكومات العربية فى الوقت

الراهن باستثناء حكومة موريتانيا !!!

(٢) عبد القادر ياسين ص ١١٣ ث . ف .

(٣) المرجع السابق ص ١١٨ ود . رفعت السعيد ص ٣٠٣ .

(٤) سهام نصار ص ٣٤ اليهود المصريون .

أوروبا ، كما صرح له بإصدار صحيفة Liberte الناطقة باسم الوفد بالفرنسية ، وقد نجح كاسترو من خلال الدور المزيج الذي لعبه فسي استثمار كل الامكانيات التي أتاحتها له الحركة الوطنية المصرية لمعالج الحركة الصهيونية وإقامة الوطن القوي اليهودي في فلسطين ، فقد جند صحيفته اليومية الوفدية للدعاية للفكر الصهيوني ، وكان يقوم بتحويل الاعتمادات المخصصة للدعاية الوطنية المصرية في الخارج الى الصندوق القومي اليهودي (الكرين كامييت) لشراء الأراضي الفلسطينية وإقامة مستعمرات صهيونية عليها (١) .

ويمكن تلخيص موقف الوفد بأنه كان متعاطفا مع اليهود من زاوية الحرس على الوحدة الوطنية بمن عناصر الشعب .

وهكذا ضمن اليهود في مصر عطف القصر والحكومة ومثل الاحتلال وحزب الاغلبية . أما حزب الأحرار الدستوريين فقد كانت مواقفه أكثر ميلا ناحية اليهود ، وقد مر بنا موقف حكومتهم ، حكومة محمد محمود باشا واسماعيل صدقي وكذلك أحمد زور المتعاطف مع اليهود والمعادي للفلسطينيين فسي اعوام ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٩٣٢ .

بينما تمثل العداء للصهيونية في ثلاث حركات : حركة مصر الفتاة التي عرفت باتجاهها الوطني ، وحركة " الإخوان المسلمون " ولم تفرق هاتان الحركتان بين اليهودية والصهيونية وقامتا بإثارة الرأي العام ضد اليهود بشكل عام ، ولم يقتصر موقفهما على الاثارة بل هاجم أفراد الجماعتين المحسلات والأحياء اليهودية بالقنابل والمتفجرات وأشعلوا النيران في الحى اليهودى ، وذلك بعد مظاهرات اليهود الكبرى التي نظموها احتفالا بذكرى وعد بلفور في نوفمبر ١٩٤٥ (٧) . وتجددت أحداث العنف هذه عام ١٩٤٨ ،

(١) انظر : د . عواطف عبد الرحمن ص ٥٢ وانظر : د . رفعت السعيد ص ٣٩ حيث يقول عن الجريدة (قال عنها البعض ان صاحبها يدهى المسيو كاسترو واقتصرت على معالجة المسائل التي تمس اسرائيل) .

(٧) دأب اليهود في مصر على الاحتفال بهذه الذكرى سنويا منذ ١٩١٨ بمظاهرات تطوف شوارع المدن الكبرى في مصر دون أن تتعرض لها الحكومة أو الأهالى .

وكانت هذه الأحداث ردود فعل طهيوية لتفاهم الأراض في فلسطين، واستفحال نشاط المنظمات الصهيونية في مصر وسط ما كان يهدو للشهسباب توطأ من جانب الحكم في مصر مع الانجليز والصهيونية، ولا سيما بمسند الضربة القاصمة التي تلقها الجيوش العربية في فلسطين (١).

أما الحركة الثالثة التي عرفت بعداثها للصهيونية فهي حركة اليسار المصري التي فصلت تماما بين اليهودية والصهيونية، فكانت تهاجم الصهيونية وتدعو يهود مصر الى الاندماج في وطنهم المصري، وتعمل على تهيئةهم لعدم الهجرة الى فلسطين، ومن خلال الأحزاب اليسارية شكل بمسند يهود مصر " الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية " (٢) التي لم تعمس طويلا لمحاوية الصهيونية لها من جانب والحكومة المصرية من جانب آخر.

أما بالنسبة للمثقفين المصريين فقد نجحت الصهيونية في تحييد معظمهم وخصوصا هؤلاء الذين ينتمون الى التيار القوي المصري، وقد مر بنا كيف أن الأستاذ أحمد لطفي السيد رئيس الجامعة المصرية آنذاك ذهب الى القدس وحضر حفل افتتاح الجامعة العبرية سنة ١٩٢٥.

كما حاولت الصهيونية استمالة أكبر عدد من النخبة المثقفة المصرية وذلك من خلال الصحف والمجلات التي أنشأتها وولتها الحركة الصهيونية في مصر، أو تلك التي تعتمد على الاعلانات التجارية لليهود، وتمثل موقف هذه الصحف والمجلات في التجاهل المتعمد، والمعالجات السطحية للمحدودة للصراع الفلسطيني - الصهيوني (٣).

وقد تبني د. محمد حسين هيكل رئيس تحرير صحيفة السياسة دعوى التفاهم بين العرب واليهود، هذا التفاهم الذي كانت الصهيونية تروج لسه من أجل " الوطن المشترك " (٤).

-
- (١) انظر : د. علي شلش ص ٧٦ . اليهود والمامون .
(٢) انظر : د. رفعت السعيد . اليسار المصري والقضية الفلسطينية ص ٣٠٧ مقابلة مع مؤسس الرابطة البهر آريين . دار الفارابي . بيروت ١٩٧٤ .
(٣) انظر : د. عواطف عبد الرحمن ص ٦٤ الصحافة الصهيونية في مصر .
(٤) المرجع السابق ص ٦٦ .

ولنا أن نحتج في ختام هذا العرض السريع لأوضاع اليهود في مصر
وموقف المصريين منهم مايلي :

أولاً : تمتع يهود مصر بحرية والتسامح الديني منذ دخول الاسلام
وحتى عام ١٩٤٥ ، ولم ينشأ في مصر - حتى هذا التاريخ أى أثر
للمسألة اليهودية التى نشأت في أوروبا والتى كانت السبب في نشأة
الصهيونية .

ثانياً : ان أغلبية يهود مصر لم يشتركوا في النشاط الصهيوني وإن تعاطفوا
مع الصهيونية وساندوها بالأموال في كثير من الأحيان ورأوا فيها
الحل لمشكلة اليهود " الآخرين " .

ثالثاً : سيطر الرأسماليون من اليهود سيطرة شبه كاملة على الاقتصاد المصري
وكانت الطائفة اليهودية في مصر أغنى طائفة يهودية في الشرق .

رابعاً : لم يشترك يهود مصر في النشاط السياسي المصري - باستثناء (١)
اليساريين منهم - . ويعمل لاتخاذ ذلك بقلة عددهم في مصر
ولكن الأرجح لدينا أن السبب يكمن في عدم الولاء لمصر خاصة
أن ٦٠ ألف يهودي لا يحملون الجنسية المصرية التى يحملها خمسة
آلاف يهودي فقط .

خامساً : ركزت الصهيونية العالمية على مصر باعتبارها الجسر المؤدى إلى
فلسطين ، وظل زعماء الصهيونية يزورون مصر من وقت لآخر
لاذكاء جذوة الصهيونية فيها .

سادساً : تعزز موقف الشعب المصري من الصهيونية بالسلبية - إلا في حالات
قليلة - وذلك لانشغال المصريين بقضية التحرر الوطني وغيباب
الوعي القومي .

سابعاً : دفع النشاط الصهيوني المتزايد حركة (مصر الفتاة) وحركة
==
(الإخوان المسلمون) الى مهاجمة يهود مصر دون تمييز فسي
نهاية الأربعينيات مما جعل اليهود يصدقون الدعاوى الصهيونية
بالخطر المحدق بهم إن لم يرحلوا الى فلسطين .

ثانياً : من كل ما سبق نلاحظ أن الصهيونية هي السبب الأساسي في
==
تحول نظرة المصريين الى اليهود^(١) ، وانتهاء جو التسامح
والمودة ، وحلول جو العداوة الكامل والكراهية بدلا منه .

(١) انظر : شحاتة هارون ص ٤٠ يهودى في القاهرة .

الفصل الأول

المقدمة المنطقية

كان على أحمد باكثير أول كاتب مسرحي يلتفت الى الخطر الصهيونى
محذر منه • صدق نواقيس الخطر • ولكن الوضع العام للوطن العربى فى
تلك الآونة - ١٩٤٥ - لم يكن يسمح - كما هو الحال اليوم - بأكثر من
التعاطف مع الفلسطينيين • واستتار وإدانة الأعمال الصهيونية فى فلسطين •

كتب باكثير اذن مسرحيته الأولى من مسرحياته الثلاث التى عرضت
لليهود - عام ١٩٤٥ تحت عنوان " شيلوك الجديد " وتضع من هذا
العنوان الاستفادة الكبيرة من مسرحية شكسبير " تاجر البندقية -
The Merchant of Venice " فى بناء مسرحيته بل وفى النظرة التى
اليهودى • وتقوم المسرحية على الفكرة الأساسية التالية :-

"إن الصهيونية لا يمكن أن تقتطع فلسطين من جسد الأمة العربية -
دون أن تريق الدم من هذا الجسد " (١) • وهذا الموقف - كما هو واضح -
مأخوذ من مسرحية شكسبير مع تغيير فى الأسما • فلم يكن يوسع شيلوك
أن يقتطع رطلا من لحم أنطونيو دون أن يريق دم هذا النبل أو يقطعه •

مرة أخرى نعود الى كتاب باكثير السابق الذى يوضح لنا كيف طرأت
له هذه المقارنة بين الصهيونية وشايلوك • يقول إنه قرأ أن الإرهابى الصهيونى
جابوتسكى خطب مرة فى مجلس العموم البريطانى وهو يضرب المنضدة بقبضته
ويقول : أعطونا رطل اللحم • لن نتنازل عن رطل اللحم (٢) • مشيرا بذلك
الى وعد بلفور الذى ينص على إقامة وطن قوم لليهود فى فلسطين • (٣)

موضح باكثير فكرته أكثر من خلال المقطعات التى وضعها فى مقدمة
المسرحية • ومن ذلك كلمة للاستاذ عبد القادر الطازى نشرتها أخبار اليوم
بتاريخ ١٩٤٥/٨/١٨ يقول فيها : "إن البلاد العربية المحيطة بفلسطين -

(١) انظر : فن المسرحية من خلال تجارب الشخصية • على أحمد باكثير
ص ٤٤ مكتبة مصر ط ٣ • ١٩٨٥ •

(٢) السابق ص ٤٣ •

(٣) انظر نص هذا الخطاب ص ٤٣ وما بعدها من كتاب " الفكرة الصهيونية "
النصوص الأساسية " ترجمة لطفى العابد وموسى عنز • مركز الابحاث
الفلسطينية • بيروت • ١٩٧٠ •

لاستطيع أن تطمئن على استقلالها وحريتها السياسية والاقتصادية يوماً واحداً إذا ضاعت فلسطين وابتلعتها الصهيونية . هذا ما يجب أن يفهمه كل فرد من أبناء هذه الأمم وأولها مصر ، فليس لنا غير الرق الاقتصادي وتتبعه العبودية السياسية إذا قامت الدولة الصهيونية ^(١) ، ولقد أثبتت الأحداث بما لا يدع مجالاً للشك صدق هذه المقولة / النبوة للاستئناف المازني التي تنبأها باكتير المسرحية .

يقسم باكتير المسرحية الى جزأين : الأول بعنوان " المشكلة " ومعرض فيه للأسباب الملتوية التي كانت تتبعها الصهيونية للاستيلاء على أرض فلسطين ، متخذاً من حياة أسرة عربية محرومة له ، تعيش هذه الأسرة في القدس ، ونرى عبد الله الفياض الذي يعيش مع عمه كاظم بك — ضحية للحيل الصهيونية ، حيث ينجح حوله شيلوك — مدير النشاط الصهيوني في فلسطين — خيوط العنكبوت ، متمثلة في فتاة يهودية جميلة تدعى راشيل ، حتى يضطره لبيع أرضه من كثرة الانفاق عليها ، ورفض عبد الله كل النصائح والتحذيرات التي يوجهها له عمه وميخائيل بك صديق المائلة ، مشترك في نصب الشباك حول عبد الله شاب عريس فقد أرضه وثروته بنفس الوسيلة ، فأصبح يعمل قواداً للفتيات اليهوديات كي يحصل على القليل من المال من شيلوك .

هذه البداية التي تركز على " قضية بيع الأراضي في فلسطين " تبين أن الكاتب — رغم وعيه الشديد — قد وقع أسير الدعاية الصهيونية — سئى صورة أخرى من هذا الوقوع في أسر الدعاية الصهيونية في مسرحية " شعب الله المختار " — هذه الدعاية التي روجت لشراء الأراضي ، وصورت الفلسطينيين يبيعون أرضهم بكل سهولة حتى صدقها كثير من العرب وظلوا يرددونها الى يومنا هذا ، بينما تشير الأرقام الرسمية التي نشرتها كل من بريطانيا وإسرائيل — فيما بعد إلى أن الأراضي التي كانت بحوزة اليهود حتى عام ١٩٤٧ كانت لا تتجاوز ٧% من أراضي فلسطين ، وأن اليهود قد اشتروا ٨١% منها من كبار الملاك اللبنانيين

(١) مقدمة المسرحية ص ٣ ، مكتبة مصر ، ١٩٨٥ .

والسوريين الذين آثروا تصفية ممتلكاتهم في فلسطين اثر تدهور الأوضاع
الأمنية فيها ، بينما اشترى اليهود ١١% فقط منها من الفلاحين الفلسطينيين (١)
أى ما يوازى ٢٥% من أرض فلسطين . ولو حاولنا تجريد هذا الرقم
ما به من مهالغة ، واضعين في الاعتبار الأراضي الحكومية التى منحها
حكومة الانتداب لليهود ، والأراضي التى استولوا عليها " بوضع اليد " والنسبة
أشاعت الدعاية الصهيونية أنها اشترتها من الفلاحين لوجدنا أن الرقم
الحقيقى لما باعه الفلاحون الفلسطينيون لا يتجاوز ٢٥% من المجموع الكلى
للأرض ، وهو رقم لا يتساوى على الإطلاق مع تلك الدعاية الصهيونية حول بيع
الفلسطينيين لأراضيهم ، والتى قصدت من ورائها الى إعطاء الصبغة الشرعية
لوجود اليهود ، ولأدهى من ذلك وقوع كثير من المفكرين العرب أسرى
هذه الدعاية .

يمضى باكثر رواه فكرته مبررا موقف هؤلاء الفلاحين الذين باعوا
أراضيهم ، فقد ألغت سلطات الانتداب بنوك التسليف الزراعية التى كانت
تقرض الفلاحين للاستعانة على أمور الزراعة حتى يتم بيع المحصول ما أفسح
المجال أمام شيلوك لإقراض الفلاحين بالربا الفاحش ، كما يوعز للحكومة
بإصدار قانون يمنع تصدير الزيت والقمح ، قبيل الحصاد الى الخارج حتى
تهبط الاسعار ومعجز العرب عن سداد الديون فيضطروا الى بيع أراضيهم ،
أما الموظف البريطانى الذى سيصدر هذا القانون يقول شيلوك " سأبعث
له بما يرضيه " (٢)

إذن باع عبد الله أرضه بخديعة صهيونية فعاقبه الكاتب عقابا
مخفقا ، وذلك تمهيدا لعودته تائبا فيما بعد ، وذلك ضمن مفهوم الشخصية
العربية النقية مقابل الشخصية اليهودية الشريرة . طرده عنه كاظم من البيت
فلجأ الى شيلوك ورفع قضية ضد عمه ، وأخذ يفترض من شيلوك - العربى -
حتى ضاع كل شئ " فعاد عبد الله تائبا . وحتى يكثر عن خطيئته هذه

(١) آن . م . ش " النظرية والممارسة " الصهيونية ص ٥٨ عالم الفكر
م ١٤٤ ع ١٩٨٣ ، ترجمة يسر عبد الموجود ومحمد جمال إمام .
(٢) المسرحية ص ٥٢ - ٥٣ .

التحق بالثوار في الجبل • وقد أوحى تصوير عبد الله في المسرحية لأحد الباحثين أن يرى في شخص عبد الله رمزاً لكل الشباب الفلسطينيين السذى ارتضى في الشباك التي نصبها لهم الصهاينة بنسائهم وخمرهم ومساعدتهم الشيطانية لهم. (١)

وتعرض المسرحية • في تنابا الأحداث • لدور حكومة الانتداب في مساعدة الصهاينة في كل شيء • للتمكين لهم من فلسطين • كما تعرض للإرهاب خاصة ضد أولئك الذين يرفضون بيع أراضيهم • حيث قام ضابط الشرطة زيكناخ بقتل الشيخ سعد مع أفراد أسرته جميعاً • وتمكن من الخروج من السجن دون عقاب • كذلك تعرض المسرحية للمضايقات الكثيرة التي عانى منها الموظفون العرب في المصالح والمؤسسات الحكومية التي سيطر عليها اليهود بواسطة حكومة الانتداب • مما جعل الكثير من الموظفين يتركسون وظائفهم • كذلك عرض الكاتب لقضية مطاردة العمالة العربية التي كانت واضحة في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن • وتفجرت المشكلة بحدة عام ١٩٣٣ عندما رغب بعض البناء وزارعى الموالح اليهود في تأجير العمال العرب شن الهستدروت حملة لاستبعادهم • وقد جرى تجنيد العمال اليهود لحصد الموالح وقامت الوحدات المتحركة بطرد العمال العرب من مواقع العمل • (٢)

ولاحظ على هذا الجزء من المسرحية أن ما به من أفكار أكثر بكثير مما به من أحداث • حيث يحشد الكاتب عشرات القضايا التي كانت مثار جدال • فهو يعرض لليهود الشرقيين (السفاريم) الذين يرفضون الصهيونية كحل للمسألة اليهودية • ويرون أن الصهيونية أضرت بمصالح اليهود (٣) • بل إن المؤلف يتخذ من شخصية ابراهيم اليهودى الشرقى

(١) انظر : د • عصام بهى • الشخصية الشريرة في الأدب المسرحى •

ص ٢٣٣ الهيئة العامة للكتاب • ١٩٨٦ •

(٢) أن • م • لش ص ٦٠ •

(٣) وهي نفس المقولة التي صدرت عن اليهود المعادين للصهيونية فى

مصر • انظر نص بيان الرابطة • عواطف عبد الرحمن ص ١٣٩ • كذلك

موقف رئيس الرابطة الذى ردد نفس العبارة • سهام نصار ص ٢٩ •

اللاصهيونى ، قنطا يقول من خلاله الكثير من الآراء والأفكار حول الصهيونية
وإن بدا ذلك في بعض الأحيان - لا يخلو من افتعال . (١)

متوقف الكاتب طويلا في هذه المسرحية - والمسرحيات التالية -
عند قضية يهود الشرق ومعاملة العرب لهم عبر العصور ، وكيف أنهم -
أزدهروا ولم يشعروا بأية تفرقة تحت الحكم العربى الإسلامى ، فى حين
لاقوا المذابح والاضطهاد فى أوروبا ، وفى المقابل جاء اليهود القتلعة
وسفكة الدماء ، وجالبوا الشر والآثام الخلقية والاجتماعية والسياسية -
ليرتكبوها فى هذه الأرض الطاهرة التى باركها الله وقدها موسى والمسيح
ومحمد . (٢)

عرض الكاتب لهذه القضايا ، وقضايا غيرها فرعية ، لكنه حتى الآن لم
يعرض للقضية الأساسية فى مسرحيته ، فإذا ما انتقلنا الى الجزء الثانى
من المسرحية المعنون بـ " الحل " وجدناه يقوم على محكمة دولية
عربية ويهودية لمناقشة القضية الفلسطينية ، وينادى شيلوك مع جابوتنسكى -
أو نيابة عنه - أعطونا رطل اللحم ، لقد وعدتمونا برطل من اللحم فاعطونا
ذلك الرطل . (٣)

ولم يتقص شيلوك باكتير شخصية جابوتنسكى فقط ، ولكن تقص كذلك
شخصية شيلوك الشكسبيرى ، وذلك حين يحتكمون الى مسرحية شكسبير -
لحل مشكلة فلسطين . متقص المندوب البريطانى سرودز شخصية النيهل
البندقى انطونيو ، ولكن إذا كان انطونيو قد تعهد - كما يقول المندوب
المربى ميخائيل - بما يملك ، فإن بريطانيا تعهدت بما يملك الآخرون . (٤)
والغريب حقا أن باكتير يتعاطف مع بريطانيا نفس تعاطفه مع انطونيو شكسبير
والقضية هنا ليست تشابة " أدوار " بقدر ما هى قضية النظر الى بريطانيا
باعتبارها حليفة للعرب ، وهذه النظرة ليست جديدة تماما ، فقد تبناها

(١) انظر على سبيل المثال ص ٦٨ من المسرحية .

(٢) المسرحية ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٣) المسرحية ص ١٤٣ .

(٤) المسرحية ص ١٤٧ .

- فى تلك الفترة - بعض المثقفين المصريين ^(١) ، أما وعد بلفور ، فيرى الكاتب أنه لم يصدر إلا تحت ظروف الحرب العالمية الأولى القاهرة ، وحاولت بريطانيا - بعدها - التحلل من هذا الوعد ولكنها لم تستطع ، وهذه النظرة القاصرة الى العلاقة بين الصهيونية والامبريالية العالمية - التى مثلتها بريطانيا فى ذلك الوقت - تبدو غريبة وسط ذلك الوعى السياسى المبكر الذى أظهره باكثر فى ثانيا المسرحية ، بل وذلك الحس التنبؤى الصادق ، كما سنرى - بعد قليل - يصل الكاتب ، من خلال المقارنة مع تاجر البندقية ، الى مقدمته المنطقية ، واستمرارا فى النظر الى بريطانيا كحليف ، يضع مقدمته المنطقية على لسان سوندرز الحليف البريطانى : سوندرز : إن شيلوك تمسك باقتطاع رطل اللحم من جسم انطونيوس ، فلما قيل له خذ رطلك من اللحم بشرط أن لا تريق قطره من الدم عجز وأبلس وأدرك خطأه وتغنى لو قبل الصلح ولكن بعد فوات الأوان . وإنى لأخشى أن يكون مصيركم كصير شيلوك : تريدون اقتطاع فلسطين وهى فى مكان القلب من جسم الوطن العربى ، وتصرون على ذلك جاهلين أو متجاهلين أن ذلك يستحيل بدون أن تريقا قطرات من الدم . ^(٢)

وقد أصاب باكثر كبد الحقيقة فى مقولته هذه ، إذ أن الحروب المستمرة بين إسرائيل والدول العربية منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن لتشهد على صحتها . أما سبب هذه الحروب ، أو قطرات الدماء بحسب تعبير المؤلف ، فليس من أجل استرداد فلسطين - رطل اللحم - ولكن لأن الصهيونية لا تكفى برطل اللحم هذا وتريد الجسم كله ، هذا شيلوك المعاصر يحتج لسميه القديم :

شيلوك : مادام قد كتب له فى الصك بحقه فى اقتطاع رطل من لحم ذلك المسيحى فى أى جزء يختاره من جسمه ، فقد ثبت له الحق بمقتضى هذا الصك فى امتلاك الجسم كله والتصرف فيه كما يشاء . ^(٣)

(١) انظر : عواطف عبد الرحمن ص ١٧٠ ، الصحافة الصهيونية فى مصر .

(٢) المسرحية ص ١٤٩ .

(٣) المسرحية ص ١٥٠ .

ويطبق شيلوك المعاصر هذا المنطق على القضية المعاصرة :

شيلوك : إننا لن نأخذ رطل اللحم فحسب ، فلو أردنا ذلك لما استطعنا
أقتطاع الرطل إلا بإراقه الدم ولاحق لنا في هذا ، بل لا مصلحة
لنا فيه .

سوردز : هل تعنى أنكم ستأخذون الوطن العربى كله لتقيموا فيه الدولة
اليهودية ؟

شيلوك : ستقوم الدولة اليهودية فى فلسطين ولكننا لن نقتطعها من
الوطن العربى ، لأن هذا الوطن سيكون المجال الحيوى لها
ولنشاطها .^(١)

الأطماع الصهيونية ليس لها حدود ، هذا ما تقولوه جميع شخصيات
المسرحية حتى اليهودية منها ، ويؤكد هذه الأطماع نفوق عسكرى فى
السلاح والعتاد جاهر به شيلوك وأقره عليه المندوب العربى^(٢) ، وهذا
فى الجانب الصهيونى ، ولكن كيف صوّر الكاتب موقف العرب — من
الاستيلاء على فلسطين والأطماع فى بقية العالم العربى ؟ .. السلبية
المطلقة ... هذه هى الصورة العربية عند الكاتب وهو فى ذلك
غير مبالغ ولا متجن ، فهذا هو حال العرب فى ذلك الوقت — وحتى وقتنا
هذا — وعندما فكر الكاتب فى القضاء على إسرائيل ، لم يضع لقوة العرب
أى اعتبار ، بل إن انهيار إسرائيل سيكون من داخلها نتيجة انهيار
اقتصادها ، هذه الفكرة التى يعاودها الكاتب فى مسرحيته " شعب الله
المختار " بعد أحد عشر عاما ، ومع غياب الفعالية العربية أيضا ، والأمـر
الوحيد الذى سيقوم به العرب للقضاء على إسرائيل هو مقاطعة السلع
اليهودية :

فيصل : إن هذه الدولة إن قامت فستكون دولة يهودية صناعية فى
قلب عالم عربى معاد لها يقاطع سلعها اليهودية ، فليت شعرى

هل يقدر لهذه الدولة البقاء ؟ ألا يقع اليهود إذن في كارثة اقتصادية تجتاح ما كنزوه من الذهب طول القرون ؟ ^(١)

وهذه النتيجة المتمثلة في اكتفاء العرب بمقاطعة السلع اليهودية في مقابل استيلاء الصهيونية على فلسطين وأطاعها في بقية العالم العربي ، هذه النتيجة لا تبدو منطقية لتلك المقدمة المنطقية ، وكان من الممكن اعتبار ذلك خلافاً في بناء المسرحية الفكرية ، لولا أن الواقع الفعلي للعرب تجسيد حي لهذه اللامنتطقية في النتائج أو ردود الأفعال والأدب مرآة وليس تحريفاً للواقع ، تحققت إذن نبوءة باكتير الأولى في قيام دولة إسرائيل ، بينما تخلفت النبوءة الثانية المتمثلة في انهيار هذه الدولة بعد سبع سنوات من قيامها نتيجة مقاطعة العرب الاقتصادية لها ، ويدافع باكتير بحماس عن نبوءته هذه ، وعزو السبب في عدم تحقيقها لأن الحصار الذي فرضه العرب لم يكن محكماً كما ينبغي ، إذ توجد به فجوات من حدود بعض الدول العربية التي ياتمر رؤساؤها وحكامها بأوامر الاستعمار والصهيونية ^(٢) وفي مرة أخرى يقع باكتير في تناقض إدراكى غير مبرر ، فهو يدرك في مقولته السابقة ارتباط الصهيونية بالاستعمار ، ولكن يغيب عنه أنه مع هذا الارتباط الوثيق لن تؤدي المقاطعة العربية - في أتم صورها المفترضة - إلى انهيار إسرائيل ، ولح باكتير على هذه القضية ، ويتناولها في مسرحيته الثانية (شعب الله المختار) حيث يتحدث كوهين عن " البضائع الإسرائيلية التي تغمر الأسواق العربية " .

ويستبهِه باكتير ، بمعنى مبكر - أيضاً - إلى الطبيعة الإحلالية لهذا اللون الجديد من ألوان الاستعمار ، لذا فهو يتبها بعملية "نقل"

(١) المسرحية ص ٢١٢ .

(٢) فن المسرحية من خلال تجارب الشخصية . باكتير ص ٤٤ .

إجبارى للعرب من فلسطين ، ولقد استند باكثر فى نهوته هذه الى ما ساد الوكالة اليهودية من مناقشات منذ عام ١٩٣٦ حول ضرورة نقل الفلاحين العرب الى شرق الأردن والعراق ، " ومثال نقل السكان بين اليونان وتركيا تحت إشراف عصبة الأمم قد طرح كسابقة ، وليس من قبيل الصدفة أن مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧ ، قد تضمن فكرة نقل السكان (١) .

وقد كانت حرب ١٩٤٨ فرصة ثمينة للقائمين على المشروع الصهيونى من أجل إخلاء فلسطين من سكانها الأصليين وذلك للحفاظ على الطبيعة الإثنية للكيان الجديد . ويقترح الكاتب أن تقوم عملية "نقل" مقابلة ليهود البلاد العربية للدولة الجديدة ، ومتعمداً مندوب الجامعة العربية بتوصيل هؤلاء اليهود بأموالهم وممتلكاتهم الى فلسطين (٢) ، ومن المؤسف أن الحكومات العربية قد أخذت بهذا الاقتراح بعد قيام دولة إسرائيل - فتدفق اليها يهود البلاد العربية ، وشكلوا ما يزيد على ٦٠% من سكانها ، ولم يكن هذا "النقل" ليهود البلاد العربية مقابلاً لعملية نقل الفلسطينيين الإجبارى ، وإنما كانت ردة فعل عصبية من البعض ، وتخوفاً من مكر هؤلاء اليهود من البعض الآخر ، ولعل هذه الفكرة قد نالت قسطاً من الذبوع وقت كتابتها المسرحية ، فقد كتب الاستاذ مصطفى السعدنى ، وأقتبس عنه باكتير فى مقدمة المسرحية ، كتب فى مجلة الشرق الجديد : " يحسن ألا يأخذنا حسن الظن باليهود الذين يعيشون داخل بلاد الجامعة العربية ، فلن يترددوا فى العمل لحساب الدولة اليهودية المقبلة فى الوقت المناسب ، وسيستعملون كل الأسلحة التى توصلهم لتحقيق أغراضهم (٣) .

(١) آن . م . ل . ش ص ٦٤ .

(٢) المسرحية ص ٢٢٨ .

(٣) مقدمة المسرحية ص ٣ .

وقد قامت حكومة نوري السعيد في العراق بالتواطؤ مع الدوائر الاستعمارية بترحيل قرابة ١١٨ ألف يهودي الى إسرائيل بعد أن أسقطت عنهم الجنسية العراقية بموجب القانون رقم ١ لسنة ١٩٥٠ الذي جاء فيه في مجال تبرير إصداره : إن الحكومة العراقية قد اتخذته للتخلص من طائفة بغضضة المشاكل (١) ، وهكذا صدرت البلاد العربية لإسرائيل أكثر من ٦٠% من سكانها بعد أن كانت مشكلة إسرائيل الكبرى قلة عدد السكان ، حتى أطلق بن جوريون كلمته المشهورة " أيها اليهود القذرون ارحلوا الى فلسطين " .

ويعود بالكثير ليقبل هؤلاء اليهود ثانية في البلاد العربية بعد أن تتم تصفية إسرائيل ، ولكن بشرط عدم الإضرار بالاقتصاد القومي للدول التي يقيمون فيها كما كانوا يفعلون قبل مفادرتها :

عبد الله : إن البلاد العربية قد تنفست الصعداء وانتعشت اقتصاديا منذ تخلصت من هؤلاء واستراحت من احتكارهم للاستيراد الخارجي وتلاعبهم بالبورصة ومعض البضائع التي يسحبونها من الأسواق ليبيعوها بعد ذلك بأسعار عالية (٢) .

وتكون عودة هؤلاء اليهود جزءا من حل المسألة اليهودية التي يلقي كوهين بتبعه وجودها على " الأغيار " يقول :

كوهين : لكن اليهودي ما برح منذ القدم ينظر إليه بعين الريبة والحذر في كل بلد يحل به كأنه من طينه أخرى غير طينه البشرية ، فإذا تمكن بالرغم من ذلك من النجاح في معتبرك الحياة بجده وذكائه عد ذلك ذنبا عليه فكرهوه على الأقل

(١) انظر: عبد القادر ياسين . عصبة مكافحة الصهيونية ص ١٥٩ ،

ش . ف . ع ١٥ نوفمبر ١٩٢٢ . بيروت .

(٢) المسرحية ص ٢٥٨ .

إن لم يضطهدوه ، وهكذا نشأت هذه المشكلة الإنسانية
ونتيجة احساس اليهودى الحاد بعصبية الجنسية لا يمكن حل
هذه المشكلة إلا بإعطاء اليهود وطنا يقيمون فيه ويشعرون أنه
وطنهم وهذا ما فكر فيه الصهيونيون وجاهدوا من أجله .

فيصل : حسنا ، فإذا أعطى لكم وطن فهل تبقون فى غيره من البلاد
المختلفة ، أم تتركونها لتعيشوا فى الوطن المعطى لكم ؟

كوهين : بالطبع سنعيش فى الوطن المعطى لنا .

فيصل : إذن فلسطين لن تستوعبكم جميعا .

كوهين : لا حرج أن يعيش بعضنا فى البلاد الأخرى .

فيصل : فسيكون هذا وضعاً غريباً ، إذ لا توجد أمة تعيش أقليتها فى
وطنها وأكثريتها فى بلاد الشعوب الأخرى ، وعلى ذلك سيبقى
الاضطهاد الذى تشكون منه .

كوهين : ولكن سيخف .

فيصل : لقد أقررت إذن أن هذا ليس حلاً تاماً للمشكلة ، وإنما هو
تلطيف لحدثها فى زعمك وكان أولى بكم أن تفكروا فى الحل
التام (١) .

صحيح أن هناك أبعاداً نفسية ودينية للمسألة اليهودية ولكنها
لم تكن الأساس فى ظهور هذه المسألة الى حيز الوجود ، وكان
الأساس فى ذلك " التحول الاجتماعى الذى طرأ فى أوروبا بظهور طبقة
من التجار المحليين والمصارف المحلية التى حلت محل التجار المراكبيين
اليهود " (٢) .

(١) المسرحية ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) د . عبد الوهاب المسيرى : الحركة الصهيونية ، الخلفية
التاريخية ص ١٨ عالم الفكر م ١٢ ع ١ .

وهذا ما جعل اليهود يعيشون حالة على المجتمع الأوروى ،
ذلك أنهم لم يتعاملوا على أساس أنهم جزء من هذا المجتمع . السى
جانب اعتبارات دينية كثيرة من اتهام اليهود بقتل السيد المسيح واتهامهم
كذلك بذبح الأطفال المسيحيين للحصول على دمائهم لعمل " فطير
الفصح " وغير ذلك من التهم التى كانت تثار فى الأوقات التى تجدد
الحكومات ضررا اقتصاديا من تواجد اليهود فى أراضيها .

وإذا كان هذا هو لب المسألة اليهودية ، فإن حلها — كما
ترى المسرحية — لا يكون باغتصاب قطعة أرض يعيش عليها خمسهم فقط ،
بل إن الحل الحقيقى يكمن فى اندماج اليهود فى الشعوب التى يقيمون
بين ظهرايينها وتحولهم الى جماعة منتجة ، فقد ظلت أوروبا متفاضية
عن الجوانب النفسية والدينية " للمسألة اليهودية " حتى طغى الجانب
الاقتصادى على السطح مما أدى الى طرد معظم يهود أوروبا الغربية
الى أوروبا الشرقية حيث تقاومت المسألة اليهودية ومن ثم ظهرت الحركة
الصهيونية كحل لها . كل هذه القضايا التى عرض لها باكثر فى مسرحيته
تظهر أنه لم يخلص لمقدمته المنطقية ، حتى أنها جاءت عرضا ولم تحتل
سوى حيز ضئيل من الجزء الثانى من المسرحية ، وأدخل الكاتب فى
المسرحية كثيرا جدا من الأفكار التى كانت تشغل القلة من المثقفين
الذين اهتموا بقضية فلسطين ، وحاولوا تنبيه العرب لها من قبل أن تضيع .

* * *

شعب الله المختار ١٩٥٦

كتب باكثر هذه المسرحية بعد أحد عشر عاما من كتابة
المسرحية السابقة ، فما الذى طرأ على تفكير الكاتب تجاه اليهود
والدولة اليهودية ؟

تعتبر هذه المسرحية — بشكل من الأشكال — امتدادا للمسرحية
السابقة مع بعض التعديلات التى أقتضتها الأحداث ، فالكيان الاسرائيلى

لم ينته كما تنبأ - أو تمنى - فى المسرحية الأولى ، والعرب فشلوا حتى فى مقاطعة السلع الإسرائيلية ، لذا قام باكثر بتغيير الكيفية التى ستزول بها إسرائيل . ولكنه لم يتخل - حتى هذه اللحظة - عن هذه النبوءة / الأمنية ، ويمكن معرفة هذه الكيفية من المقدمة المنطقية للمسرحية التى يمكن عرضها كالتالى : إن التناقضات التى تعج بها إسرائيل لابد ستقضى عليها ، والتناقضات التى يعرض لها الكاتب كثيرة ومتنوعة ولكن أهمها التناقضات العرقية ، فإسرائيل تقوم ، كما يقول حاتم - " على المفاليك والصعاليك من كل شكل ولون " وهؤلاء المفاليك والصعاليك ينقسمون الى قسمين أساسيين : السفارديم والشكازيم ، وبينهما من التناقض ما يجعل الحياة الصحيحة بينهما مستحيلة ، فهذا عزرا اليمنى - السفاردى - ينزع عن الشكازيم صفة الاختيار التى تميز اليهود من وجهة نظره :

عزرا : ... لأنكم لستم من شعب الله المختار ، أنتم دخلاء ممن نطف السلاف والصقالية واللاتين والجومان ومن شئتم من الأمم .^(١)

وهذا القول السفاردى ينم - بالإضافة الى التناقض الكبير - عن هدم نظرية النقاء العنصرى لليهود التى تقوم عليها الصهيونية ، ولو أن عزرا يجعل السفارديم هم الشعب المختار ، ولكن عزرا هذا لا يدري أن هذه النظرية إذا انهار جانب منها أنهارت كلها ، فإذا كانت العناصر الأوروبية قد تدخلت فى تكوين الشكازيم فكيف يجزم أن العناصر الشرقية لم تدخل فى تكوين السفارديم ؟ وهذه الفكرة هى ما يسعى إليه باكثر فى المسرحية ، وهى أن اليهودية دين وليست جنسا . مرة أخرى يغفل الكاتب عن عمد دور العرب فى " القضا " على إسرائيل بل إنه هذه المرة يغفل الشخصيات العربية ما عدا شخصية شيخ عربى

(١) شعب الله المختار ص ١٩ ، مكتبة مصر ، ١٩٥٦ .

بائع لبن يظهر للحظة واحدة ومنطق كلمات مهددات يختفى بعدها
تماما ، وتظل المشكلة اليهودية والصراع اليهودي ، والحل أيضا - يهودي -
فلم يحدث خلال هذه الفترة التي توسطت المسرحيتين (١٩٤٥ -
١٩٥٦) ما يجعل الكاتب يغير من رأيه في العرب - بل إنه ذكر
هذه المرة صراحة أن البضائع الاسرائيلية تهرب الى الأسواق العربية
عن طريق قبرص واليونان وتركيا وإيطاليا - يضيف كوهين - ولكن هذا
إجراء مؤقت على كل حال ربما يتم الصلح قريبا بيننا وبين العرب
فنغزو أسواقهم ببضائعنا ونستورد منها المواد الخام . أما كيفية
الوصول لهذا الصلح فلاتهم ، المهم أن الصلح أمر حتى " سنحصل
على الصلح بأي سبيل . بالرضا إن أمكن ولا فبالقوة " (١)

والصلح ضروري لإسرائيل ولكن هناك ما هو أكثر أهمية وتسعى
إليه إسرائيل جاهدة ، وهو إضعاف البلاد العربية المحيطة بها ،
بكل الوسائل والسبل ، وهذه ماثرة جديدة من مآثر بن جوريون :

ليفى : وماذا فعل بن جوريون ؟
كوهين : وجه همه الى تحطيم كيان العرب بوسائل مختلفة حتى يرضخوا
للصلح .

ليفى : كيف ؟
كوهين : أنشأ وزارة خاصة لتهريب الحشيش الى مصر .
كوهان : إنه أفعل في تحطيم مصر من أى سلاح آخر . ونحن نربح
ماديا ومعنويا منه .

كوهين : ونظم شبكة هائلة للتجسس على مصر . (٢)

(١) المسرحية ص ١٥ - ١٦ .

(٢) المسرحية ص ٥٨ .

ومن هذه المتناقضات الحادة أن إسرائيل تقوم على الدين اليهودي بينما لا يؤمن أغلب اليهود بهذا الدين ، يقول كوهينوف عن تعطيل الدوائر الرسمية يوم السبت .

كوهينوف : الواقع أن هذا سخف لا مبرر له في (دولة) فتية متدنه . (١)

أما التناقض الأكبر الذي يشمل ما سبق جميعا ، وسيؤدي حتما إلى انهيار إسرائيل - كما يرى الكاتب - فهو ادعاء وجود دولة دون أي مقومات لهذه الدولة ، فلا تجانس بين السكان ، ولا تجانس في الدين أو اللون أو الانتماء الحضاري ، والأهم من ذلك عدم وجود أساس اقتصادي . فهذه الدولة تعتمد تماما على المعونة الأمريكية ؛

ليفى : لقد مضت الولايات المتحدة حتى الآن ما يزيد على ألف مليون دولار .

كوهينوف : هذا مبلغ طافه لا يزال في عنق الولايات المتحدة لإسرائيل أن تدفع أضعاف هذا المبلغ .

اندرسن : تذكر يا مستر كوهين أن دافع الضرائب الأمريكي لن يصبر على هذا طويلا .

كوهان : إنني أحتج على هذه النغمة ضد اليهود .

ليفى : إنه معذور إذ خشى أن ينقلب الرأي العام في أمريكا على اليهود .

كوهينوف : هذا محال . نحن المسيطرون على كل شيء . . . على الصحافة والإذاعة والبنوك والمصالح الحكومية وعلى الكونجرس بل على البيت الأبيض نفسه .

اندرسن : صدقتى يا مستر كوهينسون أن الشعب الأمريكي يجهل معظمه هذه الحقائق . . . يوم يعرفها سيكون له شأن آخر . (١)

ولكن هل صحيح أن أمريكا تساعد إسرائيل لمجرد سيطرة اليهود على المرافق الأمريكية ؟ وأنه بمجرد معرفة دافع الضرائب الأمريكي لهذه الحقيقة ستتوقف أمريكا عن مساعدة إسرائيل مما يؤدي إلى انهيار الأخيرة ؟ ؟
إذا اخترنا صحة هذه النبوءة / الأمنية بعرضها على الواقع سنجد أنها لا تصمد أمامه ، فالقوى الاستعمارية العالمية ، وخاصة

الولايات المتحدة الأمريكية ، ليست على استعداد للتخلي عن إسرائيل التي تخدم أهدافهم في ضرب الحركة الوطنية والقومية العربية في كل آن أرادت النهوض فيه ، كما أنها تعوق التنمية العربية التي تهدف الى خلق اقتصاد قوى مستقل بذاته يستغنى عن الاعتماد على القوى الاستعمارية . ثم " ان وجود إسرائيل في المنطقة يبيح المواد الخام العربية — خاصة البترول — للدول الصناعية الكبرى التي لا تستغنى عنه ، وأهم من ذلك أن وجود إسرائيل حل مشكلة اللاجئين اليهود الذين تدفقوا على أوروبا الغربية والولايات المتحدة في نهاية القرن الماضي ومدايات القرن الحالى ، وأتاح لهذه الدول التخلص — الى الأبد — فى تصورهم — من مشكلة الاقليات اليهودية الطفيلية فى المجتمعات الغربية " (١)

هذا هو التناقض — المقدمة المنطقية — الذى تقوم عليه المسرحية ، ولا يستخدم الكاتب لإثباته والتدليل عليه قصة Tail بالمفهوم المسرحى بها شخصيات ، وأحداث وصراع وحوار ، ولكنه يركز فقط على الحوار والمناقشات المستفيضة مما جعل هذه المسرحية مسرحية كلامية Tarking play بطيئة الحركة ساكنة الصراع ، وهذا ما يجعلها أصح للقراءة منها للتقديم على خشبة المسرح ، حيث يقدم لنا الكاتب أربعة كوهينات (كوهين — كوهان — كوهينسون — كوهينوف) كل منهم من بلد وهم من أعضاء الكنيسة ومثلون وجهة النظر الصهيونية يقيمون فى فندق يديره حاتم ، اليهودى النموى ، وزوجته سارة وابنته راشيل اللتان تقدمان المتعة الرخيصة للزائن تحت سمع ومصرع الزوج والأب ، وهناك يهودى مصرى الأصل يدعى سيمون ، وأمريكى كان أحدهما يدعى ليفى والآخر يدعى اندرسن وصلا حديثا لاستثمار أموالهما

(١) د . عصام بهى ص ٢٤٨ ، الشخصية الشريرة فى الادب المسرحى .

فى إسرائيل ولكن الحكومة تضع أموالها باسم اليهودى لكى لا يستطيع الأمريكى الخروج بها ، وتظل هذه الأموال تتآكل حتى يكتشف الاثنان زيف الدعاية الصهيونية وفى الوقت ذاته يكون سيمون المصرى - قد حصل على البراءة فى قضية تخايره ضد مصر ولصالح إسرائيل- وهذا عن طريق القص وليس الحدث مما يجعله يشعر بالولاء الكامل لمصر بمعد أن كان ممزقا بين الولاء لمصر والولاء لإسرائيل ، وهذا أحد التناقضات التى يقوم عليها المجتمع الإسرائيلى وتقوم عليها المسرحية ، ويتحول سيمون الى داعية لمطالبة الصهيونية بينما انتحر صديقة الرومانسى موردخاى نتيجة هذا التمزق فى الولاء ، لشعره بأنه يخون بلده الأصلى رومانيا بولائه لإسرائيل ، وقد ناقش الصهاينة قضية الولاء اليهودى مناقشة مستغيضة أدت بهم الى اعتبار المساهمات اليهودية - كما يقول ليفى اشكول - التى تتم على " أرض أجنبية " محض خيانة للروح اليهودية ، فوالا اليهود الموجودين فى كل مكان لشعبهم اليهودى ولوطنهم القومى فحسب ، وليس لأوطانهم التى يعيشون فيها .

وقد بينَ وايزمان أن أولئك اليهود الذين يتساوى ولاؤهم القومى اليهودى مع ولائهم لأوطانهم جديرون بالربط والاحتقار . وقد كان ناحوم جولدمان قد نصح اليهود بأن يقسموا ولاؤهم بالتساوى بين الدولة التى يحيون فيها والوطن القومى اليهودى ، ونصيحة جولدمان هذه تفترض وجود جوهرين داخل كل يهودى ، جوهر يهودى وجوهر آخر يختلف باختلاف وطنه .^(١)

(١) انظر د . عبد الوهاب المسيرى . الأيديولوجية الصهيونية قسم ١ ص ٢٧٤ . عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٢ .

وفى المسرحية ، يتحول الأمريكيان كذلك الى مطاردة الصهيونية ، ونرى هذه الدعوة تتغشى تماما بين اليهود . دون سبب ظاهر ، حتى تقوم ثورة عارمة بين السكان ، على اثر الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى نتجت عن توقف أمريكا عن مساندة إسرائيل ، وتنتهى الثورة بخلع حكومة بن جوريون وتعيين حكومة مؤقتة بقيادة ليفى مهمتها حل دولة إسرائيل وإعادة فلسطين الى العرب بكرم يهودى غير معهود ! .

هذا : يسمى الكاتب مسرحيته " ملهاة " على الرغم من أنه لم يتبع الأسلوب الفنى للملهاة ، ولكنه يريد أن يعطى الطابع الملهوى — ليس بالمفهوم الدرامى ولكن بمفهوم " المهزلة " — للمضمون الفكرى ، وهو قيام دولة إسرائيل ، ولأن الكاتب يرى أن قيام مثل هذه الدولة ، أمر عبثى وسعيد عن المنطق ، وسريع الزوال أيضا لأنها لا تملك شيئا من مقومات الدولة ، وأن اليهودية دين وليست جنسا ، لذا فهو يرى أن قيام إسرائيل ثم زوالها بهذه السرعة مجرد " ملهاة " او " مهزلة " .

✻ ✻ ✻

إلى إسرائيل ١٩٦٣

بعد سبع سنوات عجاف لم يتحقق فيها أى من آمانى باكتير أو نبوءاته ، انكأ على الأساطير الدينية اليهودية لبحث فيها عن أساس للمشكلة ، بعد أن آمن أن القضية ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب ، وهذا الأمر ، كما يلاحظ أحد الباحثين بصدق ، " أوقع الكاتب فى أسر الأساطير الصهيونية نفسها ، حيث راح يجرى خلف أسطورة " الشعب المختار " بوصفها الفكرة المحورية بين الأفكار اليهودية جميعا ، محاولا أن يهدمها بتحويل مصدر الاصطفاة من الله الى الشيطان ، غير ملتفت الى أنه بهذا يثبت الفكرة ولا ينفىها ،

فهناك إذن " اصطفا " و " اختيار " ولايهم مصدره ، كما أنه وقع فى مقولة وجود " شعب " أصلا له امتداد تاريخى على أى شكل ^(١) . هذه المقولة التى عمل الكاتب جاهدا على هدمها فى مسرحياته السابقة . تقنع المسرحية فى أجزاء ثلاثة ، يقوم كل جزء على فترة تاريخية متميزة فى حياة اليهود ، وتدر المسرحية الأولى - الجزء الأول - الخروج " حول اليهود فى مصر حيث يجتمع شيوخ القبائل اليهودية ليتجلى لهم الرب ، فيتجلى لهم إبليس :

إبليس : لا ينبغي أن ينال شرف توحيدى سواكم يا بنى إسرائيل ، فأنتم أبنائى وأحبائى من دون العالمين .
فيسجدون لإبليس ومعاهدونه على الطاعة ومطارية موسى . ^(٢)

وهذه هى مقدمة المسرحية المنطقية التى تقوم عليها أجزاء المسرحية الثلاث : " إن الذى اصطفى اليهود هو إبليس وليس الله " وهكذا يأمرهم إبليس بسرقة ذهب المصريين ، فيفعلون دون علم موسى الذى يصمم على إعادة الذهب لأصحابه عندما يعلم بأمره ، وسول لهم إبليس بفكرة شيطانية وهى أن يصبوا الذهب فى قطعة واحدة فى شكل عجل ثم يعبدوه :

الشيخ : نعبد العجل كالمصريين ونحن موحدون ؟
إبليس : ولكم إننا تعبدونى أنا فيه . . . عجل من خالص الذهب . ^(٣)

ومعظم لهم إبليس من قيمة الذهب وضرورة امتلاكه وأن موسى يريد أن ينتزعه منهم لكى لا يظهروا على الأمم الأخرى ، وهنا يحل عليهم

(١) د . عصام بهى ص ٢٥١ .

(٢) إله إسرائيل ص ١٦ ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

(٣) المسرحية ص ٣٧ .

العقاب الإلهي بالتيه أربعين عاماً في البرية " حتى ينقضى هذا الجيل الكافر الجاحد " . وفي فلسطين نكتشف أنهم ما زالوا يتبعون الشيطان ويرفضون تعاليم موسى الذي ظنهم ندموا على عبادتهم للعجل الذهبي :

ابليس : إنما ندموا على الذهب الذي كانوا له عابدين ، وسيعبدونني — حيث وجدوه الى يوم الدين .^(١)

ويكتشف موسى أن اليهود خالفوا تعاليمه في الحرب بعدم التعرض للأطفال والنساء والشيوخ فتركوا الرجال وهاجموا الأطفال والنساء والشيوخ وقتلوا بهم وتم لهم بذلك النصر ، مما يجعل موسى يتبرأ منهم ولعنهم ويوصي ابن أخيه قبل موته بدفنه دون أن يعرف أحد من اليهود لأنه لا يريد أن يقف على قبره أحد منهم " لست منهم وليسوا مني " اللهم إني بريء من بني إسرائيل .^(٢)

في المسرحية الثانية " ملكوت السماء " يبين الكاتب كيف استقبل اليهود بعثة المسيح ، وهو يضع بين أيدينا التمهيد الذي يحكم سلوك اليهود ، وذلك على لسان ابليس :

ابليس : أنا إله إسرائيل . . . ظللت طوال هذه القرون منذ هلك موسى أبث روحي فيهم ، فهي اليوم تجرى في كل صلب من أصلابهم .^(٣)

وهذا يعني أن باكتير الذي كان يفرق من قبل بين اليهودي والصيهوني ، قد جمع في هذه المسرحية — الثلاثة — بين اليهود بحيث

(١) المسرحية ص ٦٢ .

(٢) المسرحية ص ٧٩ .

(٣) المسرحية ص ٨٢ .

لم يعد هناك فرق بين صهيوني ويهودى • وربما كانت خيبة الآمال التى
علقتها على اليهود الشرقيين فى أنها دولة اسرائيل • هى التى دفعتها
لهذا الجمع بين كل اليهود •

يتدارس اليهود الوسائل الكفيلة بالقضاء على المسيح ورسالته فيدبرون
له الدسائس بمساعدة يهودا الاسخريوطى • وسلمون المسيح الى بيلاطس —
الحاكم — ليقتله • وإذا بهم يسلمون اليه يهودا وهم لا يشعرون • بالفعل
يتم صلب يهودا ويظهر ابليس سعادته حتى يصلب يهودا • إذا أن اليهود
بذلك قد صلبوا اسم المسيح ورسالته فكانهم صلبوه • وهنا يأتى صوت
المسيح من عليائه :

الصوت : إن أعميتهم عن رسالتى فسيهتدى بنورها أقوام آخرون من غير
بنى اسرائيل •

ابليس : فلأفتننهم بينى اسرائيل ... لأفسدنهم بشعبي المختار الذى
سأبنى به ملكوتى على الأرض — لقد أفسدت أرحام نساء بنسى
اسرائيل كما أفسدت أصلاب رجالهم من قبل •

الصوت : إن النهى القادم سيبعث من غير بنى اسرائيل وسيحمل للعالمين
كتابا خالدا يستطيع هزيمة ابليس • (١)

وهنا نلاحظ تغيرا جذريا فى رؤية باكثر للصراع العربى-الإسرائيلى
فبعد أن كان صراعا استعماريا — فى المسرحيات السابقة — هدفه ضرب
القومية العربية والصناعة العربية لتظل المنطقة خاضعة للإمبريالية العالمية
نجد هنا صراعا دينيا فحسب هدفه القضاء على الأديان السماوية —
لإقامة ملكة ابليس فى الأرض • ولا يتمكن الكاتب فى ضوء هذا التفسير
الجديد للصراع من تبرير مساعدة الغرب المسيحى لإسرائيل وهى تنوى — فيما
تنوى — القضاء على الدين المسيحى نفسه • كما قرر فى المسرحية •

في المسرحية الثالثة " الحية " نجد تأثير باكتير واقتباسه من بروتوكولات حكماء صهيون ، ومن ثم وقوعه — مرة أخرى — أسير الدعاية الصهيونية التي تصور سيطرة اليهود على مقدرات العالم كله ، فهذه الحية رمز " الشعب المختار " تلف جسدها على كل بلاد العالم ، بينما رأسها نحو فلسطين ، وهي أيضا شعار اليهود في البروتوكولات ^(١) ، وسنلاحظ أن خطة اليهود للسيطرة على العالم ، وهي نفسها التي يتبعها باكتير في مسرحيته ، بل إنه ينقل صفحات كاملة من هذه البروتوكولات .

وتدور المسرحية على مستويين : مستوى الشياطين المحيطين بإبليس ، الذين يتابعون النجاحات اليهودية لتحقيق ملكة إبليس في الأرض ، ومستوى آخر لليهود المجتمعين في بال بسميرا حيث المؤتمر الأول عام ١٨٩٧ الذي يقرر فيه المجتمعون إقامة الدولة اليهودية في فلسطين " هذه الدولة التي تنمو وتتسع حتى تشمل أرض الميعاد بأسرها من النيل إلى الفرات " ثم ينهبط سلطاننا على العالم أجمع " ^(٢)

على المستوى الأول نجد الشياطين وهم يحتجون لدى إبليس —
لأنه تركهم بدون عمل وأسند كل المهام لليهود وهم من بنى البشر :

إبليس : كلا إنهم لم يعودوا اليوم من بنى البشر ، ألا تراهم يتقعدون
حقدا على البشر يشتمون بما يصيبهم من نكبات ، ألا تـدري
ماذا يعتقدون في غيرهم من البشر ؟

الشیطان الأول : بلى يعتقدون أن غيرهم من البشر حيوان ليستغلوه
وسخروه .

الثاني : وأن رب العزة قد خلق هذا الحيوان على صورة الإنسان تأنيسا
لهم .

(١) انظر بروتوكولات حكماء صهيون أو الخطر الصهيوني ص ٤ . ترجمة
محمد خليفة التونسي . (٢) المسرحية ص ١٥٢ .

ابليس: ولئن آثرت اليهود على الشياطين فلأن اليهود أصبحوا أبرع وأقدر على القيام برسالتى منهم (١)

ويقبس الكاتب هنا كثيرا مما جاء فى التلمود ليؤكد هذه المقولة من تفوق اليهود على بقية البشر .
وعن مؤتمر بال الذى يصفه شيطان بأنه مشئوم يقول ابليس :

ابليس: كيف تسمون ذلك المؤتمر مشئوم وهو نقطة الانطلاق لبسط ملكوتى على الأرض ، لولاء لما قامت الحربان العالميتان ولما قامت دولة فلسطين . (٢)

يفضب ابليس من الشياطين ويطرد هم من حضرته ، ولكنه يقبل عودتهم بسرعة بعد أن خذله اليهود وأنكروا وجوده وسرقوا منه رسالته فى إفساد العالم ، ولأنه وجد نفسه بلا عمل ، هو وشياطينه ، يقرر التوبة فيأتى صوت جبريل من السماء معلنا " إن الله لن يقبل توبتك حتى يتوب معك قوم كانوا من الموحدين فرددتهم أسفل سافلين ، فالله أحكم وأعدل من أن يقبل توبة ابليس واحد إذا ترك من خلفه ستة عشر مليون ابليس يفسدون فى كل ركن من أركان الأرض " (٣)

فيعود ابليس عن توبته لأنه يعجز عن تحقيق شرطها ، وتالم لأنه أصبح مجرد ابليس ضمن ستة عشر مليون ابليس فضاع بذلك امتيازها ولكنه يهتدى الى حيله تنزل باليهود درجة وترتفع بالشياطين درجة وهى التهجين بينهما ، وترضى الشياطين بهذه الفكرة التى ستعطيهم

(١) المسرحية ص ١٢٨ .

(٢) المسرحية ص ١٨١ .

(٣) المسرحية ص ١٩٧ .

فرصة للعمل ، وينصحهم ابليس بضرورة تعلم فنون الشر والغواية عن اليهود ، ويطلب منهم أن يكتبوا سره وهو أنه قد سلخ اليهود من الإنسانية فلا تربطهم بها غير صلة العداوة والبغضاء ، الى أن يقوم ملكوتى الذى يسمونه ملكوتهم فينتقموا من جميع البشر وسخروهم تسخير الأنعام " .

وعندما يقترح بعض الشياطين أن يعبدوا اليهود الى عبادة ابليس يقول :

ابليس : هذا لا يعنينى فهم يعبدون الذهب وهو مظهرى فى الأرض ولكن الذى يعنينى أن تحرصوا على سرى ألا ينكشف .
صوت : ماذا يحدث يا مولانا لو انكشفت ؟

ابليس : سلوا الجرائم التى تفكك بالإنسان منذ كان دون أن يشعر بوجودها ماذا دهاها لما انكشف سرها للإنسان ؟ ألم يشن عليها حرب الإبادة دون هوادة ، كذلك سيكون المصير إن انكشف هذا السر الخطير .

اصوات : دعهم يلاقون هذا المصير ... دعهم يبادوا لنستريح .
ابليس : ولكم أنسيتم أن مصيرنا مرتبط بمصيرهم إن بآدوا ستحل بنا الهزيمة وسيعلو الخير على الشر وستبطل الحروب وسود السلام فى الأرض وانتحر ... ماذا يبقى أمامي يومئذ غير الانتحار (١) .

وذهب الشياطين للاندماج والتوحد مع اليهود ، ونسمع صوت سماوى يلقى ببعض آيات الانجيل ، ثم صوت سماوى آخر يلقى ببعض الآيات القرآنية ، لكى يتجسد مفهوم الكاتب للصراع بأنه صراع دينى بين اليهودية من ناحية والمسيحية والإسلام من ناحية أخرى .

ومقدمة المسرحية المنطقية لاتؤدى بنا الى أية نتيجة ، بل إن هذه المقدمة - بخلاف أنها أوقعت الكاتب فى مزالق كان على وعى بها فى المسرحيات السابقة - أضعفت المسرحية تماماً ، وذلك أنها لم تولد صراعاً عاماً ، والمسرحية لاتحيا بغير الصراع ، فاقترصت مسرحية باكتهمر على عرض تاريخى أسطورى طوّل الزمن لمعتقدات اليهود ، وحشد أفكارهم الخطيرة التى وردت فى التلمود والبروتوكولات .

وإذا كان باكتهمر قد أباح للكاتب أن يكون داعية لفكرة خاصة بشرط ألا ينص وهو يلتهب حماسة للدعوة التى يدعو إليها أن المسرحية عمل فنى قبل كل شئ ، فيجب ألا يجبر على فنيتهما بطل من الأحوال بل ينهض أن يحرض كل الحرض على سلامة عمله من الوجهة الفنية وأن يدرك أن ذلك هو السبب الوحيد لجعل الرسالة التى ينطوى عليها بليغة التأثير فى الجمهور .

" إن على هذا الكاتب - يقول باكتهمر - أن يجعل الداعية فيه خادماً للفنان المسرحى فيه ، لا سيداً له ، وإلا فليتخذ أداة أخرى غير الكتابة المسرحية " (١) .

فإلى أى مدى التزم باكتهمر بهذه الدعوة الفنية ؟؟
ربما كان فى العرض السابق لمسرحياته التى عرضت لليهود واليهودية إجابة عن هذا التساؤل .

حدث فى رفح ١٩٦١

كتب د . محمد الحداية هذه المسرحية فى فترة غلب فيها الحماس على جانب كبير من الإبداع الأدبى ، شعره ونثره ، ولعل النظر الى هذه

(١) فن المسرحية من خلال تجارب الشخصية . باكتهمر . ص ٣٦ .

المسرحية فى إطار الفترة التى كتبت فيها يفسر لنا كل هذه الحماسة
والخطابية المباشرة التى حفلت بها المسرحية ، ومن الطبيعى فى ظل
هذا الحماس أن تفقد المسرحية ، كثيرا من الخصائص الفنية ، وأهم
هذه الخصائص اعتماد المسرحية على قصة متطورة ، حيث لا يوجد بها
قصة معينة ، وإنما هناك صر لل مقاومة المصرية والفلسطينية ضد اليهود
فى قطاع غزة إبان العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وقرب نهاية المسرحية
يدخل الكاتب بعض الحوادث " المليودرامية " حيث نجد فى صفوف المقاتلين
العرب سيدة مصرية تدعى عزة ، يقبض عليها مع مجموعة من المناضلين
ضابط يهودى شاب يدعى هليل ، وتكشف لنا هذه السيدة عن أن هذا
الضابط اليهودى ابن لها ، ووسط دهشة الجميع تشرح لهم كيف كان
ذلك ، فلقد كان والده نسيم هليل جارا لهم فى القاهرة ، ووقع كل
منهما فى حب الآخر ورفضت هى كل من تقدم لخطبتها من أجله ، فما
كان منه إلا أن أعلن إسلامه وتزوج منها وأنجبا هذا الابن ، ولكن
مع قيام دولة إسرائيل ، خسر والدها كل ثروته - دون أن تشرح كيف
وقع ذلك - فما كان من نسيم إلا أن ارتد الى اليهودية ثانية وأخذ
ابنه وهاجر الى إسرائيل ، وأدخل فى روع الابن أن أمه هى التى
هجرته من أجل عشيقها الأول ، وهذه الحادثة تحمل بوضوح معنى الدعاية
الصهيونية التى ضللت كثيرا من اليهود ، ويعتبر تشويه صورة الأم فى
المسرحية معادلا موضوعيا لتشويه صورة الوطن الأصلى " مصر " وتكون
النتيجة أن الابن يمنع بقية الجنود من قتل أمه وصحبها ، ويدخل مع
زملائه فى معركة قصيرة تكون نتيجتها موت جميع الجنود الإسرائيليين .
والملاحظ على هذه المسرحية أيضا " صفة البطولة الخارقة على الإنسان
العربى فى مقابل " القزم " اليهودى ، وعلمية قتل العشرات من اليهود -
إن لم يكن المئات - فى الأعمال الأدبية - لم تكن من قبيل الصدفة
إذ من المرجح أن هذه الأعمال كانت تقوم بدور " أحلام اليقظة "
التي يسعى الإنسان من خلالها لتحقيق ما يعجز عن تحقيقه فى الحياة
الواقعية ، وذلك لإحداث توازن نفسى يساعد على تقبل هذا الواقع .

وعلى الرغم من عدم إخلاص المسرحية لفكرة واحدة تسعى إلى إثباتها أو إظهارها ، إلا أن الجو العام الذى يسود المسرحية هو جو " النضال ضد العدو الإسرائيلى حتى القضاء عليه " يقول أحد المناضلين :
حسان : لن نكف عن مناهضتهم حتى نقضى عليهم . (١)
ويقول آخر :

مسعود : يجب أن تشددوا النكير على العدو ، ولا تدعوه يذوق طعم الراحة لحظة واحدة . . . أجهزوا عليه فهو فى دور الاحتضار . (٢)

وانطلاقاً من هذه الفكرة ، يحكم الكاتب بالموت على جميع الشخصيات اليهودية فى المسرحية دون تمييز ، حتى ذلك اليهودى " هليل " الذى اكتشف خداع الصهيونية ، وبدأ يتحول عن صهيونيته ، كان الموت من نصيبه أيضاً . وفى المقابل لم تمت شخصية عربية واحدة ، ولم يكن موت الشخصيات اليهودية سوى صورة من صور الغفلة المتعددة لليهود وفى المقابل أيضاً وجدنا الذكاء والحرص لدى الشخصيات العربية ، واختصار لقد قسم الكاتب شخصياته إلى ملائكة وشياطين وهذا ما فعله رشاد رشدى فى المسرحية التالية .

الزهر لاتذبل أبدا ١٩٦٧

بنفس القدر من الحماس الذى كان يسود تلك الفترة ، كتب رشاد رشدى مسرحية " الزهر لاتذبل أبدا " التى اقتبسها عن قصة شتانيك The Moon is Down وأفضل ما فى هذا الاقتباس أن شتانيك كتب قصته فى مقاومة النازية واستعارها رشدى فى مقاومة إسرائيل ، فأوجد بذلك وجه

(١) حدث فى رفح . د . محمد الحداية ص ٣١ ، دار الفكر العربى

القاهرة ، ١٩٦١ .

(٢) المسرحية ص ٧٢ .

الشبه القوى الذى يلجأ الكتاب دائما لإظهاره بمسائل متنوعة.

تقوم المسرحية على غزو إسرائيل لإحدى القرى العربية ومقاومة أهل القرية البسطاء لهذا الغزو حتى يتم القضاء على هؤلاء الغزاة والقصة فى المسرحية قصة قرية بأكلها ، وكيف واجهت هذا الغزو ، لأن رشدى التزم بالنقل الحرفى عن شتاينيك فقد وقع فى عدة أخطاء جوهرية وذلك لعدم مناسبة كثير من الأمور الأوربية للحياة العربية الريفية ، ومن ذلك مثلا أن النازيين فى قصة شتاينيك غزوا القرية للسيطرة على منجم فحم ، وتدر الأحداث والترتيبات من أجل هذا المنجم (١) . وهذا أمر منطقى ومعقول فى ظل الحرب العالمية الثانية ، أما إسرائيل فتهاجم القرية العربية - كما يرى رشدى - من أجل بيارة برتقال ، وينقل الكاتب ترتيبات الاستيلاء على الفحم وإرساله الى ألمانيا الى ترتيبات للاستيلاء على البرتقال وإرساله الى تل أبيب ، وهذا أمر غير منطقى ولا معقول .

وترجم رشدى عن شتاينيك هتافات الناس : استولى الذباب على مائتى ميل من ورق الذباب ، وتردد الجماهير هذه العبارة التى قالها أحد الجنود النازيين ، ولكن عندما يجعل رشدى جموع الفلاحين العرب تردّد هذه العبارة فى مظاهرة فإن هذا أيضا يبدو غريبا وغير منطقى ، فما هو ورق الذباب الذى سيطر عليه الذباب ؟ وما دلالة ذلك ؟ لا أظن أن الفلاحين ، وحتى القراء العرب ، يدركون معنى هذه الهتافات ، وربما كان على الكاتب أن يوضح معنى هذه العبارة أو أن يستغنى عنها تماما على أى حال قام د . حسين مؤنس فى مسرحيته التى اقتبسها عن القصة بتوضيح نفس العبارة ، يقول أحد الجنود النازيين :

(١) انظر : أفول القمر . شتاينيك ، ترجمة منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٤ .

تدرو: نحن هنا أقدامنا تغوص فى الطين . . . وقع الصائد فى الفخ
الذى نصبه . . . استولى الذباب على مائتى ميل من ورق صيد
الذباب. (١)

وقد تكرر هذا الامر عند رشاد رشدى فى مواضع كثيرة ، أما
التعديلات التى أحدثها فى النص الأسمى فكانت جميعها على حساب
الناحية الفنية ولصالح الناحية الحماسية والخطابية ، وسنتعرض لكثير من
هذه التعديلات عند الحديث عن الشخصيات والأحداث . ولا تـُـخـلـف
مسرحية رشدى كثيرا عن مسرحية " حدث فى رفح " من حيث الأسلوب
والمضمون والفكرة الأساسية ، فهذا هو العمدة الشخصية الرئيسية فى
المسرحية يقول :

العمدة : لقد اتخذنا قرارنا منذ زمن طويل ، منذ وطئت أقدامكم الدنسة
أرض الوطن - سنبيدكم الى آخر رجل ، هذا هو قرارنا . (٢)

إنها نفس فكرة المسرحية السابقة " القضاء على العدو حتى
آخر رجل " ونفس تقسيم الشخصيات الى ملائكة وشياطين ، ونفس النظرة
الى العربى " العملاق " واليهودى " القزم " ، وكل ما يميز هذه
المسرحية عن سابقتها ، قصر واضح فى البناء الفنى يتناسب تماما مع
التصور فى النظرة الى الذات والنظرة الى الآخر .

الكوميديا اليهودية ١٩٦٧

بنفس المفهوم الذى أطلق به باكثر اسم المطباء على مسرحيته
" شعب الله المختار " يطلق مصطفى السعدنى اسم " الكوميديا اليهودية "

(١) د . حسين مؤنس . ثم غاب القمر ص ١١٨ ، مكتبة مصر

١٩٥٦ ، القاهرة .

(٢) الزهر لاتذبل ابدا ، ص ٤٨ ، مجلة المسرح ع ٤٢ يونية ١٩٦٧ .

على مسرحيته ، يضاف الى ذلك رغبة الكاتب فى أن تصل مسرحيته الى مستوى الطلحة فى عرضها لجانب من التاريخ اليهودى ، مستوحيا بذلك اسم الطلحة الشهيرة " الكوميديا الإلهية " وقرر الكاتب فى مقدمته المسرحية " أردت أن اطالع فى هذه المسرحية حقيقه مظلمة من تاريخ السياسة اليهودية ، ولقد حاولت فيما لم أجد له نصا تاريخيا يؤيد أن أعتمد على التصور والخيال ، لذلك لا أستطيع أن أقرر أن كل ما ذكر هنا تاريخ صحيح ، كما أن القدر الكافى من الحقائق التاريخية يجعلنى استبعد اعتبار هذه المسرحية خيالا صرفا " (١)

والفكرة الأساسية التى تقوم عليها هذه المسرحية هى " أن اليهود أعداء البشرية جمعاء " وهى تقترب كثيرا من مسرحيات باكتير وخاصة الأخيرة منها " إله إسرائيل " ولإثبات هذه المقولة - المقدمة المنطقية - يلجأ الكاتب الى حشد الكثير جدا من أقوال التلمود ، وبرتوكولات حكماء صهيون ، وكما اتفق الكاتب مع باكتير فى كثير من آرائه حول اليهود وخطرهم على الإنسانية اتفق معه ايضا فى الأخطاء الفنية التى حفلت بها المسرحية كما سنرى فلقد قسم الكاتب مسرحيته الى ثلاثة فصول ، فى الأول منها تهرب فتاة يهودية تدعى سارة من دير مسيحى سجدت فيه عشر سنوات كانت خلالها تتظاهر بالمسيحية وهى تضرع اليهودية ، وكانت عند دخوله ابنه ست سنوات ، ولعل هذه السن الصغيرة " لاتسمح لصاحبها بأن يتمسك بديانته كل هذه المدة وهذه الصلابة ، ولكنها إرادة الكاتب ، ويزداد عجبنا إذ نراها بعد قليل لاتعرف شيئا عن اليهودية التى تمسكت بها .

تهرب سارة إذن الى حيث حاييم حارس المقابر وحارس الوثائق اليهودية السرية الذى يقيم فى غرفة بين المقابر وتخبره بقصتها وتظل

(١) الكوميديا اليهودية . المقدمة ص ٣ . لجنة التعريف بالإسلام
الكتاب الثامن والثلاثون ، ١٩٦٢ .

تسأله عن اليهودية وهو يجيب ، وهذه الحيلة البسيطة وضعها الكاتب لكي يتمكن من خلالها من حشد هذا الكم الهائل من الأقوال والتعاليم اليهودية ، وهو يعرض هذه القضايا والأفكار دون مناقشتها لأنها - كما يرى - ظاهرة البطلان والعدوانية على الإنسانية ، وأول هذه القضايا التي يعالجها قضية الاصطفاء والتي أفرد لها باكثر مسرحيته الأخيرة :

سارة : لماذا اختارنا الله لتكون شعبه دون بقية الشعوب .
حاييم : لأننا أول من اكتشفه واعترف به ، وآمننا به لأنه أودعنا صفات لم يفز بها بقية البشر . ألا يكفي هذا يا سارة . . . نحن فوق البشر . (١)

ومفهوم الاختيار هذا هو الذي حدد نظرة اليهود التي
الجويم " أو الأغيار .

حاييم : هذه الحشرات البشرية خلقت لخدمتنا ولكن مع الأسف الشديد
ثار العبيد على السادة . . . وتحكم الجنود في الملوك . (٢)

كما حدد أيضا نظرة اليهود الى الذات اليهودية في مقابلة
الآخر .

حاييم : نحن غيرهم يا سارة . . . منذ أن يولد الطفل اليهودي تجري
في دماؤه العبقورية والعظمة . . . فنحن نختلف عنهم حتى في
الصفات العضوية ، لو فتحت جمجمة يهودي لرأيت فيها مخا
أكبر من مخ الجويم . (٣)

(١) المسرحية ص ١٨ .

(٢) المسرحية ص ٢٧ .

(٣) المسرحية ص ٣٤ .

لكل هذا لم تكن اليهودية ديانة تبشيرية فى يوم من الأيام ، وإنما ديانة مغلقة اقتصر دخول الآخرين فيها على ظروف خاصة ، يصفها حاييم بقوله :

حاييم : إن اليهودية ليست ديانة جماهيرية يمتنعها العامة ... إنها ديانة الصفوة ، هى ديانة الارستقراطية البشرية ، هى ديانة العباقرة . (١)

ولكن يهودية حاييم هذه لاتمنعه من مراودة سارة عن نفسها ، وإذ هو على وشك النجاح فى سعيه هذا يطرق الباب ، فإذا القادام ايليا " البنى " المبشر بالمسيح المنتظر ، لأن ايليا يملك مقدرة قسرة الأفكار ، يدرك الجريمة التى كانت على وشك الحدوث ، ويخبر حاييم أن سارة هى عروس المسيح المنتظر ويطلب منها ، لكى تكون صالحة لهذه المهمة الإلهية ، أن تحترف الدعارة كما يوصى بذلك التلمود ، ولذلك يصطحبها ايليا الى جنوب إيطاليا لتمارس هذه المهنة " المقدسة " أما حاييم فإنه يموت بطريقة غامضة تبدو قدرية لأنها شتهى عروس مسيحه المنتظر . وينتهى الكاتب رحلة سارة مع ايليا ليحشد كما آخر من التعاليم التلمودية بطريقة السؤال والجواب ليست سوى امتداد لمعلومات حاييم ، ويؤكد ايليا لسارة اصطفا اليهود الذى يعطيهم القداسة :

ايليا : إن اكتساب القداسة والنبوة لدى اليهود أمر هين ... إنه مجرد وصف اليهود بأنهم شعب الله المختار يضى على كل يهودى مسحة الامتياز والقداسة . (٢)

وكما أدى مفهوم الاختيار الى تحديد نظرة اليهودى للذات وللآخر ، أدى كذلك الى تحديد نظرتهم الى الله :

ايليا : إن الله يعد ذاته الها لليهود وحدهم لذلك فهو يحابيهم على حساب غيرهم من الجويم . (٣)

(١) المسرحية ص ٣٦ .

(٢) المسرحية ص ٥٦ .

(٣) المسرحية ص ٥٧ .

وتحدد النظرة الى الله من خلال التلمود الذى يجسد فكرة الاصطفاء مما جعله يأخذ قداسة خاصة ، لانه يعطى اليهود قداسة اكثر خصوصية :

حاييم : التلمود يأسارة هو كتابنا الوضعى . . . فيه تتركز سياستنا التقليدية ، انه تعاليم الطخامات التى لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله .

سارة : كيف هذا ؟

حاييم : لو تركنا لله حق نقض سياستنا التلمودية . . . ربما سحب منا حقنا المقدس فى أننا شعبه المختار . . . إن هذه الامتيازات ، خاصة بنا ولا سبيل الى العدول عنها .

سارة : أفهم هذا الكلام ولا استسيغه .

حاييم : سبق أن وقع خلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور ، وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة الخلاف الى أحد الطخامات الذى حكم بخطأ الإله مما اضطر سبطانه وتعالى الى الاعتراف بخطئه .

سارة : هل تستطيع أن تلخص بعض تعاليم التلمود .

حاييم : يندم الله على تركه اليهود فى حالة التمس حتى أنه يلطم ويكى كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دونهما من بدء العالم الى أقصاه وتضطرب المياه وترتجف الأرض فى أغلب الأحيان فتحصل الزلازل^(١)

وهذه الأساطير قريه الشبه من الميثولوجيا الإغريقية مع فارق جوهرى هو أن الأخيرة قد أفادت البشرية فى صر مختلفة من المعرفة أهمها وأبرزها ظهر التراث الأدبى الضخم الذى استقاء الإغريق ، ومن

تلاهم من الشعوب من هذه الميثولوجيا ، بعكس الأساطير اليهودية التى لا زالت تحتل مكانة العقيدة فى نفوس أصحابها مما يجعلها ممكن خطـر على البشرية ولا يقف الاصطفاء عند حد القداسة اليهودية ، بل إن التلمود — يضيف حايم — "يجعل أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده" ، وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة الى باقى الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات".

وكانت النتيجة الطبيعية لكل هذه الخصوصيات أن تكون النعيم فى رأى التلمود ، مأوى أرواح اليهود ولا يدخلها سواهم ، أما الجحيم فمأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين^(١).

وإذا كان من المعهود أن يكون الفصل الأول ، خاصة فى المسرحية الكلاسيكية ، تعريفاً بالشخصيات الأساسية ، وتمهيداً للعقدة ، ووضع الخيوط الأولى للمشكلة الأساسية فى المسرحية ، فإن هذه المسرحية تخالف ذلك تماماً ، فالفصل الأول على طوله (٧٢ صفحة) لم تظهر فيه الشخصية الرئيسية " شبتاى تسيفى " وإن كانت هناك مشاهد قليلة تمهد لظهور هذه الشخصية ، وكان معظم الفصل حشداً للمعلومات التى أراد الكاتب إبراز خطورتها على البشرية.

فى الفصل الثانى ، وفى مصر ، نشاهد شبتاى تسيفى ومعه البنى ايليا يقيمان فى دار جلىبى صاحب دار سك العملة الذى يؤمن بشبتاى وسخر زهبه فى خدمته . يناقش الثلاثة مخططاتهم لتحقيق هذه الدعوة — ما شيطانية شبتاى — وسط مظاهر التقديس لهذا المسيح ، ثم يذهبون الى حارة اليهود فى القاهرة للاطلاع على أحوالهم. يجلسون

فى حانة تديرها امرأة يهودية وابنتها، استير وسارة ، وهناك يطردون
الجهيم الوحيد ويكون ابن أمير البلاد ليمقدوا اجتماعا يهوديا خالصا
يقدم فيه ايليا المسيح المنتظر لرواد الحانة، فيسر الطخام لاستيـر
بأن شبتاى لو كان صادقا فى دعواه فمن المفروض أن يتزوج ابنتها
سارة لأنها معروفة " بالبغى " ولكن ابن الأمير يعود فيأخذ سارة
عنوة الى مقره لتكون من محظياته ، وهنا يتحقق لدى الطخام أن شبتاى
مجرور دعوى . وفى منظر آخر يعرض الكاتب للخلاف بين الريانيين والقرائين
فقد وقعت مشاجرة بين الطائفتين فأخذ زعيم كل طائفة يفند حجج الزعيم
الآخر وذلك أمام شبتاى الذى يرى أن أفضل طريق لتحقيق رسالتـه
هى القضاء على الحاخامات بكل طوائفهم . ومعرض زعيم الطائفتين على
محكمة إسلامية تحكم بالصلح بينهما وتغريم أية طائفة تخرج عن شروط
هذا الصلح .

يحتفل شبتاى وجماعته فى الفصل الثالث بإعلانه إلهيا لليهود .
وقد جمع الكثير من الأنصار فى كثير من البلاد بوساطة ذهب جلبلى
وأغنياء اليهود الذين آمنوا بربوبيته ، ويبحث شبتاى ما تم من مخططات
لنشر سلطانه على العالم ، ويعتمد أغلبها على بروتوكولات حكما صهيون ،
يقول شبتاى :

شبتاى : لكن نسود العالم يجب أن نحطمه أولا ، سنلجأ الى كل أدوات
التحطيم المادية والمعنوية ووسيلتنا الى هذا السياسة
والعنف والإرهاب والتخريب والحرب والرشوة والوقية والفتنة ،
وقانوننا الحق للقوة . . . والذهب نشترى كل ما يباع وما يشتري
من حكام ومحكومين .

سارة : إن تشجيع الرذيلة يؤدى الى انحلال الجهميم .
شبتاى : إن إفساد مجتمع الجهميم واجب المرأة اليهودية فى المعركة
الطامة . (١)

ومقارنه هذا الكلام مع البروتوكول الأول نجد أن الكاتب قد
أعتمد عليه بصورة كبيرة في تصور خطر اليهود . (١)

يرسل السلطان التركي وراء شبثاي وجماعته للمثول بين يديه
للمحاكمة لأنه ادعى الألوهية ، ومتناقض الطخامات في قضية شبثاي استعدادا
للمحكمة ، وستعرض مجلسهم عشرة أدعاء قبل شبثاي ، ادعى كل منهم
أنه المسيح المنتظر ، وكان مصيرهم الفشل بعد أن جمعوا الأتباع والأموال ،
وهناك عشرات غيرهم حملوا نفس الادعاء ولكنهم حملوا الى مصحات عقلية ،
ويقرر الطخامات تكذيب دعوة شبثاي في المحكمة ، والطلب من السلطان
أن يعرضه على السيف ، فإن كان صادقا فلن يتأثر بالسيف ، وإن كان
كاذبا ارتاحوا منه ، وفي المحكمة ينبهر الحضر جميعا لقدرة ايليا على
قراءة أفكارهم ومعرفة ما دار بينهم من حديث قبل وصوله حول نساء
ال خليفة ، وأيهن صاحبه " الدور " . ووسط هذه الدهشة يسأل الخليفة
طخام باشا عن رأي مجلس الطخامات فيعلن الرأي الذي وصلوا اليه
من عرض شبثاي على السيف لاختبار صدقه ، ويتدخل شيخ الشافعية
ليخير شبثاي وجماعته بين القتل أو التوبة والدخول في الإسلام ، فيوافقون
على الدخول في الإسلام حفاظا على حياتهم .

تشبه هذه المسرحية الى حد كبير المسرحيات التعليمية المدرسية
في طريقة صياغتها على طريقة السؤال والجواب ، مما جعلها - بالإضافة
الى طولها المفرط - مسرحية للقراءة غير صالحة للتقديم على خشبة المسرح
Cicset drama ، ذلك أن " جوهر الدراما - كما يلاحظ المراريس -
في الحركة لا الكلمة (٢) ، وقد قرر أرسطو قبل

(١) انظر : بروتوكولات حكماء صهيون ، البروتوكول الاول ص ٣١ ترجمة

محمد خليفة التونسي .

(٢) المراريس . المسرح الحر ص ٢٢ ، ترجمة داود حلمي السيد . دار

نهضة مصر ، ١٩٦٥ .

أربعة وعشرين قرناً أن المسرحية إنما تكتب لتمثل بواسطة أشخاص يفعلون، لا بواسطة الحكاية^(١)، ولم يستطع أى مذهب من المذاهب الأدبية المتنوعة أن يغير من هذه الحقيقة الجوهرية، لأن فى تغييرها قضا على الدراما ذاتها.

ومن الواضح أن الكاتب لم ينظر الى هذه الظاهرة المتكررة بين اليهود - ادعاء الماشيخانية - كظاهرة دينية لها خلفيات اجتماعية، تعبّر عن بؤس اليهود وأزمة اليهودية، وانتهت بظهور الحسدية، ثم الصهيونية، وهى كلها حركات هروبية رفضت الزمان والمكان وتطالب بالانتقال من وضع تاريخى متعين الى مجتمع جديد مثالى يشيد على أرض فلسطين^(٢) واقتصر الكاتب على النظر إليها على أنها حركات دينية ذات صبغة عدوانية هدفها ضرب الإنسانية جمعاء، وقد ظهرت حركة شبثاى عام ١٦٦٦ ولم تنته بموته عام ١٦٧٦ فى سالونيك بالكوليرا إذ ظل أتباعه يؤمنون بعودته فى يوم قريب. وعرف أتباع شبثاى فى تركيا باسم الدفعة وهم يمزجون بين التعاليم اليهودية والتعاليم الإسلامية، وقد حاول جاكوب فرانك إحياء هذه الحركة فى بولندة بعد أكثر من قرن من الزمان ولكن لم يكتب له النجاح.

وطنى عكا* ١٩٢٠

لا تقل مسرحية الشرقاوى عن مسرحيات الحداية ورشاد رشدى حماساً وخطابية فهذه السمة تطبع الأدب بمسما زمن الحروب، وانتهى الكاتب بنفس ما أنتهى إليه زميلاه، من إبادة جميع الشخصيات اليهودية، وهكذا تنحصر فكرتها الرئيسة فى ضرورة مقاومة العدو الإسرائيلى حتى القضاء عليه نهائياً.

(١) فن الشعر ص ١٧ ترجمة د. عبد الرحمن بدوى. دار الثقافة بيروت.
(٢) د. عبد الوهاب المسيرى. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٢٦ مركز الدراسات الاستراتيجية.

تتميز هذه المسرحية بالمناقشات العميقة التي دارت حول هزيمة ١٩٦٧ وتقصير الإعلام العربى فى عرض قضية العرب على الراى العام العالمى ، باختصار كمية النقد الذاتى ، وهذا ما يلفت نظر الباحث الإسرائيلى شمعون بلاص إليها فيقول عنها : " إنها تستحق الاهتمام لما فيها من نقد للحكم المصرى ، وللقيادة السياسية والعسكرية عامة " (١)

كما تتميز هذه المسرحية عن مشيلاتها فى التفريق بين اليهودى والصهيونى ، هذه الميزة التى تتحول بالتدرج الى عيب يدمغ المسرحية كلها ، ذلك أن الكاتب يجعل أغلب الصهاينة يتخلون عن صهيونيتهم ويؤمنون بحق الشعب الفلسطينى فى فلسطين ، وهذا يعنى - كما تعلق د . لطيفة الزيات - " أن علينا أن نصبر لتأكل المؤسسة العسكرية نفسها بنفسها وتتفتت نتيجة لمتقاضاتها الداخلية دون حاجة الى إعلان حرب عليها ولا الى أى تضحيات من جانب شعبنا " (٢)

لكن الشرفاوى يشترك مرة أخرى مع رشاد رشدى والحدادية فى عدم اعتداده على قصة متنامية ، وإنما على صير متجاورة أو متراكمة من صير النضال الفلسطينى ، مما يعطينا بعضا من السمة الملحمية ، وإذا كان الخط الأول فى المسرحية الذى يعرض له الكاتب هو خط النضال الفلسطينى ، والخط الثانى هو خط التفسخ فى الواقع الإسرائيلى ، فإن الخط الثالث أكثر اتساعا وهو التحول فى وجهة النظر العالمية نحو قضية العرب متمثلا فى كاتب وصحفية فرنسيين كانا من المعجبين بتقدم إسرائيل ، ولكنهما يكتشفان زيف الدعاية الصهيونية وتحولان الى تأييد الفلسطينيين ، ويتم ذلك بنفس الصورة غير المبررة التى تتحول بها الشخصيات الصهيونية الى صف القضية العربية حتى يتحدث مارسيل الصهيونى الفرنسى ، الذى

(١) شمعون بلاص . الأدب العربى فى ظل الحرب ص ٨٢ ، ترجمة زكى درويش ، دار المشرق ، شفا عمرو ، ١٩٨٤
(٢) د . لطيفة الزيات . خطان لا يلتقيان . مجلة المسرح ص ١٠ ع يناير ١٩٧٠ .

"كاتب" عن صهيونيته، نيابة عن المؤلف، وفجر قضية الانتماء لدى اليهود،
وذلك وسط مجموعة من الجنود :

مارسيل : أنت من أين أجيبى

(يدور بينهم ولا ينتظر إجابات)

أنت يا يعقوب من غرب فرنسا (لمجندة) أنت الطانية

(لرجل آخر) أنت من وارسو

ثم أنت ؟ أنت رومانية وأخونا إن تذكرت سويدى

تونسى مجرى .. نساوية .. استرالى .. كندى .. انجليزى

إنها حملة غزو بربرية

إننا جئنا من كل فج لا لحج

بل لكى ننشى دولة

ثم أنشأنا هنا الدولة ماذا بعد هذا

أى شىء بعد هذا مشترك

أى تاريخ لنا مشترك ..

أى لغة ؟؟

كل ما يجمعنا الدين ولا شىء سواه .

هذه الأرض التى نحتلها ليست لنا . (١)

لم يكن الكاتب بدعا في مقولته هذه بعدم تجانس اليهود ، فقد
قال بها نبي الصهيونية هرتزل ولكن قبل اعتناقه للصهيونية يقول " لن
يكون للوطن القومى أى معنى فحتى لو رجع اليهود الى وطنهم القومى
فسوف يكتشفون فى اليوم الذى يلى رجوعهم أنهم لا ينتمون لبعضهم وأنهم
مختلفون لأنهم تأصلوا فى قوميات مختلفة " (٢)

(١) وطنى عكا ص ١٢٩ . دار الشروق . القاهرة ١٩٧٠ .

(٢) شئون فلسطينية ع ٨ ابريل ١٩٧٢ ص ١٠٨ .

وقد برزت هذه المشكلة بوضوح أمام علماء الاجتماع الإسرائيليين ،
وقد وضعوا لها حلولا أغرب من المشكلة ذاتها ، وهذا ما سنعالجه فى
فصل " صراع يهودى - يهودى "

ومعرض الكاتب صورتين متقابلتين ومتناقضتين معا : الأولى فى
الجانب الإسرائيلى حيث الاستعداد للمعركة ، ولو أن هذا الاستعداد
أصيب بحمى الحماس التى اجتاحت المسرحية ، فوجدنا القائد " يعقوب " يوجه تعليماته للجنود فى عرض الشارع العام فى تل أبيب :

يعقوب : فلتكن معركة خاطفة فالوقت فى صالحهم .
باغتوهم اسحقوا من غير رحمة .
إن ملكنا الجو سدنا وانتصرنا .
فاضربوا ما عندهم من طائرات وهى فى جوف الحظائر
اجعلوا سينا جحيما للجيش الزاحفة
املاءوا بالرب قلب الناس فى كل مكان فى المدن .
اسحقوا من غير رحمة .
دمروا من غير رجعة .
هكذا نبئى لإسرائيل مجدا لا يزول . (١)

وعلى الجانب المقابل ، الجانب العربى نجد الإهمال واللامبالاة ،
والانصراف الى متع يومية ، فنرى بعضا من الوفود العربية التى جاءت لزيارة
خييام اللاجئين فى قطاع غزة ، ولكن قضية اللاجئين كانت هامشية ، أما
اهتمامهم فكان مختلفا ، فلنسمع لهم :

الزوج : اشترينا كل غزة
الزوجة : آه يا زوجى . ياى : آه ما أجمل غزة .
(تقفز داخل المحل)
الزوج : آه ما أجملها حقا .

ولكن عندما لا يحمل الزوج تلالا من البضائع
امراة اخرى : (لرجل معها) انظر الأسعار شيء لا يصدق
الرجل : كل شيء بالتراب
امراء ثلاثة : انظر الصينى
الرجل : تحفة
المرء ٣ : و " الكريستال " يجنن

وهناك لون آخر من الاهتمام أكثر شيوعا ، ويحتل مكانة أكبر بكثير
مما يحتله الاستعداد لمحاربة إسرائيل :

شاب ١ : لو نطح الكرة وأرسلها فورا فى الزاوية الأخرى لكنت هدفا ليس
يصد •

شاب ٢ : من فى نادىكم يحوز أهدافا محكمة ؟ من فيكم • هل عندكم هدافون ؟
شاب ١ : لكن لم يستقبلها •

واتته فظل يعدلها ويرقص حتى حاصره سبعة
شاب ٢ : (مقاطعا بضيق) ياعمى يكفيكم انكم فزتم بالدورى ظلما •
شاب ١ : (متحديا) كنا أولى بالكأس •
شاب ٢ : أولى منا • • • اخرس اخرس (يتقاطعان ويخرجان) (١)

ولاشك أن هذه المفارقة التصويرية للموقفين الإسرائيلى والعربى ،
رغم ارتجالية تصوير الموقف الأول ، تحمل من الفنية فى تفسير الهزيمة أكثر
بكثير من تلك الأقوال التقريرية التى حشدها الكاتب على لسان الضابط المصرى
على فى حديثه لرفاق النضال من الفلسطينيين • (٢)

(١) المسرحية ص ٣٣ - ٣٤ •

(٢) المسرحية ص ٦١ •

بقى أن نقول الشرقاوى استخدم فى مسرحيته الشعر الحر الذى يجعل لغة المسرح أقرب الى لغة الحياة اليومية مع الاحتفاظ لها بجلالها وموسيقاها التى تتناسب مع إيقاع الأحداث ، وهذا الشكل الشعرى فيه من المرونة والحرية - كما يقول د . القط . ما يتيح للمؤلف المسرحى الاقتراب من طبيعة المسرح والتعبير عن مواقفه وشخصياته وأجوائه أكثر مما استطاع شوقي وغيره ممن كتبوا فى إطار الشعر التقليدى ولمس تلك المرونة والحرية فى تنوع الحوار وتوزعه بين الشخصيات حسب دواعى الحوار وطبيعة الموقف دون أن يضطر الشاعر الى إكمال وزن أو بلوغ قافية أو الاعتماد على صور شعرية مقصودة لذاتها ولزنتها البيانية ، مستمدا إياها من التراث القديم .^(١)

أما المشهد الذى أقحم على المسرحية إقطاعاً ، فبدأ كالأصبع المتورمة النافرة عن بقية الأصابع ، فهو مشهد الحوار بين امرأتين فلسطينية " أم رشيد " والصحفية الفرنسية ايمى حيث تطرح كل منهما مفهوماً للحب ويتناسى الكاتبانه يتحدث عن مجتمع له مستوى معين من العادات والتقاليد والحضارة لا يسمح بتداول مثل هذا الحديث ، كما ينسى الكاتب أن فلاحاً بسيطة فى دور الكهولة تعيش الأحاسيس ولكن لا تغلسفها ، بل لا تتحدث عنها . وخطواحد الباحثين خطوة أبعد من ذلك عندما يفسر هذا المشهد على أن الشرقاوى يطرح المفهوم الخاطئ " للحب " والذى تمثله أم رشيد ثم المفهوم الصحيح الذى تمثله ايمى دائماً داعياً أم رشيد الى اتباع المفهوم الأوربي للحب بذلك بإيمان بالعلم المؤيد لاطلاق الرغبات وعدم تعطيل الدوافع^(٢)

(١) د . عبد القادر القط . من فنون الادب المسرحية ص ١٦٨ ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٨ .
(٢) انظر : كمال اسماعيل . الشعر المسرحى فى الادب المصرى المعاصر ص ١١٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

النار والزيتون ١٩٧٠*

كتب ألفريد فرج مسرحيته هذه بمنهج جديد مختلف تماما عن المسرحيات السابقة ، حيث اتبع أسلوب المسرح التسجيلي الذي يصفه محمود أمين العالم بأنه " لا يستهدف التطهير وإنما التفجير " (١) . وقد عمد فرج الى خطين أساسيين في بناء المسرحية ، بحيث يخرج قارئها أو مشاهدتها بأن الخط الأول مسبب للثاني ، وأن الثاني نتيجة حتمية وواجبة للأول .

يقوم الخط الأول على استقصاء الحقائق والأرقام والوثائق الرسمية والمقالات الصحفية التي دارت جميعها حول القضية الفلسطينية منذ المؤتمر الصهيوني الأول بسويسرا ١٨٩٧ وحتى كتابة المسرحية ، كما استعرض الكاتب كثيرا من الوسائل الوحشية التي اتبعتها الجماعات الصهيونية قبل وبعد الاستيلاء على فلسطين .

أما الخط الثاني للمسرحية ، الذي يبدو نتيجة حتمية للخط الأول فهو صور المقاومة الفدائية الفلسطينية ، ومن هنا تتضح مقدمة المسرحية المنطقية ، أو فكرتها الأساسية ، إنها تقول ببساطة " إن الكفاح المسلح هو الحل الوحيد " .

ولاشك أن هذا النمط المسرحي الذي اختاره ألفريد فرج قد نأى به عن الحماس والخطابية التي حفلت بها غالبية المسرحيات السابقة ، ومرد ذلك أن المسرح التسجيلي يشترك مع المسرح الملخص في أنه

(٢) قدمت هذه المسرحية على خشبة المسرح القومي وقام بإخراجها للمسرح سعد أردش موسم ٧٠/٦٩ وعرضت ٦٢ حفلة وبلغ عدد الرواد ١٩٠٤٦ وهو أكبر عدد رواد في هذا الموسم . انظر: جلال العشري . دقائق المسرح ص ٢٥ .

(١) الوجه والقناع في مسرحنا العربي المعاصر ص ٢٤٥ . دار الاداب بيروت ، ١٩٧٣ .

" يتطلب من المتفرج أحكاماً لا انفعالا عاطفيا فحسب ، وهو لذلك يقدم له عناصر للمعرفة ، لا تجربة بشرية محددة كما يفعل المسرح التقليدى ولذلك يخرج المتفرج مزودا بالحجج لا بمجرد الإيحاء العاطفى " (١) ، بل إن المسرح التسجيلى - كما يلاحظ د . القط بحق - " يعد خطوة أبعد من المسرح الملحمى فى مطاولة إشراك المشاهد فيما يعرض على المسرح من قضايا ، فمهما يبلغ خروج المسرح الملحمى على القالب التقليدى فإنه يظل محتفظا بكثير من سمات المسرح العامة بما يتضمن من لحظات تنطوى على بعض التوتر والانفعال وإن لم يبد ذلك بصورة صريحة فى الحوار . . أما المسرح التسجيلى فإنه يتجاوز ذلك الى نبذ القصة الى حد بعيد والاستعاضة عنها بتسجيل صور من الواقع السياسى والاجتماعى لا يربط بينها خيط من قصة فرد أو أفراد معينهم ، بل ترتبط بدلالاتها على وضع أو قضية فى مجتمع تتضائل فيه قضايا الأفراد فى صورتها الذاتية وتتحول الى ظواهر اجتماعية عامة للقضية " (٢) .

ولكن هل يعنى ذلك الانقطاع العاطفى الكامل بين العمل الفنى والمتلقى ؟؟ لا أظن ذلك ، " فإن أكثر الوثائق والإحصاءات تدل - عند اختيارها بالذات - على عاطفة وشخصية الكاتب ورأيه الخاص ، كما تظهر لنا طريقة الكاتب فى ترتيب الأحداث والمواقف التى يركز عليها شخصية الكاتب وعاطفته الخفية ، ومعنى ذلك أن المسرحية التسجيلية مهما قيل عن حيادها وأيا كانت عدد الصفحات التى ينقلها المؤلف من الوثائق وملفات القضايا فإنها لابد أن تعكس وجهة نظر المؤلف " (٣)

-
- (١) د . محمد مندور ، المسرح العالمى ص ١٦ ، دار نهضة مصر .
(٢) د . عبد القادر القط ، من فنون الاداب المسرحية ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
(٣) د . يسرى خميس ، مقدمة مسرحية مارا - صار ، تأليف بيتر فايس
ص ١٢ ، روائع المسرحيات ١٩٦٧ ، ع ٤٠

فالعلاقة إذن بين العقل والملاحظة في العمل المسرحي ليست علاقة ضدية ، إنما هي علاقة نسبية ، " أو هي نقطة الارتكاز - كما وصفها بريخت - فنقطة الارتكاز في نظرية أرسطو هي الاندماج الوجداني والتطهير ، على حين أن نقطة الارتكاز في نظرية بسكاتير وبريخت هي التعقيل والتحريض والتفجير ، ولكن كلا منهما يتضمن نسبة ضرورية من الانفعال والتعقيل معا ، وإن اختلفت هذه النسبة بين هذه النظرية أو تلك " (١)

يستخدم الكاتب في هذه المسرحية كثيرا من الوسائل التقنية التي أتاحها المسرح التسجيلي والتي استخدم بعض منها في المسرح الملحمي . فاستعان بكثير من الوثائق والإحصاءات الرسمية ، كما استعان بشاشة سينمائية في خلفية المسرح وهو يصفها بقوله " الصورة فوق الستارة الخلفية يجب أن تضيف للحوار أو تصبح صور الستارة الخلفية في مجموعها - خلال مشهد من المشاهد - موضوعا مستقلا عن المشهد المسرحي ومتعلقا في نفس الوقت به مثلما يتداخل لحنان مختلفان إلا أن كلا منهما يمثل الإيقاع للحن الآخر . (٢)

ومن وسائل المسرح السياسي التي يستخدمها الكاتب : الستارة الضوئية التي تفصل مقدمة المسرح عن عمقه والتي تتيح للشخصيات اتخاذ الوضع الملائم من النور ، بحيث يحكم الظل والنور على وجهه وجسده ، على نحو يناسب ويدعم التعبير الذي يريد . (٣)

تستخدم المسرحية إذن ، كافة الوسائل التي يتيحها المسرح الشامل لطرح قضية سياسية ، ولخلق مسرح دعائي تحريضي يستفز الجمهور

(١) محمود أمين العالم ، الوجه والقناع ص ٢٤٦ .

(٢) انظر : مقدمة النار والزيتون ص ٦٩ ، مجلة المسرح ع ٦٩ يناير ١٩٧٠ .

(٣) السابق نفس الموضع .

الى فهم القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تدير المعركة العربية - الاسرائيلية ، ومن خلال هذا الفهم يستفز المسرح الجمهور الى التحرك ضد الرأسمالية التي نسجت خيوط مؤامرة فلسطين ، وضد الامبريالية والنازية الصهيونية الجديدة ، لتغيير هذه الظروف بالقوة " (١)

وتركز المسرحية على أن المقاومة ليست ضد اليهودية وإنما ضد الصهيونية والامبريالية العالمية؛ يقول قائد المجموعة الفدائية وهو يشرح لمجموعته أهدافهم الاستراتيجية :

القائد : ليس بنحارب يا شباب ؟ لأننا أعداء اليهودية ؟
لأننا أرهابيون أو دميون ؟

هوئمتنا بنادقنا اللي شهرناها في وجه الاستعمار الاستيطاني الإجلالي الصهيوني - في وجه العدوان والهمجية .
هذا هو الإنسان الفدائي ، الطائر الفلسطيني ، المقاتل ضد النازية الجديدة ، ضد العنصرية المدعومة بالامبريالية العالمية . (٢)

ويعود الكاتب للتفريق بين اليهودية والصهيونية في موضع آخر ، أما اليهود فإن الكاتب يعرفهم بهذا الشكل :

القائد : اليهود أقليات دينية تنسب للأمم التي هم أبنائها أما الحركة الصهيونية فهي حركة سياسية اقتصادية لها أهداف رجعية وامبريالية من جملتها تجميع اليهود في إسرائيل .

ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد في الفصل بين كل ما يهودى وكل ما هو صهيونى ، بل إن الكاتب يضيف إضافة جوهرية جديدة تمامًا على المسرح :

(١) د . أمين العيوطى . دراسات في المسرح ص ١٦٨ ، الانجلو

المصرية ١٩٦٨ .

(٢) المسرحية ص ٧١ .

القائد : نحن نعتبر أن تحرير الأرض الفلسطينية لا ينطوى فقط على
تحرير الإنسان الفلسطيني وإنما ينطوى أيضا على تحرير الإنسان
اليهودى من العدوان والصهيونية ، وإعادة إنسانيته له .^(١)

ذلك أن الصهيونية تمثل انحرافا عن الجوهر بالنسبة للإنسان ، ولكن
كيف تتلقى الصهيونية — والحالة هذه — التبرعات من المواطن الأوروبى
والأمريكى العادى ؟ تسأل الفتاة موظفا انجليزيا عاديا :

الفتاة : ولكنك دفعت بعض التبرعات لإسرائيل من حين لآخر .

الموظف : بلا حماس . أؤكد لك .

الفتاة : لماذا دفعت إذن ؟

الموظف : أتحبين أن تتهمى باللاسامية ؟ وخصوصا إذا كان رئيسك المباشر
يهوديا ، أو إذا كان أحد الموظفين فى مؤسستك ممن يمكن
أن يصبح فى يوم من الأيام رئيسك المباشر يهوديا ؟^(٢)

ويخرج الكاتب مباشرة من الموقف الأوروبى المساند لإسرائيل بقصد أو بدون
قصد ، إلى الموقف العربى اللامبالى ، ويبدو أن السهل قد ضاقت بالمؤلف
فى وصف هذا الموقف ، بعد أن استهلكت كلمات الإدانة والاستنكار وفرغت
من محتواها لهذا يقول على لسان إحدى اللاجئات الفلسطينيات :

سلمى : أنا العائدة الفلسطينية سلمى ، من معسكر عمر المختار . . ما بديش
أحدثكم عن حالى ، بدى أحدثكم عن حالكم ، أنتم مش عسرب ؟
أنتم مش بشر . .^(٣)

(١) المسرحية ٨١ .

(٢) المسرحية ص ٧٧ .

بهذه الكلمات القليلة اختصر الكاتب رأيه في العرب ، فعلى حين تدافع أصغر الحيوانات عن جحورها ضد أى دخيل ، نجد أن العرب تفتصب جحورهم دون أن يتحركوا .

لكن الكاتب لا ييأس من الإنسان العربى ، ويؤمن أن هذا الإنسان يحتاج الى مزيد من الوعى ، ومزيد من الحرية ، ومزيد من الاعتماد على النفس ومطالبة السلبية واللامبالاة فى أخطر الأمور ، لهذا يفتح المسرحية بهذه الصورة التحريضية :

المغنون : المسألة تخصك

إن كنت فى لبنان ، فى ليبيا ... كنت فى المغرب .

أوى تقول ما يهمني . . . المسألة تخصك .

علشان عليك الدور ... حيحى بعدنا دورك .

علشان حياتك .

علشان بلادك .

حريتك . دارك . مستقبل ولادك

المسألة تخصك . (١)

"المسألة تخصك" مهما كانت بلادك بعيدة عن المواجهة العسكرية ، فالقضية كما يطرحها المؤلف ليست مواجهة عسكرية فقط ، إن هذه المواجهة وجه واحد من أوجه الصراع المتعددة ، إن الوجه الآخر ، والأكثر أهمية همسوا محاولة القوى الرأسمالية ، مستعينة بإسرائيل ، استغلال الشعوب العربية بخيراتهما وسكانها ، يبرز ذلك المعنى من خلال الحوار بين المليونير اليهودى الذى يزور " البلاد " والدليل المرافق له :

الدليل: العالم العربى حولنا فيه ملايين الأيدى العاملة ، وما تملكه إسرائيل من خبرة الإدارة والتخطيط والاستثمار ، مع ما تحت يدها من احتمالات كبيرة جدا لتزاحم الاستثمارات والأمـوال الخارجية يقتضيها

المليونير: مدهش... هذا هو مبدأى . لانتقل عمال زنج الى أمريكا... .
انقل مشروعاتك الى افريقيا . عمالة رخيصة ، وخامات قريبة
وسوق مفتوحة واحتفظ بنقاوة الجنس الأمريكى الأبيض .

الدليل: نحن ننشئ مشروعا كبيرا جدا ونفقات الإنشاء دائما غالية... .
الدبابة عندى هى الجرار الذى يمهّد الأرض للمشروع... . وما يفتح
الحدود المغلقة إنما يفتح ويمهّد الطريق الى أرض المشروع... الى
حقول القطن وحقول البترول وحقول العمالة الكثيفة الرخيصة لصالح
المستثمرين ، لصالح الدول الصديقة ، لصالح الأهالى المتخلفين
المحيطين ، لصالح دولتنا الفتية . (١)

فالقضية قضية استعمارية رأسمالية وليست قضية وعد إلهى كما
يزعم اليهود ، لأن اليهود كجنس صافى لا وجود لهم وهذا ما يعلنه
الكاتب منذ بداية المسرحية لكى يحدد طبيعة الصراع منذ البداية حيث يعلن
باتاى مدير معهد هرتزل بنيويورك :

باتاى : إن ما وصل اليه علم الأنثروبولوجيا الطبيعية يبين — بعكس
المعتقد الشائع — أنه لا يوجد جنس يهودى . (٢)

وقد نجح الكاتب فى توظيف جميع عناصر المسرحية ، والقضايا التى طرحها
فى خدمة القضية المنطقية ، ولعل إخلاص الكاتب لمقدمته المنطقية ، مع البعد

(١) المسرحية ص ٨٣ .

(٢) المسرحية ص ٧٠ .

عن الحماس والخطابية ، كانا وراء النجاح الكبير لهذه المسرحية سواء عند عرضها على خشبة المسرح أو عند خروجها بين دفتى كتاب ، ما جعل لناقدا كبيرا يرى فيها " أفضل ما كتب فى مسرحنا المعاصر عن قضية فلسطين مضمونا ومعالجة فنية ، بل لعلها إضافة ثمينة الى المسرح الانسانى المعاصر عامة " (١)

الثغرة ١٩٧٥

كان من فضائل انتصار أكتوبر ١٩٧٣ العديدة أنها جعلت صورة اليهودى أقرب الى الموضوعية فى الأعمال المسرحية ، فقد كتب فتحى محمد فضل هذه المسرحية بعد انتصار أكتوبر بعامين وقد صور فيها هزيمة إسرائيل ، ليس على الصعيد العسكرى فقط ، ولكن على الصعيد الاجتماعى حيث تقوم إسرائيل على مجموعة من التناقضات التى لا يمكن معها استمرارها كدولة ، وهذه هى فكرة المسرحية الأساسية أو مقدمتها المنطقية ، وهى نفس المقدمة المنطقية التى بنى عليها باكتير مسرحية " شعب الله المختار " ولكن مع فرق كبير فى طريقه إثبات هذه المقدمة والخروج منها بنتيجة منطقية .

ومجموعة الشخصيات اليهودية التى انتقاها الكاتب جاءت لتثبت هذه المقدمة ، فهم ست شخصيات لاتتاسق بينها بل تقوم العلاقات بينهم على التناقض ، التناقض بين الشرقى والغربى ، التناقض بين الأقلية المتدينة والأكثرية الملحدة ، التناقض بين أبناء المدن وأبناء الكيبوتس ، التناقض بين النظرية والواقع ، والتباين بينهم من ناحية الأصل . وهذه المجموعة من الأفراد ضمن الجيش الإسرائيلى الذى دخل الثغرة أثناء حرب أكتوبر ، وحاصروهم الجيش المصرى من كل جانب ، يقول أجنون قائد المجموعة :

اجنون : شين لطيف أن نجتمع هنا . . . رغم التناقض إننا مجتمع غريب .
موردخاي : ولكن علينا أن نصنع دولة .

يائيل : إنها المرة الأولى التى أرى فيها هذا التمزق .
موردخاي : نحن مزقون حتى اللغة .^(١)

وفى حين نجد أن الفكرة الصهيونية تقوم على أن فلسطين هى
أرض الميعاد ، أى أن ارتباط اليهود بها ارتباط دينى ، نجد أن خمسة
من الشخصيات الست من غير المؤمنين :

ايغال : سواء كنا مؤمنين أو ملحدين فنحن يهود .
(ثم لباروخ)

أنت تأخذ العقيدة أمرا مسلما به دون نقاش ، ولكنك ملحد يا
باروخ . فكيف تؤمن بقصة لها جذور دينية . شىء محيّر
بن جوريون ملحد ولكنه يؤمن بالتوراة ويؤمن بحائط المبكى
ويقف أمامه ويبكى ، وموشى ديان أيضا . كيف يتم هذا ؟ كيف
يجتمع الإيمان والإلحاد فى صدر واحد . كيف يأتلف النقيضان
ليس هناك منطق بلا جدال فالدولة الملحدة تركز على الدين .^(٢)

ويشير ايغال تناقضا من نوع آخر ، تناقض بين الفكر والواقع ، تناقض
بين الدعاية الصهيونية والحقيقة المجردة :

ايغال : إننى فى طريقى الى الجنون — ربما أكون قد جنت بالفعل .
لقد درست فى الجامعة العبرية ، ولكن كل شىء آراء الآن مختلفا .
آه .. كم يعذبنى الفكر ، يقتلنى التناقض . يا للبشاعة .. تعمست
كل الأشياء .^(٣)

والى جانب هذه الفكرة الأساسية فى المسرحية ، نجد أن فكرة
جوهريّة أخرى ، سبق أن وجدناها لدى ألفريد فرج ولكنها مرت بسرعة ،

(١) الشفرة ص ٦٥ (من وحي أكتوبر . الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

١٩٧٥ .

(٢) المسرحية ص ٦٨ .

(٣) المسرحية ص ٥٨ .

بينما استوقفت كاتب هذه المسرحية طويلا ، هذه الفكرة هي أن الصهيونية انحرف باليهودي عن جوهر الإنسانية ، وأنه بقدر ابتعاده عن الصهيونية بقدر اقترابه من الإنسانية ، وبرز ذلك بوضوح من خلال جميع الشخصيات ولكن شخصية باروخ أكثر ، لماذا ؟ لأنه الابن الشرعى للثقافة والتربية الصهيونية ، إنه ابن الكيبوتس الصهيونى الذى لا يعرف شيئا ولا يؤمن بشئ غير الفكرة الصهيونية ، يسأله أجنون إذا كانت الأغنية التى غناها قد أعجبته :

- باروخ : لم أفهم منها سوى الحرب والموت .
 أجنون : هكذا أنتم يا أبناء المستعمرات لا تعرفون شيئا سوى الحرب والموت . . . ألا تعرف على الجيتار ؟
 باروخ : لم نتعلم فى المستعمرة سوى إطلاق الرصاص .
 أجنون : أليس لك هوايات ؟
 باروخ : كنت فى طفولتى أضع العصفور فى قبضتى وأضغط حتى يتهمش (١)
 مضيف ايجال قاطعا كل صلة بين باروخ وبين الإنسانية :
 ايجال : لا توجد أم ولا يوجد أب . . . ونعدم الحب تماما . . . إن باروخا يكره فقط . (٢)

ويقوم باروخ بقتل ايجال ويتسبب فى قتل اليعازر وموردخاي ومقتل هو أيضا ، ولا يظل سوى أجنون وياثيل اللذين يفضلان الاستسلام للجيش المصرى ، لكن يبدآن من جديد حياة صحيحة بعيدة عن الحرب المستمرة التى تصفها ياثيل بقولها :

أجنون : فى ربع قرن تشتعل أربعة حروب .
 ياثيل : هذا لا يبنى أسرة . (٣)

(١) المسرحية ص ٥٤
 (٢) المسرحية ص ٦٠
 (٣) المسرحية ص ٧٥

ورغم أن الكاتب لا يوضح طبيعة هذه الحياة الجديدة لليهود المثلين في هذه المجموعة إلا أن سير المسرحية يرفض قيام إسرائيل * ويحتتم -بناءً عليه- أن تكون حياة اليهود الصحيحة بعيداً عنها. يقول أجنون عندما ينزل العلم الإسرائيلي الممزق * ويرتفع بدلامنه العلم الأبيض الناصع عند استسلامهم :

أجنون : علينا أن تفكر .. وتفكر في هدوء * لنعرف أين نحن .. وإلى أين نسير .. (١)

وعلى الرغم من الطابع السياسي للمسرحية إلا أن الكاتب قد نجح في توظيف العنصر الكوميدي * وذلك لأول مرة في المسرحيات التي تناولت الشخصيات اليهودية * وقد قام موردخاي اليهودي المصري الأصل - بأداء هذا الجانب وكانت هذه الكوميديا نوعاً من الاقتراب من الإنسانية عند الابتعاد عن الصهيونية * يقابل ذلك * أو يساعد على ذلك غلبه النشأة المصرية موردخاي * فحين يصبح أليماز بين الغينة والغينة " ارحمنى يا الله " يسأله موردخاي أن يطلب الرحمة للجميع * ولكن أليماز يرفع يديه إلى السماء * وهو راكع مصيح " ارحمنى يا الله " :

موردخاي : (يركع بجوار أليماز متخذاً نفس الوضع صائطاً) لا ترحمه يا الله (٢)

ويختتم المسرحية بأغنية أجنون المعبرة :

أجنون : (يغنى) باسم الرجال الذين أحترقوا بالمدركات

باسم الطائرات التي هبطت مشتعلة

باسمك أنت يا حبيبتى

أرجو أن تكون هذه الحرب هي الحرب الأخيرة .. الأخيرة (٣)

(١) المسرحية ص ٧٧ .

(٢) المسرحية ص ٥٧ .

(٣) المسرحية ص ٧٧ .

والواضح أن الكاتب قد سمع بالأغنية التي انتشرت بين أفراد الجيش الإسرائيلي بعد حرب أكتوبر ووضعها الشاعر الشعبي يعقوب جرون الذي اشترك في تلك الحرب ، وكانت الأغنية بعنوان " الحرب الأخيرة " يقول فيها :

" أقسم لك يافتاتي أن هذه الحرب ستكون آخر الحروب .. أقسم لك بما ألاقية من عذاب .. وليل لم يعد له أمل أن ينقشع .. ان هذه آخر حرب .. وغدا تلتقى في حضن الأمان ... الخ " (١)

ويمكن اعتبار هذه المسرحية ، بكثير من الاطمئنان ، من المسرحيات القليلة التي اقتربت من الواقع الإسرائيلي ومن الإنسان الإسرائيلي وألقت عليه الضوء من الداخل وليس من الخارج ، كما فعلت أكثر المسرحيات ، أى أن الواقعية قد تحققت لشخصيات هذه المسرحية بشكل كبير ، وهى كذلك أول مسرحية تسخر الجانب الكوميدي النابع من الموقف أو الكلمة ، وتعطى شخصية من الشخصيات اليهودية كثيرا من خفه الظل ، وهذه الشخصية كانت شخصية موردخاى المصرى الأصل ، ولعل الكاتب يريد بذلك تأثير الروح المصرية المتأصل برغم تحول موردخاى الى " قاتل " كما قال عن نفسه ، وأن الشئ النقي الوحيد فيه كان بتأثير مصريته وليس يهوديته .

وإذا كان الكاتب قد حكم على أربع من الشخصيات الست بالموت ، فإن هذا الموت كان نتيجة طبيعية لهذا التناقض الصارخ فيما بينهم ، لهذا لم يدخل الكاتب أية شخصية عربية فى المسرحية ، حتى يظل الصراع بين أفراد المجموعة ، لأنه يريد إبراز الصراع اليهودى - اليهودى ، ولا يريد إبراز الصراع العربى - الإسرائيلى - أما الإبقاء على شخصيتين من المجموعة على قيد الحياة فكان بقصد أن ييحظ عن الحياة الصحيحة التى تبنى أسرة .

(١) ملاحج السلام فى الأدب الإسرائيلى ص ٨٤ ، شفيق محمود عبد اللطيف ، ع ٧٤ ، سنة ١٩٧٩ .

اليهودى التاسع ١٩٨٢*

فى محاولة جريئة أخرى لتوظيف المسرح السياسى ، كتب يسرى الجندى "اليهودى التاسع" مازجا باقتدار بين عناصر الرومانسية والشاعرية الشفافة ، وبين الوثائقية التقريرية الجافة ، وبين الأسطورة والواقع ، وبين اليأس والسلبية وبين العمل الإيجابى المثمر . كل ذلك فى بناء فنى متفرد .

عندما عرض الفريد فرج فى " النار والزيتون " للقضية الفلسطينية وجد أنه لا يمكن عرضها من خلال قصة فرد واحد أو عدة أفراد ، بل من خلال الشعب كله ، ولكن يسرى الجندى استطاع عرض هذه القضية من خلال شخص واحد ، مثل بأمانه وصدق جميع أفراد الشعب الفلسطينى كما تمثل خليه واحدة جميع خلايا الجسم البشرى ، وكان هذا الشخص - الخلية هو سرحان بشارة سرحان ، كما اختصر الكاتب الصهيونى - واليهودية فى شخصية اليهودى التاسع بشقيه : الأول والثانى .

تبدأ المسرحية بسرحان الطفل وجها لوجه أمام مشاهد القتل الجماعى والدمار عام ١٩٤٨ مما يجعله يودع طفولته مبكرا ويتساءل بحرقه ويهدده الصغيرة ترقد بخوف فى يد أبيه المهرول ، يتساءل إذا كان يسوع يعلم بكل هذا القتل ؟؟ وعندما يأتيه المسيح يطلب منه سرحان المساعدة ولكن المسيح ، الذى يحمل صليبه ، لا يعطى سرحان سوى صليب وتركه على أمل أن يعود اليه ثانية : يتذكر سرحان معاناته الشديدة وهو - يجرى وسط القتل والدما ، إنه لا يزال يتذكر منظر عربة بها رجلان أحدهما صحفى مراسل لجريدة بوسطن والآخر مصور ، يطلب الصحفى من المصور أن يلتقط لهم صورة ، وكان هذا الصحفى هو روبرت كيندى الذى طالب ، بعد عشرين عاما من هذه الواقعة ، طالب بلاده بإرسال مزيد من الأسلحة وآلات الدمار لإسرائيل ، لهذا وجد سرحان نفسه

نشرت هذه المسرحية بمجلة المسرح السند الثانية اكتوبر ١٩٨٣ ، إلا أن كاتبها يشير الى أنه كتبها فى نهاية ٦٧ وبداية ١٩٦٨ .

مدفوعا لقتل هذا الرجل ، ليس لعداء شخصي ، وليس رغبة في القتل
ولكن :

سرطان : لقد فعلتها من أجل بلادى . . . أننى أحب بلادى . (١)

تشكل محكمة بشكل عيشى يكون فارسها اليهودى الثالث ، اسحق القديم
الذى دفع المسيح بغلظة وهو فى طريقه الى الصليب قائلا : " اسرع -
لماذا تتلكأ " فأصدر المسيح حكمه الرهيب أنا ذاهب . ولكك ستبقى
حتى أعود " (٢) . يستعرض اسحق بعض ألعاب السحرة والحواة ثم يلقى
بالعاب السحرة بعيدا ويخرج نجمة داود ليعلن عداؤه العلنى لسرطان
أما سبب حضوره لهذه المحكمة فهو أنه ينتظر المسيح كما ينتظره سرطان ،
ولكن كلا منهما ينتظره على طريقته الخاصة ، ويصل مسيح اسحق ويكون
مسيحا عصريا جميلا ، إنه باختصار المسيح الأمريكى مخلص هذا العصر ،
ولأن اسحق القديم صريح وواضح حتى فى عداؤه لسرطان يتكرر لــــه
المسيح الأمريكى ، وذلك أن اسحق القديم شرح لسرطان أن العالم كان
يلعب دور الذئب ماعدا العربى الذى يلعب دور الأبله ، وأن القانون
الذى يحكم العالم اليوم هو نفس القانون الذى حكم العالم منذ قابيل
وهاييل وعصر الغاب :

اسحق : إن عالم ما قبل التاريخ ماثلا ما زال
حتى الآن وعلى مرمى البصر الممتد
عالم ما قبل التاريخ لم نبرحه لم يبرحنا
لم يخط هذا الكائن المنبؤ خطوة
ها هو قانونه

انظر خلفك وتمعن يا سرطان

(تضى المؤخرة بستارتى عرض واحد ، أحداهما تعرض صورا
لصراع وحوش منقرضة ووحوش لم تنقرض وحيوانات أليفه أيضا . . الستارة
الأخرى تعرض فى نفس الوقت صورا للعنف فى كل مكان بالعالم . الكونغرس
هيروشيما . فيتنام . انجولا . فلسطين) هذا هو العالم الذى لن يتغير . (٣)

(١) المسرحية ص ٧٧ .

(2) The Jew in early English Literature, P. 54.

(٣) المسرحية ص ٨٩ .

ولكن إنكار المسيح الأمريكى لاسحق إجراء مرحلى ، حيث يقدم اسحق الثانى ، يهودى مداهن مكر مجرم ، يقف المسيح الأمريكى ومعه اسحق الثانى ومعه كثير من الأتباع فى محاولة لتجسيه وإقناعه بالحق اليهودى فى فلسطين عبر الطريق المألوف وهو الابتزاز بحجة الاضطهاد اليهودى عبر العصور ، وهنا يفسر الكاتب عمليات الاضطهاد المتعددة التى حدثت لليهود بأنها صناعة يهودية بحته ، ومن ذلك ما حدث لهم فى السبى البابلى :

بابلى ١: كانت بابل لكل ممالك هذا الزمان مولعة بالحرب والفتوحات
بابلى ٢: وكلل ممالك الزمان كان نقل الأسرى وسبيهم أمرا عاديا
من قبل المنتصر ولم يكن ذلك شيئا اختص به بنوخ نصر
اليهود وحدهم .

بابلى ١: ولكن المهم فى الأمر هو ما حدث لليهود بعدها فى مملكتنا
بابل .

بابلى ٢: كانت الأسباط اليهودية البابلية من حيث تركيبها لا تختلف
عن عالمنا نحن البابليين .

مجموعة ١: (وهى تتحرك حول البابليين) إننا لا نختلف عنهم ،
نحن اليهود منا المزارع والحرثى والأجير والجوال . التاجر
الصغير وصاحب الطنوت . نحن كل خلق الله .

بابلى ٢: وكلل خلق الله الراغبين فى العيش . تحركوا نحو الاندماج
فى مجتمعاتنا البابلية . وفى حدود ما شاهدنا لم يكن
هناك ما يحول دون ذلك من جانبنا .

مجموعة ١: إننا نريد أن نعيش . نمد أيدينا للجميع . فنحن الكادحون
من اليهود . نك العزلة . نتقدم ، نتعامل ، نتزوج ، نشارك
فى فرح المجموع وحزنه ، ولكن دعونا نمر . دعونا ننفض
وكان هناك من يمنعهم بالفعل ، كان هناك من يرفض ذلك
بابلى ٢: فيسمى لفرض العزلة على اليهود .

بابلى ١: لم تكن نحن البابليون من أراد ذلك ولا الحكام ولا الآلهة .
مجموعة ١: ليدعونا نمر . أغنياؤنا اليهود يقفون فى طريقنا . كبار التجار
المرابين . إنهم يحولون دون اندماجنا بالمجموع .

بابلى ٢: ذلك أن الاندماج لم يكن فى مصلحتهم .. ولا يتفق وخطتهم
فى الاستغلال .

بابلى ١: ولذلك استمات أغنياء اليهود فى إحكام العزلة . وذلك تستمر
الصورة كما يريدونها ..

بابلى ٢٥١: (معا) ولذلك كانت هناك مصلحة متبادلة بين أغنياء اليهود
وبين الطبقة الحاكمة المستغلة . كان أغنياء اليهود يجبون
لهم الضرائب الوفيرة من كل فئات اليهود التى يسيطرون عليها
وبالخبرة المالية كانوا منظمين لسير عملية الاستغلال .

ذات الرداء : ومن هنا تتكشف لنا حقيقة الاضطهاد ومعداتها ..

ذلك لم يكن سوى صراع المستغلين ليس الا .

أحدهم : ذلك أنه لابد أن يأتى الوقت الذى تهتز فيه المنفعة

المتبادلة بين أغنياء اليهود وبين الطبقة الحاكمة .

آخر : ومن هنا تندفع الطبقات الحاكمة وتتحرك بسرعة .

آخر : ويصير الأمر معاداة للسامية .. إبادة .. موجة تشريد .^(١)

فى ضوء هذه الصورة يفسر الكاتب كل الحكايات عن اضطهاد اليهود
" من سرجون الأشورى حتى هظر النازى " ، هذا ما حدث فى روسيا
القيصرية ونتج عنه مذابح ١٨٨٠ أيضا .

على نفس الأساس من الاستغلال اليهودى تمت الدعوة لقيام إسرائيل
ولكن هذه المرة تعاونت الرأسمالية الأوروبية والأمريكية مع الرأسمالية
اليهودية لإنشاء هذا المشروع الاقتصادى الكبير . ويكون روتشيلد .. رجل
المال اليهودى أول من يسارع لاستغلال هذا المشروع .

روتشيلد : ما كان باستطاعتهم أن يتقدموا خطوة من دونى .

وما كان لأعلى دونهم أن تتقدم خطوة .^(٢)

(١) المسرحية ص ١٠٤ - ١٠٥

(٢) المسرحية ص ١١٣

ولكى يتم تحقيق هذا المشروع كان لابد من تهجير اليهود الى فلسطين ، وذلك من خلال تهديدهم بالاسامية المحيطة بهم فى كل مكان ، لهذا كانت الاسامية أكبر حليف استراتيجى للصهيونية : هرتزل : وهذا ليس بسر . . ذلك أن توسيع الحركة الصهيونية . . لا يكاد يتطلب الآن بذل جهد كبير . ذلك أن الاساميين يقومون عوضا عنا بذلك ، والاسامية حركة مفيدة لتطوير الفردية اليهودية . (١)

ومعترف كثير من الصهاينة أن هتلر " قد أدى لنا أعظم الخدمات " فهو قد خلصهم من عجايز اليهود وفقائهم وساعد على ترحيل الشباب الى فلسطين :

رودلف كاسنر : إن ما كنا نحتاجه هم الميسرون من اليهود وكذا الشباب أفضل مادة بيولوجية كما يقول صديقى ايخمان . . كس تعلقو الفكرة . (٢)

مكون التطور فى المسرحية ليس فى الأحداث ، وإنما فى الوعى لدى سرحان ، هذا الوعى الذى تدفعه لسرحان ، أو تدفع سرحان اليه ذات الرداء الأبيض التى تجسد الثورة ضد الظلم فى كل مكان وزمان ، وعندما يصل وعى سرحان الى مداه ويمتدح عن الانتظار البائس للمسيح ، فيلقى بصليبه الخشبي فى وجه المسيح الأمريكى متحديا ، ثم تكون قمة الفعل - الوعى فى إطلاق الرصاص على كيدى . يبحث سرحان طيلة المسرحية عن العدل . منتظرا من المسيح أن يحقق له هذا العدل ، لكن السيد لا يعطيه سوى صليب خشبي ، بل إن السيد نفسه جريح متألم . أما ذات الرداء فتعده بالوعى الذى يوصله الى الحقيقة الجوهرية التالية فى بحثه عن العدل : إن العدل يوجد مع القوة ، وهذه الحقيقة التى توصل اليها سرحان هى ما يريد الكاتب أن يوصله اليها من خلال المسرحية ، إنها فكرة المسرحية الأساسية أو مقدمتها المنطقية . لهذا كله اختار سرحان القوة وقتل كندى من أجل الوصول - عبر هذه القوة - الى العدل .

ومما يذكر للكاتب أن لغته تراوحت بين الشاعرية الرقيقة المشحونة
بالموسيقى عندما كان سرحان يعيش مع ذكرياته ومع أحلامه ، والتقريرية
المباشرة عندما تستعرض كثير من الشخصيات الصهيونية والأمريكية
أطماعها في فلسطين والعالم العربي ، بحيث لا يشعر القارئ بفجوة بين
الأسلوبين ذلك أن الانتقال الفكري والوجداني من حال إلى آخر ، يسوغ
هذا الانتقال الأسلوب ، بل وجعله ميزة كبرى للمسرحية التي يمكن
اعتبارها خطوة أخرى ناجحة على طريق المسرح السياسي الذي يستغل
إمكانات المسرح الشامل ، وإن تفردت هذه المسرحية بتوظيف التعبير
في أوقات كثيرة وذلك عند نقل الأحلام والأمانى إلى خشبة المسرح أو تجسيد
الأفكار المجردة .

ولاشك أن نجاح مثل هذه المسرحية على خشبة المسرح يتطلب وعيا كبيرا
من المخرج والممثلين ومن جمهور النظارة أيضا ، لأن هذا اللون
المسرحي لا يمدهم بالمتعة التي تعودوها في المسرح التقليدي ، وإنما
على العكس من ذلك يثير لديهم القلق لأنه يدفعهم دفعا لأن "يكونوا"
كينونة كيفية لا مجرد كينونة وجود .

الفصل الثاني

الشخصية النمطية

في دراستنا للنمطية في الشخصيات اليهودية التي رسمها الكتاب
المسرحيون نواجه نوعين من النمطية :

الأول : ما يسمى بالافكار القوية النمطية

وتمنى " تلك السمات الشائعة الثابتة التي تسمى على عصب ما من جانب شعيب
آخر ، والتي تأخذ شكل العقيدة العامة الجماعية ، والتي تصاغ على غسبر
أساس على أو موضوعي تأثرا بأفكار متعصبة تتسم بالتبسيط في تصويرها
للآخر " (١) .

وقد سادت هذه الأفكار النمطية القوية في العالم العربي تجاه
اسرائيل وخصوصا قبل عام ١٩٦٧ ، وكانت الأعمال الثقافية - والاعلامية
العربية - تبرز صورة اليهودي الجبان في مقابل العربي الشجاع ، ويفسر
السيد بن جماعة الصدمة التي أصابت الوعي العربي بعد عام ١٩٦٧ على
ضوء هذه المحاولات الدعائية المنظمة التي أسهم فيها عدد من المثقفين
العرب الذين يفتقرون الى النظرة العلمية ، والتي حاولت بدأب الاقلاق من
خطر العدو الاسرائيلي والاستهانة بقدراته ، ورسم صورة مزيفة لحقيقة
أوضاعه الاجتماعية والسياسية والعسكرية (٢) . أي على ضوء الأفكار القوية
النمطية التي كانت سائدة في نظرنا لاسرائيل .

والنوع الثاني من النمطية هو الشخصية النمطية بالمفهوم الدرامي
Prototype character ، وهي " شخصية المسرحية التي تظهر فيها
صفات مجمعة من الناس متماثلين في السمات كالانجليز مثلا ، أو فئة من
الناس يتصفون بصفات واحدة كالبخلاء مثلا ، على ألا تكون هذه الشخصية
ذات أصاق تميز أفرادها عن غيرهم من آحاد الناس " (٣) . ومعنى ذلك

(١) الشخصية العربية بين صورة الذات وفهم الآخر . السيد بن ص ١٠١ .

دار التنوير . بيروت ١٩٨١ .

(٢) السابق ص ٢٤ .

(٣) معجم المصطلحات العربية مجدى وهبه - كامل المهندس ص ٢٠٩ مكتبة

لبنان . بيروت .

الاقتصار على الصفات الشائعة في رسم الشخصية دون إعطائها ملامح وصفات تميزها عن غيرها من بني البشر ، وتمثل هذه الشخصية جماعة أو طائفة أو شعبا له مجموعة من السمات ولا تمثل نفسها ، لهذا لا يكون هناك تركيز على السمات الانسانية وبالتالي فإن التعاطف مع أو الوقوف ضد هذه الشخصية النمطية يكون محدودا ، لأن الناس إنما تتعاطف مع أو تقف ضد أشخاص لا مع أفكار نمطية مسبقة .

ونلاحظ تقاربا بين النوعين السابقين من النمطية ، ولو أن المصنعة العالمية تغلب على النوع الأول بينما تغلب المصنعة المحلية على النوع الثاني ، أي أن الأفكار القومية النمطية هي ما يتصل بنظرة شعب ما لغيره من الشعوب أو الجماعات ، أما الشخصية النمطية فهي الشخصية المسرحية التي تمثل في الغالب نمطا من أنماط المجتمع .

وقد جمعت الشخصيات اليهودية في المسرحيات التي سنعرض لها في هذا الفصل بين النظرة القومية النمطية والشخصية النمطية ، فقد قام كتاب هذه المسرحيات بتصوير الشخصيات اليهودية بحسب ما هو شائع عنها ، ولم يعمدوا إلى التغلغل في أعماق هذه الشخصيات ورسمها من الداخل ، فأنحصرت بالتالي في إطار الشخصية الشريرة Villain

صحيح أن صورة اليهودي في الأدب العالمي انحصرت - إلى حد كبير - في إطار الشخصية الشريرة ، وذلك إما على صورة شايلاك أو اليهودي التائه حتى القرن التاسع عشر " وظلت الأعمال الأدبية تقدم اليهود كأناس خارجين عن مضمون الطبيعة البشرية متميزين بإجرامية صرف وهزوف مطلق عن التقيد بالقانون الأخلاقي ، على هذا النحو رسم ديكنز شخصية فاغن في " أوليفر تويست " (١٨٣٨) وترولوب شخصية ملموث في " الطريقة التي نعيش بها الآن " (١٨٢٥) (١) . ولم يكن هذا التصوير بتأثير مسن

(١) د . هاني الراهب . الشخصية الصهيونية في الرواية الانجليزية ص ١١ .
المؤسسة العربية للدراسات . بيروت ١٩٧٩ .

شايلوك أوبراهاس (يهودى مالطة) وانما بتأثير الوضع الاجتماعى والاقتصادى والدينى الذى طار فيه اليهود فى أوربا ، فقبل شكسبير ومارلو ، وفى الحصور الوسطى ، كان اليهودى والشيطان مترادفين فى المسرحيات الأخلاقية فى بريطانيا وفرنسا (١) . وقد ظل الارتباط بين اليهودى والشيطان بعد ذلك بكثير ، فقد ورد وصف شايلوك بالشيطان أكثر من مرة (٢) ، كذلك كانت النظرة الى اليهودية مساوية تماما للنظرة الى الكفر ، يقول لونسيلو عن جيسكا ، ابنة شايلوك : (٣)

Most beautiful pagan , most sweet Jew

أجمل كافرة ، وأرق يهودية (٤)
كما يصفها جرانانو بقوله Infidel أو الملحدة .
كما وصف شايلوك أكثر من مرة بكلمة faithless Jew . اليهودى (٥)
الكافر أو الخائن كذلك كانت كلمة اليهودى مرادفا لكلمة مراى ، وتاجسر البندقية هو فى الواقع مراى البندقية أو يهوديها ، كما كان الناس كثيرى ما يتحدثون لا عن " الدائن والمدين " بل عن " اليهودى والمدين " ، وقد وجدت عوامل كثيرة ساعدت على أن يحتل اليهودى دور المراى فى المجتمعين الأوربيين والإسلامى لعل أهمها أن الدين المسيحى والدين الإسلامى حرما الربا على عكس اليهودية التى لم تحرمه ، وإن كانت حرمت على اليهودى اقراض بنى جلدته بالربا (٦) ، وقد " اهتمد اليهود على الربا تماما فى القرنين الثانى والثالث عشر وذلك لحاجة المجتمع الأوربى - فى ذلك الوقت - لمال سائل لتمويل الحملات الصليبية ، وحركة بناء الكاتدرائيات ، فكان هذان القرنان العصر الذهبى لسيادة اليهود فى مهنة الربا " (٧) .

The Jew in early English literature, P. 65

The Marchent of Venice, The Comedies of Shakespear

Vol. 2 P. 564.

(١) انظر :

(٢) انظر :

ibid P. 568

(٣)

Ibid P. 589

(٤)

Ibid P. 570

(٥)

(٦) انظر : سفر التثنية ٢٠/٢٣ .

(٧) ر . عهد الوهاب المسيرى . الايديولوجية الصهيونية قسم ١ ص ٢٣ .

ولكن هذه العوامل الاجتماعية التي ساندت النظرة القومية للأقليات اليهودية لم تمنع الكتاب من تعمق شخصية اليهودى الشرير أو المراهبة أو كليهما معا ، وتصور هذه الشخصية من الداخل بحثا عن دوافعها النفسية ، وهذا ما فعله شكسبير عندما جعل أعاق شايлок تنطوي على أسى الأم وضغائن كافية لأن تفسد سريرة ملك من السماء ، لا يهودى وحسب (١) .

ثمة ملاحظة جوهرية حول النمطية في رسم الشخصيات اليهودية في المسرح العربى في مصر ، وهى أن هزيمة ١٩٦٧ تعتبر فيصلا نفسى النظرة الى اليهودى ، فسرديات ما قبل الهزيمة طغت عليها النمطية بشكسل واضح ، بينما اقتربت مسرحيات ما بعد الهزيمة من الواقعية ، مع استثناءات قليلة .

وقد برزت هذه النمطية في التصوير من خلال مجموعة من السمات والخصائص التى لازمت الشخصية اليهودية في هذه المسرحيات ، ونععرض فيما يلى لأهم هذه السمات النمطية :

(١) العمومية :

وأعنى بها عدم تعين الشخصية وذلك بإطلاقها مثلا للجماعية وعدم إعطائها الأبعاد الثلاثة التى اصطلح النقاد على أن اكتمال الشخصية المسرحية لا يكون بدونها ، وهى " كيانها الفسيولوجى (المادى أو العضوى) وكيانها السوسيلوجى (الاجتماعى) وكيانها السيكولوجى (النفسى) ونحسب أن إذا لم نعرف هذه الأبعاد الثلاثة لانستطيع تقدير قيمة الكائن البشرى حق قدره " (٢) .

ومثال ذلك ما نجده في مسرحية " إله اسرائيل " لباكثير حيث يستخدم مجموعات من الشخصيات تحمل أبعادا تاريخية ولكنها لا تحمل أبعادا شخصية ففى الجزء الأول

(١) جاذبية صدق . لمحات من المسرح العالمى ص ١٥٩ .

(٢) لايوس ايجرى . فن كتابة المسرحية ص ١٠١ .

"سبعة من شيوخ بني اسرائيل" ، استخداما أقرب الى استخدام
"الجوقة" في المسرح الكلاسيكي منه لاستخدام الشخصيات ، وذلك من
ناحية توظيف وتصوير "الجوقة" وليس من ناحية دلالتها ، بينما يستخدم
الكاتب في الجزء الثالث "جماعة" من اليهود المجتمعين في بال بيسوسرة
ولا يعطيهم حتى الأسماء ، فهم صوت ، ثم صوت ثان وثالث وهكذا (١)
ولا نجد شخصية واحدة تحمل أى بعد من الأبعاد الانسانية ، ولعل
السبب الذى أوقع الكاتب في كل هذه النمطية أنه حاول تتبع اليهود عبر
مراحل زمنية طويلة منذ كانوا في مصر حتى العصر الحديث ، وهذا الامتداد
الزمنى الطويل لم يسمح للكاتب بتعمق الشخصيات أو بخلق شخصيات مسرحية .
كذلك كانت فكرة الكاتب من وراء المسرحية سببا آخر في هذه النمطية ،
وهذه الفكرة هي أن "اليهود" أعداء البشرية ، لهذا جاء تصوير الكاتب
لليهود متسا بالعمومية والبعد عن التشخيص ، واقتصار بالكثير على هذا
النمط الواحد جعله - كما يقول ايجي - كمن يكون فرقة موسيقية يقتصر فيها
على عازفي الطبول فقط (٢) .

في "شيلوك الجديد" ، قسم بالكثير شخصياته الى نمطين ، بدلا من
نمط واحد ، انهم الملائكة والشياطين ، هذا التقسيم الذى أوقع به بالكثير
في كثير من أعماله الأدبية ، ففي هذه المسرحية كان شيلوك وكوهين
وزيكتاخ وراسيل يمثلون الشياطين ، ولم نجد فرقا بينهم ، فيما عدا راسيل
بحكم كونها امرأة ولكنها لم تقل عنهم شيطانية ، وقام ابراهيم بدور الملاك ،
وفهم الملاك - عند بالكثير - يعنى محاربة الصهيونية ، وبالتالي فقد
حصل ابراهيم معظم آراء المؤلف الشخصية ، التى اتضح أنها بعيدة كل
البعد عن الشخصية ذاتها . واغراقا من الكاتب في النمطية ، لا نجد لديه
تفريقا بين الشخصية الأساسية والشخصية الثانوية ، فهو يقدم شخصية
راسيل - مثلا - ويركز عليها حتى يظن القارئ أنها من شخصيات المسرحية
الأساسية ، ويتوقع أن يرى هذه الشخصية حتى نهاية المسرحية ، فقد افتتح

(١) انظر : اله اسرائيل ص ١٥٥-١٦٤ .

(٢) فن كتابة المسرحية ص ٢٢٢ .

الكاتب مسرحيته بهذه الشخصية - راشيل - وهي تخدع عبد الله الفيساف لكي ينفق ثروته ، ويغنى الكاتب أبعاد من ذلك عندما يقدم جانباً من معاناتها الشخصية ، ويكشف أنها حملت سفاحاً من عبد الله ، ثم إذا بالكاتب يتركها فجأة ولا يعود لتقدمها ثانية حتى نهاية المسرحية ، ضارباً عرض الحائط بتوقعات القارئ التي مهد هو لها .

وكان من الممكن لهذه الشخصية - لو تركها الكاتب تسير سيرتها الطبيعية - أن تكون الشخصية الحية الوحيدة بين الشخصيات اليهودية في المسرحية ، ولكنه يتركها يترأ .

أما الشخصية الرئيسية ، وهي شخصية شيلوك ، فقد اتسمت هي أيضاً بالعمومية والنمطية ، ففي حين يبرر شكسبير ذلك الحق الذي ينطوي عليه قلب شيلوك تجاه المسيحيين ، يشتمهم له ويصفهم عليه ، نجد شيلوك بالكثير يحمل أضعاف هذا الحق ليجرد أنه يهودي . وهكذا يتجرد هذا الشايلوك من كل الصفات الفردية ليتحول إلى رمز لليهود الصهاينة .

يكتنع الكاتب عن إعطاء المعلومات عن الشخصيات سواء الشريرة منها أو الطيبة ، لهذا نحن نتوقع سلوك هذه الشخصيات حتى نهاية المسرحية . والشئ ذاته حدث في " شعب الله المختار " فقد قام الكوهينات الأربعة (كوهين ، كوهان ، كوهينسون ، وكوهينوف) بدور الشياطين الصهاينة - مرة أخرى يستخدم الكاتب المجموعات وليس الأفراد - وذلك في مقابل الملائكة : سيمون ، ليفي ، عزرا ، حيث تمثل " الشياطين " الأربعة الفكر الصهيوني ولا يطرأ على شخصياتهم أي تغيير أو تحول أو انكشاف ، وكان أحدهم بالكاتب الاكتفاء بشخصية واحدة تمثل هؤلاء الأربعة لأن كلام أي منهم وأفعاله يمكن أن تنسب للآخر دون إخلال بالمسرحية ، أما " الملائكة " فقد طرأ تغيير جوهري على شخصيتي سيمون وليفى وسنمعرض لهذا التغيير فيما بعد ، بينما ظلت شخصية عزرا على حالتها من الجمود ، بل إنه من الممكن القول إن هذه الشخصية لم تتضح في ذهن المؤلف لهذا جاءت مضطربة في المسرحية ، فإذا كان سيمون وليفى يرفضان الصهيونية ويحاربانها لما فيها من زيف وخداع

ومعاصرة ، فان عزرا يرفض الصهيونية لأنها غريبة ، وتشف أقواله عن إيمانهم بصهيونية شرقية وإيمان عميق بأن الاختيار الإلهي كان لليهود الشرقيين وليس الغربيين ، ذلك أن السفارديم - كما يرى - حافظوا على نقائهم العنصري ، بينما اختلط الشكنازيم ببقية الأمم الأوروبية (١) .

من بين جميع الشخصيات النمطية لدى باكتير تفرد شخصية شيلوك بميزة أساسية ، ذلك أنها - برغم جمودها - استطاعت التأثير في غيرها من الشخصيات وتطويرها ، ويتضح هذا التأثير في شخصية عهد اللبس - الفياض بالذات ، الذي يعزى كل التطور الذي طرأ على شخصيته إلى شيلوك ، لهذا فان شخصية شيلوك شخصية نمطية موجبة مؤثرة في غيرها ، بينما انعدمت هذه الإيجابية في غيرها من الشخصيات اليهودية لدى الكاتب .

وفي المرات القليلة التي أعطى فيها الكاتب بعض الملامح الجديدة كانت هذه الملامح ضمن تصور نمطي ، فهو في " إله إسرائيل " يصور الأنفسي رمز اليهودية التي استقر رأسها في فلسطين " وصار للراس وجه يهودي بانفه المعقوف وهنيه النهمتين " (٢) ، كما كان لشيلوك عند باكتير " عينان كبيرتان يسطع منهما بريق عجيب كبريق عيني البومة " (٣) .

وإذا كانت هذه النمطية الفسيولوجية لليهودي مستهجنة في التصوير الأدبي ، فان بعض الباحثين الاجتماعيين - سيمبل روث - يعطيها ظلالاً من الحقيقة بقوله : " ان قرنين من الحياة في الجيتو الاجباري كان لها آثارها بلاءك فمن ناحية بدنية تدهور النمط اليهودي لقد نقصت بهرات مسن قامته واكتسب انحناءة دائمة " (٤) ويهدو لي أن هذه المقولة قد ظهرت بتأثير " إيفانهو " السبر والترسكوت ، وليس بامتقراء الواقع الفسيولوجي لليهود .

(١) انظر : شعب الله المختار ص ١٩ .

(٢) إله إسرائيل ص ١٧٣ .

(٣) شيلوك الجديد ص ٤٥ .

(٤) د . قدرى حفي ص ١١٨ تجسيد الوهم .

ويؤلف د. محمد الحداية في العمومية أكثر من باكثر ، وذلك في مسرحية "حدث في رفح" فهو مجرد معظم شخصياته اليهودية حتى من الاسماء ، ويكتفى بالإشارة لها بقوله "مجموعة من الجنود" أو "ضابط اسرائيلي" وهكذا ، ولم يأخذ اسما سوى ضابط يدهى هريمن وهو مجرد "خواجة" يتحدث بالانجليزية (١) ، وبالتالي لا تتفق هوية هذه الشخصية عند صورة اليهودي بـل تشترك مع صورة الانجليزى والفرنسى وكل أجنبي "خواجة" يتحدث بالانجليزية ، وصار من الخطأ إعطائه اسما وسط كل هذه العمومية في الشخصيات ، وضابط آخر يدهى هليل وقد طرا على شخصيته نوع من التطور قرب نهاية المسرحية ، أما عن تصويره الجسماني - يقول المؤلف - هذا يتوقف على طول ولون بشرة الممثل (٢) .

وأما في العمومية فإن الكاتب لا يفرق بين الصهيونى واليهودى ، فهو يستخدمهما بنفس المعنى ويستخدم "الاسرائيلى" أحيانا أخرى للمعنى ذاته . والملاحظ على الشخصيات اليهودية لدى الكاتب ، سواء حملت أسماء أم كانت مجردة منها ، أنها كانت تمثل اليهودى القزم فى مقابل العربى العملاق .

وبنفس هذه الصورة ، من النظرة الى الذات والآخر ، قدم رشاد رشدى اليهود فى مسرحيته "الزهور لاتذبل أبدا" فهم مجرد مجموعة من اللصوص ، "وهم دولة عيال" فى "محاكمة عم أحمد الفلاح" (٣) ، وهذا التسطيع نفسى رسم صورة اليهودى يقابله تسطيع مماثل فى رسم صورة العرب أيضا ، ويرد فاروق عبد القادر هذا التصوير الى أن الكاتب "افتعل ثورية زائفة وحسابات تطلق الانسان أو الفلاح المصرى ، وهو يكشف عن معرفة ساذجة وضلوسة بالعدو لاتتجاوز سطورا من أساطيرهم وبعض الثورات الفاتحة عنهم" (٤) ، وهذا

(١) حدث فى رفح ص ٣٠ .

(٢) حدث فى رفح ص ٦٥ .

(٣) الزهور لاتذبل أبدا ص ٤٤ .

(٤) محاكمة عم أحمد الفلاح ص ٧٣ .

(٥) فاروق عبد القادر . ازدهار وسقوط المسرح المصرى ص ٢٢٠ كراسات الفكر

المعاصر ١٩٧٩ .

القول على صحته ، لا يفسر هذا التصريح في الشخصيات اليهودية والعربية ،
ويمكن أن نصف إليه ضعف الموهبة الدرامية عند الكاتب ، هذا الضعف
الذي لم يمكنه من رسم شخصية فنية واحدة لها مقومات النجاح .

وتزداد نمطية شخصيات رشدي وضوحا عندما نقارن بين مسرحيته المقتبسة
" الزهور لاتذبل أبدا " والنص الأصلي الذي اقتبسها منه وهو قصة " أقول
القمر " لشتاينيك لنجد أن هذه الشخصيات كانت شخصيات حية من لحم
ودم عند شتاينيك ، بينما جردها رشدي من الأدبية في مسرحيته ، وتحولت
إلى أنماط لاهية فيها ، والأمثلة على التغيير في الشخصيات بين العليين
كثيرة ، من ذلك أن قائد الحملة الألماني وضابطه ، عند شتاينيك يتعاملون
مع عمدة القرية - في البداية على الأقل - بكل لطف وكياسة والمفهوم الغربي
" للجنتمان " ولكن رشدي جعل الضابط الاسرائيلي ، وجنوده يعاملون العمدة
منذ البداية بخلفه ووحشية ، وإذا كان رشدي على حق في هذه الوحشية
فقد كان عليه أن يبررها ، فالإنسان الشرير له دوافعه أيضا ، هذه الدوافع
التي تجعل من أعماله وأقواله أمرا معقولا ومنطقيا من وجهة نظره على الأقل .

كما حذف الكاتب تلك التفاصيل التي وردت في الأصل والتي أعطت
الشخصيات أبعادها الأدبية وذلك مثل اهتمامات جنود الغزاة وأملهم
وهموسهم الصغيرة فتحولت شخصيات شتاينيك الحوية إلى مجرد أسماء عند
رشدي ، فليس لأي شخص منهم ما يميزه عن الآخر ، وخاصة بالنسبة
للشخصيات اليهودية .

وقد حذف الكاتب مشهدا بأكمله هو مشهد محاكمة أحد سكان القرية ،
لأن هذا المشهد يظهر إلى حد كبير أخطاء قائد الحملة الألمانية الكولونيل
لانسر ويانتظري عليه من مشاعر فياضة ، وكثيرا ما تتعارض هذه المشاعر مع
ضرورة أداء الواجب العسكري البغيض إلى النفس (١) .

(١) انظر : أقول القمر لشتاينيك ص ٨٧-٩٤ ترجمة منير البعلبكي دار العلم
للملايين . بيروت ١٩٥٤ .

وبلاحظ د . حسين مؤنس - برؤية عيقة - أن فتاينيك " لم يقسم
شخصيات قصته الى ملائكة وشياطين ، الى أبطال وأشرار (هذا التقسيم
الذى أوجده رشدى فى مسرحيته عندما جعل الصراع بين الخير والخير
والشر الخالص) فهو يعرف أن الانسان لا يمكن أن يكون ملاكا خالصا
ولا شيطانا خالصا والا لما خلقه الله وكان فى الملائكة والشياطين الكفاية ،
وانما هو انسان فيه من الخير والشر جوانب ، كل الفرق أن هناك أناسا
هم أقرب الى الملائكة وأناسا هم أقرب الى الشياطين وذلك يضى طسى
قصته طابعا انسانيا واقعيا " (١) انتقدناه عند رشدى ، وضيف د . حسين
مؤنس منمنا شخصيات فتاينيك ، ولنلاحظ أن شخصيات رشدى جاءت طسى
العكس منها تماما ، يقول : وشياطين هذه القصة هم من ذلك الطراز
(الانسانى) كذلك ، انهم ليسوا زبانية سودا لا يفكرون ، إلا فى الشر .
قلوبهم من حجارة واحساسهم متهد بل هم ناس كغيرهم من الناس
لهم نصيب من طيبة القلب ورقة الاحساس ، اضطرت بعضهم ظروف الحياة
الى أن يقسموا بأدوار الشر ، وبعضهم الآخر مخدوع متأثر بدعايات قومية
وطنية ، ومن هنا ننحن لانرى فى الكولونيل لانسر قائد قوة الاحتلال شيطانا
مريدا لاهم له الا التكنيل بالأحرار ، بل ضابطا عاديا يؤدى وجهه البغيض
على كره منه فى كثير من الأحيان ومن ثم فالمسافة بينه وبين بطل القصة
" العمدة " قصيرة جدا وسوف نراها يلتقيان عندما يلقى العمدة فقرات من
خطاب وداع مقراط (٧) .

ولم تقتصر العمومية عند رشدى على الشخصيات بل تجاوزتها الى المكان
فهو يصف مكان الأحداث بقوله " المكان : بلدة عربية منعزلة تبعد عن
حدود الاردن بنفس المسافة التى تبعد فيها عن حدود اسرائيل (٢) .

(١) د . حسين مؤنس . ثم غاب القصر . مقدمة المسرحية ص ٦ مكتبة مصر
١٩٥٦ القاهرة .

(٧) السابق ص ٨-٧ .

(٢) الزهور لاتذبل أبدا ص ٣٥ .

وهى قرية صحراوية :

العصدة : هذه بلدة صغيرة فى قلب الصحراء ومعدة عن كل شئ (١) .

وهى قرية ساحلية أيضا :

عزة : أولاد الرشيد سيبحرون الى مصر ٠٠٠ سيأخذون قارب ليشتع
ويأخذون ليشتع نفسه لقذفه فى البحر (٢) .

فأين تقع هذه القرية المستحيلة ؟؟

كذلك من سمات العمومية أن الكاتب لم يفرق بين اليهودى والصهيونى
وكان يستخدم كلمة " الصهيونى " و " الصهاينة " للتوبيخ لا للتحديد .

ولو انتقلنا الى مسرحية " الكوميديا اليهودية " لوجدنا نفس العمومية
تسود الشخصيات اليهودية ، فهذا حاييم لانرى له شخصية خاصة ولا فكيرا
خاصا حتى يصح أن نضع بدل اسمه كلمة " يهودى " ، وهو يتحدث دائما
بصيغة الجمع :

حاييم : الكنيسة اعتقلتنا فى سجن كبير - هذا الاعتقال جعلنا نفقد صفاتنا
الأصلية التلمودية بإسارة هو كتابنا الوضعى فيه تتركز سياستنا
التقليدية (٣) .

وهندما يبدأ فى التصرف كشخص ويتحدث بضمير المفرد وليس الجمع
يكون ذلك من أجل افراز فكرة ما وليس من أجل تطوير الشخصية ، وأمس
ذلك أن دور حاييم ينتهى فى تلك اللحظة حيث يموت بطريقة غامضة
قبل أن تتكون شخصيته الفردية على المسرح .

تعد شخصية ايليا النبى المبشر بالمسيح المنتظر امتدادا لشخصية
حاييم ، حيث يظل يتكلم بضمير الجمع عن اليهود ولا يتحدث عن نفسه

(١) المسرحية ص ٣٧ .

(٢) المسرحية ص ٤٤ .

(٣) الكوميديا اليهودية ، أحمد السعدنى ص ١٩ .

على الإطلاق ولا نجد له ما يميزه عن غيره سوى سمة القدرة على قراح الإنكار ، حتى هذه الميزة يوظفها أيضا في خدمة المجموع اليهودي . هناك أيضا شخصيات رؤسائ الطوائف اليهودية أو الحاخامات الذين يفتقدون حتى الأسماء الفردية ويحصر تصويرهم ضمن التصوير النحوي لا الفردي ؛

ويتمتع تقسيم الشخصيات الى ملائكة وشياطين الى كثير من الكتاب ، ففي مسرحية بعنوان " ثقب في حائط المبكى " يقدم الكاتب مجموعة من الشخصيات اليهودية - الشياطين - وهذه الشخصيات غير متميزة المعالم ولا يوجد أدنى فرق بين أحدهم والآخر ، وكان من الممكن الاكتفاء بشخصية يهودية واحدة أو اثنتين لولا حاجة الكاتب لحشد نصف كتبه من الجيش الإسرائيلي بجنودها وضباطها لمواجهة تسعة من الصيادين المصريين المنزل من السلاح ، والمسجونين في غرفة ضيقة ، ورغم ذلك يفشل كل هذا الحشد الإسرائيلي في مواجهة الصيادين ، ويعتمد الكاتب في تصوير الشخصيات اليهودية ، على كل ما هو شائع عن اليهود ، وتتعلم أية رئيسة حقيقية للمدو ، بل انه يصح بطريقة حافلة بالمباشرة والتسطيح " انسا عالقة وسنطرد قوم الأقزام " (١) .

أما نجيب سرور فهو لا يقدم شخصيات يهودية بالمعنى المفهوم ، ولكنه يقدم - بصورة رمزية بسيطة - مجموعة من الساحرات تمثل بني إسرائيل ، نتيجة لذلك يقع فيما وقع فيه باكثير من قبل ، اعنى تصور وجود متواصل لليهود عبر القرون ، تظهر مجموعة الساحرات الكيد لمصر والمصريين منذ ايام الفراعنة وحتى يومنا هذا ، وتحدث بقية الشخصيات عن اليهود ، فتصفهم مرة بأنهم " جنس القرد " مرة أخرى هم " ذئاب " (٢) ، وتأخذ العمومية شكلا قريبا من ذلك عند فؤاد دؤارة في مسرحية " العيسور " فاليهود " زى دودة القطن غايضة تاكل الخور اللي في أرضنا مرة ، وهم مجرد " مجموعة من الكفار " مرة أخرى (٣) .

(١) ثقب في حائط المبكى ص ١١٦ . كمال اسماعيل .
(٢) منين أجيب ناس ص ٤٠ . نجيب سرور روايات الثقافة الجديدة ط ٢٠١٩٨٤ .
(٣) العيسور ص ١٨ فؤاد دؤارة .

في مجموعة مسرحيات ذات فصل واحد نجد هذه العمومية في تصوير
الشخصيات اليهودية ، ففي مسرحية بعنوان " الجرح يغنى " (١) ، وأخرى
بعنوان " لا تقتلوا يوسف " (٢) لمصطفى عبد الغنى ، وثالثة بعنوان " ملحمة
من سينا " (٣) ، لصالح راتب لانجد شخصية يهودية واحدة ، بل هم دائسا
" اليهود " و " الأعداء " و " الكلاب " و " الأوغاد " الخ ، وذلك
دون تمييز بين آحاد أولئك " الأوغاد " .

(٢) العدوانية :

واليهودى المدوانى أو الشرير هي الشخصية العامة التي تشترك فيها
جميع المسرحيات دون استثناء ، فاذا فرق الكاتب بين اليهودى اللاصهيونى
واليهودى الصهيونى ، كان الأخير هو المدوانى الشرير المتوحش ، أما
إذا لم يفرق بين هذا وذاك فإننا نجد جميع شخصياته اليهودية سواء في الشر
والعدوانية .

أما الفرق بين مسرحية وأخرى فهو في طبيعة هذا الشر ، فقد صور
أغلب الكتاب هذا الشر وهذه المدوانية على أنها طبع أصيل في نفسية
اليهودى أو الصهيونى ، وبالتالي فإن الطبع لا يحتاج الى تفسير أو تبرير
بينما لجأ بعض الكتاب الأكثر حداثة الى تفسير دوافع هذا الشر وهذه
المدوانية .

وقد فرق باكثر في مسرحيته الأوليين بين الصهيونى واليهودى اللاصهيونى
لذا فقد نسب الشر والعدوانية لكل الصهاينة ، بينما جعل اليهود اللاصهيونيين
مثالا للبطل الذى لا عيب فيه The flawless hero ، وذلك بعكس

(١) ضمن مجموعة " الارشفيحي ومسرحيات أخرى " الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .

(٢) ضمن مجموعة " الحصار " الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ .

(٣) من روى أكثر : قصتان مسرحيتان الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ .

مايزم " لنداو " من أن باكثير قد هاجم في " شيلوك الجديد " الصهيونية واليهود معا بنفس القدر ^(١) .

في شيلوك الجديد نجد أن شيلوك مثل الصهيونية - يؤمن بأن سياسة العنف هي الحاسمة ولا تغنى عنها مكاتب الدعاية ^(٢) وأن الارهاب هو أفضل الطرق لحماية الصهيونية ، وعندما يتقدم جوزيف رئيس الجمعيات الارهابية ، لشيلوك قائلا :

جوزيف : نحن مستعدون للعمل فمرنا نطعمك يا مسيو شيلوك .

عندها تظهر نفسية شيلوك الدموية ، ويتضح رأى الكاتب في عدوانية الصهاينة من أنها نظرية في نفوسهم ، يقول :

شيلوك : أريد أن أشم رائحة الدم وعيني تشتتني أن ترى حمرة ^(٣) .

وتحول هذه الرغبة الدموية الى أفعال وذلك عند اغتيال اللورد ميهن في مصر على يد أحد الصهاينة ^(٤) ، وكذلك عند اغتيال الشيخ سعد وهائلته على يد أحد أتباع شيلوك وهو زيكناخ الضابط في الشرطة ، وذلك لأن هذا الشيخ الطافن في السن رفض أن يبيع أرضه لشيلوك . وهذا الشر المتواصل في طبع شيلوك يجعله يرى سيء الشكسوى على حق في المطالبة برطل مسن لحم أنطونيو ^(٥) .

وكعلاج لكل هذا الشر يقترح باكثير أن يتحول شيلوك عن اليهودية الى المسيحية وذلك " باعتبار اليهودية منبع هذا التعصب الديني الأعمى ، وهذا الحقد على البشر ، وهذا الجشع والشدة في الغلو في حب السيادة وعبادتها ، فكانت المسيحية بما فيها من الروحانية المثالية خير علاج له " .

(١) يعقوب لنداو . دراسات في المسيح والسينما عند العرب ص ٢١٢ ترجمته أحمد المغازي .

(٢) شيلوك الجديد ص ١٣٤ .

(٣) المسرحية ص ١٢٢ .

(٤) المسرحية ص ١٢٤ .

(٥) المسرحية ص ٧٧ .

(٦) المسرحية ص ١٤٣ .

ولا يفت الأمر عند تحول شيلوك الى المسيحية ، بل ان الكاتب يرى
ان حل المشكلة اليهودية يكمن في تحول كل يهود العالم الى المسيحية
يقول على لسان ميخائيل :

ميخائيل : واعتقد أن هذا الدواء الذي قدمه شكسبير هو الحل الوحيد
للمشكلة اليهودية العالمية .^(١)

وكان شكسبير قد رأى من قبل في اليهودية مصدرا للشرور ، لهذا
تحولت جيبيكا عن اليهودية الى المسيحية لان طابعها الخيرة لا تتناسب مع
اليهودية .

لم يكن باكثير أول من فكر بحل المشكلة اليهودية العالمية بتحول اليهود
الى المسيحية ، بل سبقه الى ذلك هرتزل نبي الصهيونية فيما بعد ، السذي
كتب في بداية مذكراته يقول : " ان المشكلة اليهودية بالمعنى الشخصي -
اي يهودية هرتزل - كانت تشكل له موضوع قلق نفسي منذ امد بعيد .
ويقول انه ربما كانت هناك اوقات فكر خلالها بالانتماء عن المشكلة النفسية
التي عانى منها عن طريق اعتناق المسيحية ، لكن على أي حال فهو
يخبرنا انه أثناء اقامته في باريس عام ١٨٩٣ كان قد توصل الى حل للمشكلة
اليهودية بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية ، فقد استنهد مخططا للتوصل الى لقاء
البابا من خلال رؤساء الكنيسة كي يقول له : " ساعدونا ضد اللاسامية
وأنا أتعهد بأن أنشئ حركة كبيرة لتحقيق اعتناق اليهود للمسيحية بطريقة
حرة ومحترمة " وارتأى هرتزل بأن تتم احتفالات اعتناق المسيحية بنفسه
في وضع النهار في كاتدرائية كبيرة أيام الأحد وسط زهين الأجراس ، وقد
اقتنع هرتزل بأن هذا الحل سيؤدي الى اعتناق جميع الأطفال اليهود للديانة
المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد مما يؤدي الى اختفاء اليهود دون الضرورة
الى تنصير جيله الحالي .^(٢)

(١) المسرحية ص ٢٥٢ .

(٢) عقدة هرتزل بين العم توم ودون كهوت ١٠ ن . سعد ص ٢٠ شكرون
فلسطينية ج ١٥ نوفمبر ١٩٧٢ .

ويستمر باكثر في مسرحيته الثانية " شعب الله المختار " في التمييز بين اليهود والصهيانية وجعل الشخصية الشريرة من نصيب الصهيانية فقط ، وهم يقومون هنا باغتيال مراقب الأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت لأنه ذكر الحقائق في تقاريره للهيئة الدولية ، ويهددون المراقب الجديد داندی بأنه سيلاقى نفس المصير ان لم ير الحقائق من وجهة نظرهم هم .

ولا تقتصر العدوانية على الأفراد ، بل تتعداهم الى الدولة ، فهذا رئيس الوزراء بن جوريون " يوجه كل همه الى تحطيم كيان العرب بمئات السبل مختلفة ويرسم سياسة التخريب بمصر في قطاع غزة لارهابها وجعلها على قبول الصلح " .

يتغير الحال في مسرحية باكثر الثالثة " اله اسرائيل " حيث لم يعد بين اليهود من أخيار ، ونجد جميع شخصياته اليهودية عريقة في الشر والاجرام ، حتى " أن الشياطين ذاتها تمجز عن مجارة اليهود في هذا الشر وهذه العدوانية ، ويجد ابليس نفسه وشياطينه دون هل ، بعد أن تولى اليهود القيام بمهمة افساد العالم وتخريبه ، ولا يجد ابليس من وسيلة سوى التزاح بين اليهود والشياطين لكي تتعلم الشياطين فنون الخوابة والافساد من اليهود . وهذا الشر اليهودي - كما يرى الكاتب - غير قاصر على فلسطين أو العرب ، كما كان الحال في المسرحيتين السابقتين بل هو موجه الى كل بني البشر ، يقول عنهم ابليس :

ابليس : انهم لم يعودوا من البشر الا تراهم يتقدون حقدا على البشر وشتمون بما يصيبهم من نكبات .

وقد بلغ من عدوانيتهم وتاصل الشر فيهم أن أشعلوا الحرسين العالميتين .

(١) وقد صدر العفو عن قاتل الكونت برنادوت وتم انتخابه فيما بعد عضواً في الكنيست . انظر : ش . ن . ص ٤٨ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ .

(٢) شعب الله المختار ص ٢٨ .

(٣) المسرحية ص ٥١ .

(٤) اله اسرائيل ص ١٧٧ .

(٥) المسرحية ص ١٨١ .

ويعمل باكثر على تاصيل الشر والعدوانية عند اليهود منذ القدم
فهم قد سرقوا ذهب المصريين عند خروجهم من مصر ، كما هاجم جيشهم
مدينة اريحا وقتل جميع من فيها من نساء واطفال وشيوخ ، وهذه الحادثة
تدونها التواريخ التوراتية ، بل ان التوراة تدعو صراحة الى الابدادة . حيث
جاء في سفر التثنية :

° ان لم تسالك مدينة بل علت معك حربا فحاصرها ، واذا اوقعها السرب
الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، واما النساء والاطفال
والبهائم وكل ما في المدينة فتغتنمها لنفسك وتاكل غنيمة اعدائك التي اعطاك
الرب الهك ، وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من
مدن هؤلاء الامم هنا ، واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك
فلا تستبق منها نسمة .

وقد وجد حاخامات الجيوش الاسرائيلي في هذه الايات - وهي كثيرة -
مادة خصبة لتلقين الجنود كيفية معاملة العرب اوقات الحرب والسلم .

لهذا كله لم يكن من المستغرب ان يتخذ اليهود من الحية رمزا لهم ،
ويقدم الكاتب هذه الحية في بداية كل جزء من اجزاء المسرحية وهي تلتصق
حول جزء من العالم على الخريطة ، حتى تصل رأسها الى فلسطين ، وتحصل
هذه الحية وجها يهوديا . ولا ينسى الكاتب أن يجعل من قوة الشر هذه
موجهة لضرب الأديان السماوية : المسيحية والاسلام . وقد هم باكثر صفة
العدوانية على جميع الشخصيات اليهودية بعد أن انهارت أحلامه - ومن
الجدير بالذكر ان البعض لا يزال يحلم هذه الأحلام ذاتها - في أن انتماء
اليهود الشرقيين للأمة العربية سيجعلهم ينقلون على دولة اسرائيل مما
يؤدي الى تحطيمها .

(١) المسرحية ص ٦٣ .

(٧) سفر التثنية ١٦-١٣/٢٠ .

(٢) المسرحية ص ١٢٣ .

يستمر هذا النمط الاجرامى للشخصية اليهودية الشريرة عند د . محمد الحداية ، الذى يتفق مع باكتير فى مسرحية الاخيرة من حيث التوسيع بين جميع الشخصيات اليهودية فى العدوانية ، فهم " معاصو دماء " (١) ، وتخبرنا مريم - المجاهدة المصرية التى تنضم للمقاتلين الفلسطينيين - انهم قتلوا زوجها وولديها " هؤلاء " المجرمون يوم دخلوا خان يونس جمعوا اطفال البلدة واطلقوا عليهم الرصاص (٢) ورغم ان الكاتب لا يستطرد فى اعمال اليهود الشريرة الا ان هذه الحادثة الوحيدة ، وهى جمع اطفال المدينة وقتلهم ، تكفى للبرهنة على رأى الكاتب فى تاصل الشر والعدوانية فى نفوس اليهود .

ويؤكد رشاد رشدى هذه الحادثة بحادثة ماثلة ولكنها اقرب الى الاذهان ، وهى حادثة ضرب اسرائيل لمدرسة بحر البقر وقتل من فيها من الاطفال (٣) ، ويتوقع القارئ ان يجد تفسيراً لهذه العدوانية يتساوى مع حجم الحادثة التى يذكرها المؤلف - بحر البقر - الا ان الكاتب يصدّق القارئ عندما يفسر ذلك بأن اسرائيل " دولة عيال " و " اصلاحية أحداث " :

الرأى : مشر بلد ... لا ... دى اصلاحية .

عاشبين فيها أحداث مجرمين .

بالغريزة بالطبيعة سفاحين .

حتى وهم لسه صغبرين .

الشاعر : فما بالك لو انهم فى يوم

وققوا على رجلهم وققوا كهار

ايه ممكن يحل بالعالم وقتها

(٤)

الا الخراب والدمار .

(١) حدث فى رفح ص ١١٦ .

(٢) المسرحية ص ١٤٨ .

(٣) محاكمة عم أحمد الفلاح ص ٧٣ ، وقد قالت جولدا مائير تعقيباً على قتل الاطفال المصريين " ليتنا لم نهق منهم على أحد " وعندما سألتها المستر هارولد ويلسون رئيس الوزارة البريطانية هل قالت ذلك حقاً ، أجابت بالاجاب . انظر : د . حسين مؤنس : كيف تفهم اليهود ص ٧٩ كتابك .

١٩٧٨ .

(٤) المسرحية نفس الموضع .

وفي مشهد آخر لهذا الاجرام المتاصل في نفوس " الأعداء " يحمل
عم أحمد الفلاح جنديا جرحا منهم . ولكن هذا الجندي يرد له الجميل
بأن يوجه له ضربة فيقطع إحدى رجله . ولا يقتصر الأمر على جنود العدو ،
فحكاسهم أكثر عدوانية ووحشية ، هذا أحد حكام اسرائيل يتحدث عن
العرب في المناطق التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ :

حاكم : في كل مكان

اكنوا أنفاسهم

اشنقوهم .. اخنقوهم

على الكل أصدرت حكمي (١)

بالاعدام .. أيه اعدام

ولكي يبرز الكاتب نزعة الشر الكامنة في الوجود اليهودي ، يردد تهمة
الدم الشهيرة Blood-Sacrifice والتي تنص على أن " اليهود يقربون
بضئ " الفطير " في بعض الأعياد الدينية معجوناً بالدم المسيحي أو المسلم " .

ويرى البعض أن " حوادث القتل الطقسي تثبت أن تهمة الدم هذه
لا يمكن أن تكون مجرد تهمة ألصقت باليهود ، ولكن يبدو أنها كانت
حقيقية ناتجة من الظلمات والجهل الذي تغش في الجهو بسبب القراءات
الدينية المتعمصة وسيطرة الحاخامات على عقول اليهود بالاضافة إلى
ما انطبع في وجدانهم من شعور بالكراهية والحقد على غير اليهود (٢) .

وتعدد الباحث أكثر من خمسين حادثة قتل طقسي بقصد الحصول على
الدم ، وهي تدعّم رأيها هذا برأي للباحث الاسرائيلي يهوشاف هركابسي

(١) المسرحية ص ٧٤ .

(٢) المسرحية ص ٤١ .

(٣) موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية ص ١٤٣ د . عبد الوهاب المسيري .

(٤) سناء حبري . الجهو اليهودي ص ٨٩ رسالة ماجستير . جامعة
عين شمس .

الذى يقول : " ان تهمة الدم هذه حقيقية ولا سيما في اعترافات اليهود الذين تركوا اليهودية مثل الحاخام أبو العافية الذى اعتنق الاسلام والحاخام تاديتسنوس الذى اعتنق المسيحية والذى شهد بأن اليهود يؤمنون بأن الدم غير اليهودى ضرورى لالههم بعض الطقوس الدينية .

وقد أورد مصطفى السعدنى - بالتفصيل - حادثة قتل الأب توماس وخادمه ابراهيم عمار فى دمشق والحصول على دمه ذلك يوم ٥ فبراير عام ١٨٤٠ مشفوعة باعترافات الحاخام أبو العافية ، الذى تحول الى الاسلام فيما بعد ، وقد صدر حكم الاعدام ضد عشرة من اليهود بعد اعترافهم ولكن المليونير اليهودى مونتيفر سافر الى مصر وقدم رشوة كبيرة الى محمد على باشا فأصدر فرمانا عجيبا ألغى فيه حكم القضاء وغان عن المجرمين .

بينما يرى د . عبد الرهاف المسبى أنها مجرد خرافة ساعد على انتشارها كراهية الغرب المسيحى لليهود وقد استغل الصهاينة هذه التهمة عبر السنين فى الضغط بذكاء على الضمير العالمى المعاصر وجعله بالتالى يتقبل نفسيا أى ظلم يقومون هم به تجاه أى شعب من الشعوب (١) . وسواء كانت هذه التهمة حقيقية تاريخية أم أنها تهمة باطلة فإن ما يهنا أن ثلاثة من الكتاب المسرحيين قد ردوها مؤمنين بصحتها ، ففى " محاكمة عم أحمد الفلاح " تأتى هذه التهمة على لسان الراى مثل التاريخ :

الراى : أنا شايف حاجات كتسير
من قريب ومن بعيد
شايف مثلا فى الأساطير
بتاعة اللى بيعسموهم بنى اسرائيل
ان دم الطفل المسلم . . المسيحى
(٢) بيدى طعم جميل لكحك العيد .

-
- (١) هركاين موقف العرب فى النزاع العربى الاسرائيلى ص ٤٢٨ عن سناء مسبى
الجهتو اليهودى ص ٨٦ .
(٢) انظر : أحمد السعدنى . أمريكا واليهود ص ٢٢-٢٤ كتب اسلامية ع ٢٢
المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٢ .
(٣) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٤٣ .
(٤) المسرحية ص ٢٢ .

فى " الكوميديا اليهودية " يقوم ايليا النبى بشرح هذه الشعسيرة
قائلا :

ايليا : لليهود عيدان مقدسان لاتتم الفرحة فيهما الا بتناول الفطسبير
الممزوج بالدماء البشرية . عيد البوريم وعيد الفصح .

ويضيف الكاتب فى الحاشية مفسرا عيد البوريم " وهو عيد فطسيرة
الدم البشرى احياء لذكرى استنير اللعوب التي أغرت ملك فارس على قتل
وزيره وأرساله دماء شعبه إرضاء لشبهة اليهود (١) .

والسرحية الثالثة التى رددت هذه التهمة هى " ثقب فى حائط
المبكى " حيث يقول مندوب الصليب الأحمر للضابط اليهودى الذى يعذب
المصريين :

مندوب الصليب : هل جرحسوا ؟

رويت دماهم

(٧)

لدقيق ؟ لفطير الفصح .

وتريد هذه التهمة فى هذه المسرحيات معنى - سواء أمانا بهسذه
التهمة أم لا - أن هؤلاء الكتاب يعتقدون فى تأصل الشر والجريمةسنة
فى نفسية اليهودى على مر العصور ، وهذا معنى عدم التفريق فى هذا
الصدد بين اليهودى والصهيونى لأن هذه التهمة نشأت وشاعت فمسئل
أن تظهر الصهيونية بمئات السنين .

وتهمة الدم عند رشاد رشدى فى " محاكمة عم أحمد الفلاح " تعدد
تطورها لنظريته الى العدوانية عند اليهود ، هذه العدوانية التى كانت
قاصرة على العرب فى مسرحيته الأولى " الزهور لاتذبل أبدا " حيث
نسمع هذا الحوار بين ضابطين إسرائيليين :

(١) الكوميديا اليهودية . أحمد السعدنى ص ٨٦ .

(٧) ثقب فى حائط المبكى ص ١٠٧ .

إيهان : إني أكره الناس هنا .. كم أود لو أراهم جميعا ...
 ليفى : صرعى رصاصات جنودك .. أليس كذلك .
 إيهان : نعم ياسيدى أنا لا أخجل من التصريح بأن هذه رغبتى .
 ليفى : عندى نفس الرغبة ولكن بالنسبة للعرب فى كل مكان .. فمستن^(١)
 الواجب إبادة العرب لكى يقوم عرش صهيون .

بينما ارتبطت تهمة الدم فى " ثقب فى حائط المبكى " بالمسئد^(٢)
 للعرب ، فعندما يرفض الصيادون التسعة التعامل مع إسرائيل ضد مصر ،
 يكشف الإسرائيليون عن مشاعرهم تجاه هؤلاء الصيادين الأبرياء :

راشيل : تسع قرائن لهم تثبت
 للشنق وتسع للذهب
 دافيد : قلبى أصبح وكسر أفاع
 وجيش بشعبان فسح
 كوهين : ص .. ص .. ص ..
 دافيد : و الرأى نقتلهم حالا
 وعليهم ينسدل الدج
 (أحد الحراس يأتى وفى يده أداة خفر)

دافيد : (مستطردا) تسع مقابر لهم تحفر
 فى حق الرهوة فى السفح
 تدفنهم أحياء فيها
^(٣)
 أبعد شئ عنا السفح .

أما فى الكوميديا اليهودية ، فالمعدوانية اليهودية غير قاصرة على
 العرب ، بل هى موجهة الى الأديان السماوية : المسيحية والاسلام :

(١) المسرحية ص ٤٥ .
 (٢) ثقب فى حائط المبكى ص ١٠٤ .

حاييم : هطلنا عيسى بن مريم لذلك صلبناه... ثم جاء محمد وحاولنا
القضاء عليه ، وسياستنا الآن الوقفة بين المسلمين والمسيحيين
ليقضى كل منهما على الآخر .

سارة : وهل نجحنا ؟
حاييم : كانت الحروب الصليبية قمة نجاحنا فقد استمرت متقطعة أكثر من
أربعمئة عام .
بينما يحدد المسيح المنتظر موقفه من الأديان والامم الأخرى بوضوح :
شبتاي : جئت للقضاء على دين عيسى ودين محمد ، جئت لأنتقم من
المسيحيين والمسلمين ، جئت لأنتقم من البابليين واليونانيين ،
والرومانيين ، جئت لأنتقم لموسى من فرعون وآل فرعون .

سنجد استمرار هذا النمط للشخصية اليهودية العدوانية عند الشرقي
لكن مع تنوعات جديدة تجعله يختلف تماما عن النمط السابق وان لم
يفايده .

يفرق الشرقي منذ البداية بين الصهيونية واليهودية ، بل انه يؤهل
من اليهود اللاصهيونيين أكثر مما يؤهل من العرب أنفسهم - رأينا
بعضا من ذلك عند باكثر من قبل - والجديد هنا أن جميع
الشخصيات تقوم بعمل الشر ولكنها ليست جميعها شريرة ، فهناك اليهودى
المضطرب بأمر القيادة العسكرية لهذا الشر - وفهم الشر يتسع هنا من قتل
الأفراد المدنيين الى اغتصاب الأرض - ولكن الكاتب لا يتركهم لهذا القهر
بل إنهم يتمردون ، فهذا سعد هرون اليهودى الفلسطينى اللاصهيونى
يتمرد على وضعه فى الجيش :

سعد : نحن تقدمنا على أشلاء قتلنا
تقدمنا وأصبحنا ملوك الفساد

(١) الكوميديا اليهودية ص ٢٦ .

(٧) المسرحية ص ٨٤ .

تقدمنا وأصبحنا وساء العصر
(١) تقدمنا نجرفنا سوانا مثلما كنتم تجرفتم ككؤوس القهر والذلة .

يشور سعد هرون ويكون الإعدام نصيبه على هذه الثورة ، وسأ يعطى
ثورته قيمتها أنه كان يتوقع هذا العقاب لكنه ثار وتمرد ، ذلك أنه يدرك
كمية الشر التي تنطوي عليها أعمالهم :

روبرتو : كم أهدنا من قرى من قبل هذا ورجعنا سالمين .
سعد : " كأنه يصلى " نحن بالقتل استقرنا .
(٢) هكذا قد سكر الكاهن فينا والنبي .

وهناك جندى إسرائيلي آخر حدث له ما حدث لسعد هرون من تمرد
نفر الى الأردن ، ولكنه لقي حتفه في غارة إسرائيلية على الأردن .

أما مارسيل فان فعل الشر ذاته يوقظ فيه الضمير ، وهو كاتسب
صهيوني ظل يدعو لهذا الفكر حتى قتل فلاحا مصريا في سيناء ، وساعتها
فقط يندم على هذا الشر ، ويسيطر عليه الندم حتى يهاجر من إسرائيل .
(٣)

فالشخصيات هنا ليست شريرة بالطبع أو الفطرة ، كما أنها ليست
ملائكة ، إنها شخصيات آدمية تمارس الشر ولكن تحت ضغوط مختلفة كما
رأينا ، وهناك من يمارس الشر والقتل تحت تأثير الدعاية الصهيونية
التي تكون السبب في هذا الشر :

سعد : خدعتنا الصهيونية .
ورثت بطش الآرية ثم اصطنعتنا .

(١) وطني ص ١٢٩ .

(٢) المسرحية ص ١٦٢ .

(٣) المسرحية ص ١١٢ .

(٤) المسرحية ص ١٠٤ .

(٥) المسرحية ص ١٨٢ .

ويكمل ملامسكى هذه الفكرة :

ملامسكى : وإذا الصهيونية تطلبتنا بعداء أسمى للعرب

أنقل الكاهل بالدفع

أنقل القلب بوهج الحق

وماذا أصبحنا من بعد ؟ عصابات إرهابية

غدونا أمباحا سوداء تحركها أيد قسوة

لتخيف بنا الأطفال الصنوج والنسوة

أصبح عالمنا الخندق .

مؤسسة الحرب اعتقلتنا في خندقنا

(١) وبدلاً من أحلام العدل . . امتلأ الصدر بأحلام عدوانية .

قد ربط الكاتب بحذق بين الصهيونية والنازية في تبرير كل منهما

للمنف والوحشية :

مارجو : " ليعقوب " أحقا أنك تنوي نصف بيوت القرية

أيسى : أتسوق الأطفال جميعا ونساءهم وعجائزهم للتعذيب

يعقوب : هذا من مقدمات الأمن .

أيسى : أتريد وتقتل باسم الأمن ؟

(٧) فالنازية ما صنعت إلا هذا باسم الأمن .

هذا الربط بين الصهيونية والنازية تكرر عند أغلب الكتاب المسرحيين ونجد في علم النفس ما يؤكد أن هذا التشبيه ليس من باب البلاغية أو المبالغة بقدر ما هو من باب الواقع ، ففي تحليله للشخصية اليهودية التي ظلت قرونا طويلة ترض بالهوان والذلة ثم انقلبت فجأة - فسى فلسطين - إلى شخصية السفاح القاتل ، يرى د . مصطفى زيور أن

(١) المسرحية ص ١٨٣ .

(٧) المسرحية ص ١٨٠ .

السبب الأساسي لذلك هو التوحيد بالمعتدى الذى هو حيلة لاشعورية تصطبغ للتغلب على الخوف من المعتدى . وهى حيلة شائعة يكشفها التحليل النفسى فى أحوال كثيرة ، أى أن اليهود توحيدوا بالمعتدى النازى (بالمعنى النفسى وليس المعنى البلاغى) وتقصروا شخصيتهم بعدما أوقع عليهم من عذاب وتشكيل ، وهذا سبب قيامهم بكثير من المذابح مثل دير ياسين وقليلية والسموع وكفر قاسم وغيرها ^(١) .

وضيف د . زيور مفسرا هذه العدوانية ، يحتمل العدوان اذن النقل أى استبدال هدف بهدف ، وإذا حيل بينه وبين الإفراغ فانه لا يلبث أن يرتد نحو الذات فتفتك النفس بنفسها وفى هذه القصة ما يدل على ذلك فقد اعتادت طفلة ألمانية أثناء الحرب الماضية أن تعتدى على جاراتها من الأطفال اليهود ، حتى إذا صدر الأمر باعتقال جميع اليهود بما فيهم الأطفال ، جعلت هذه الطفلة تهكى وتهذى نفسها باللطم ، فسألتها أمها : أتتكنين رحيل هؤلاء اليهوديات التافهات ؟ فأجابت : نعم يا أماء ، فلم يعد لدى ما أصيب عليه جام غضبي ، فكأنها كانت تخشى ^(٢) أن تعرضها غيبة كعشر الفداء الى أن تهذى من تحب من أهلها .

وقد اتضح هذا المعنى فى كتابات كثير من الصهاينة أنفسهم ، فقد كتب أحدهم ويدعى Bar-Zohar, Michael كتابا بعنوان :

The Avengers: The Drama of the Daving Jews who are Avenging the six million dead.

(المنتقمون : دراما اليهود الجريئين الذين ينتقمون للسنة ملايين يهودى الذين ماتوا) ويظهر العربى فى هذا الكتاب كمرکز للانتقام الصهيونى التمويضى .

(١) انظر : د . مصطفى زيور فى النفس ص ١٢٤ مطبعة جامعة عين

شمس . بدون .

(٢) السابق ص ١٠٦ .

قدم الشرقاوي إذن نمط الشخصية اليهودية الشريرة في قالب جديد ،
انساني وبهر حيث لاحظ الدوافع والأسباب لهذه العدوانية ، ولكن عاب هذا
التصوير عند المؤلف تكراره بصورة مجافية للواقع والمنطق ذلك أنه جعل
جميع الشخصيات اليهودية - باستثناء يعقوب - تندم على هذا الشر بسبب
وتندم على اعتناقها للصهيونية ذاتها ، وهذا كَوْن لنفسه نمطا خاصا بمعهدا
عن أرض الواقع بتكراره هذا ، ولو اقتصر هذا النمط على شخصية أو اثنتين
لكان أقرب الى المعقولية .

على أي حال ، فإن الكاتب رأى في الصهيونية - وليس اليهودية -
مصدر الشرور والعدوانية ، والتخلص من الصهيونية تخلص مـــــــن
العدوانية وعودة الى الطبيعة الانسانية .

هذه هي الفكرة التي أشار اليها " ألفريد فرج في " النار والزيتون "
بوضوح عندما يعلن قائد فلسطيني أن تحرير الأرض الفلسطينية لا ينطوي فقط
على تحرير الانسان الفلسطيني وإنما ينطوي أيضا على تحرير الإنسان^(١)
اليهودي من العدوان والصهيونية وإعادة إنسانيته له .

وبالتالي فإن فرج يتفق مع الشرقاوي في اعتبار الصهيونية - لا اليهودية -
مصدر كل الشرور بل إن هذه الشرور لا تقاها عند حد العرب بل إنهم
تعداهم الى اليهود أنفسهم ، ويتفق معه كذلك في الربط بين الصهيونية
والنازية في أكثر من موضع ، وهو يسمي الصهيونية : " النازية الجديدة " .
ويتقدم الكاتب خطوات واسعة على طريق تخليص النمط اليهودي الشرير
مما به من جمود وذلك عن طريق اتباع المرحح التسجيلي ، وبالتالي فهو
ينفي عن نفسه كل شبهة للتحامل في رسم هذا النمط ، فهو يستغسل
مذبحة " كفر قاسم " ليظهر بشاعة الإرهاب الاسرائيلي حيث فرض حظر
التجول على المناطق العربية داخل فلسطين المحتلة يوم ٢١ أكتوبر سنة

(١) النار والزيتون ص ٨١ .

(٢) المسرحية ص ٢١ - ٩١ .

١٩٥٦ وهو ذات اليوم الذى نفذت فيه مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر ، وكان هذا الحظر لتأمين العمليات العسكرية ضد مصر ، ونسج القائـــد الاسرائيلى للمناطق العربية يوجه تعليماته :

شدى : عدة قتلى افضل عندى من تعقيدات الاعتقالات .
ملنيكى : ماحكم المواطن الذى يعود من ضله خارج القرية قبل أن يعلم
بأمر حظر التجول .

شدى : لا أريد عواطف والله يرحمه .
الضابط دهان : ماذا تفعل بالمصابين والجرحى ؟

ملنيكى : لن يكون هناك جرحى .
ضابط آخر : وماذا بخصوص النساء والأطفال .
ملنيكى : " بحزم " لا عواطف .

دهان : " لجنوده " يمكن إطلاق النار بقصد القتل على كل انسان
يشاهد خارج بيته بعد الساعة ١٢ دون تفريق بين رجال
ونساء وأطفال .

والفعل يقوم الجنود بقتل ٤٣ عربيا ما بين رجل وامرأة وطفــــل
عائدين من علم بظلم حظر التجول ، وعندما يهرب طفل وطفلة
من هذه المجزرة يظل الجنود يبحثون عنهما ويطلقون النيران فى كل
الاتجاهات لقتلها .

ومضى الكاتب كاشفا الوحشية والحدود الذى زعمه الصهيونية فى
نفوس أتباعها وذلك من خلال الوثائق الرسمية والملفات ، وفى المحاكمة
التي جرت للضباط والجنود الذين نفذوا هذه المجزرة يسأل القاضي أحدهم :

القاضي : لو جرى معك فى كفر قاسم مايلى : بعد الساعة الخامسة نادتك
امراة وكنت متأكدا من أنها ليست خطيرة ولا تهدد الأمن مجرّد

(١) المسرحية ص ٨٦ .

(٢) المسرحية ص ٨٧ .

أنها نادتك لتمالك سؤالا ولنفترض أن المصلحة كانت الخامسة وعشرين دقيقة ، فلو كانت المرأة على بعد عشرة أمتار مسن بيتها وطلبت منك الإذن بدخوله ، ماذا كنت تفعل ؟

دافيد : إذا كانت في الشارع أطلق عليها النار .

القاضي : ولكن لم يكن ثمة أي خطر ، مجرد شخص ما ، بسبب خطأ ما ، أو بسبب أنه لم يعرف بأمر حظر التجول وتوجه اليك وأراد باذن منك عبور الطريق . . السؤال هو أنك رغم ذلك كنت ستقتل إما كان أو أنك كنت ستميز وتمتنع عن القتل في حالات معينة ؟

دافيد : ماكنت سأميز

القاضي : حتى لو كان هذا الشخص امرأة أو طفلا ؟

دافيد : نعم .

ويكشف الكاتب مزاعم الديمقراطية لدى إسرائيل ، فقد تمت محاكمة المسؤول الأول عن المذبحة وهو الجنرال شدم ، وقد أعلنت المحكمة بأنه مذنب في ارتكاب خطأ فني وقضت بتهنيجه وتغريمه قرش إسرائيلس واحد مقابل ثلاثة وأربعين عربيا !!

وفي سبتمبر ١٩٦٨ عين هذا الجنرال (٧) مشرفا على الشؤون العربية في الأراضي التي احتلت خلال حرب ١٩٦٧ . وذلك لخبرته السابقة بنجاحه الباهر في معاملة العرب .

وهكذا يوظف الكاتب أيضا مجزرة دير ياسين والمجازر التي ارتكبتها الصهيونية عام ١٩٤٨ من أجل إرهاب بقية المواطنين وأجبارهم على الرحيل ، والملاحظ على تصوير الكاتب لنمط الشخصية الشريرة لليهودي

(١) المسرحية ص ٨٨ .

تركيزه على الدولة كمؤسسة صهيونية أكثر من تركيزه على الأفراد ،
وغالبا ما كان هؤلاء الأفراد أدوات في يد ذلك الكيان ، ولكن هذه
الأدوات لم تعد الإرادة الخاصة المتوافقة مع ذلك الكيان ، فالدولة
هي التي تأمر بالقضاء قنابل النابالم على المدنيين ولكن الطيار الذي
نفذ هذه الأوامر يقول للصحفي الذي يسأله عن مشاعره أثناء أداء العملية :

الطيار "١" : أشعر بنشوة العامل الذي أنجز عملا متقنا .

أما الطيار الثاني فإن شوقيته حجت عنه هذه النشوة :

الطيار "٢" : كيهودي شرقي لا أعلم بالضبط إن كنت أحب عيسى أم لا
ولكني أعلم أن على الجندي أن ينفذ أوامره بدقاسة
وبدون عواطف .

مرة أخرى نرى نمط العدوانية والشر في قالب جديد وذلك في
مسرحية بعنوان " الثغرة " حيث يحدث ماصوره د . زبور من تحصيل
العدوان الى النفس إذا حيل بينه وبين الإفراغ ، فهذا باروخ ، نموذج
التربية والفكر الاسرائيلي ، يقتل زميله ايجال ، ويجبر العمازر على
الخروج من الموقع ليقتله المصريون ثم يخرج هو وموردخاي - المغمم
على ذلك - فيقتل الاثنان في شبه انتحار ، يقول باروخ :

باروخ : حين يقتل الانسان يصبح قاتلا وتصبح لديه شهوة كبيرة للقتل .^(٧)

أما موردخاي فإنه يربط بين الصهيونية والإجرام وذلك حين يروي
قصة خروجه من مصر " ثم رحلت الى اليونان ومنها الى إسرائيل لأصبح
قاتلا .. ها .. قاتلا .^(٨)

ويربط الكاتب ربطا محكما بين الصهيونية واللاإنسانية وذلك من خلال
تسلسل الأحداث وانعكاس هذه الأحداث على نفسيات الشخصيات المختلفة ،

(١) المسرحية ص ٧٥ .

(٧) الثغرة ص ٧٠ .

(٨) الثغرة ص ٦٢ .

ونجد أن الشخصيات بقدر اعتمادها عن الصهيونية يكون اقترابها من
الإنسانية ، وسنعرض لذلك بشيء من التفصيل عند الحديث عن الشخصية
المتطورة .

يقدم يسي الجندى هذه العدوانية في شكل أكثر عصرية وصراحة
وذلك في مسرحية " اليهودي التائه " ، فهذا اسحق القديم - وهو
اسم اليهودي التائه - " يكشف أوراقه " كاملة أمام سرحان ، معلنًا
أن قانون الغاب هو الذي يتحكم في هذا العالم ، وأنه اختار أن يقوم
بدور الذئب في حين اختار العرب - والحديث لا زال لاسحق الأقدم -
دور المغفل ^(١) ، ونأى على هذا القانون الذي اختارته إسرائيل لنفسها
وجدناها تضرب بيوت المدنيين العزل بالقنابل عام ١٩٤٨ ، وزاد من
بشاعة هذا الإجرام تلك البراعة الطفولية التي قابل بها سرحان -
الطفل - هذه المذابح ، عندما سأل والده :

سرحان : هل يعلم المسيح بذلك .. هل يعلم ؟ ^(٢)

ويخرج الكاتب بنتيجة منطقية وحتمية ، وهي أننا لابد أن نخلص
عن أنفسنا دور المغفل ولنشارك الكل في دور الذئب " أن لم تكن ذئبًا
أكلت الذئب " لهذا كان قتل سرحان لكيدى - المسيح الأمريكى -
العزيز - ضرورة حتمية في صراع البقاء الذي يحكم هذا العالم .

وعلى حين قدم الأدب العالمى شخصية اليهودي الشرير على
أنماط متعددة ، فظهر اليهودي المراهى الجشع في البداية ، وكان
لتصوير شكسبير أثره في انتشار هذا النمط حتى في الأدب الأمريكى ،
ولكن أخذت هذه الآداب تتحرر من النمط الشايلوكى ، فقدمت اليهودي

(١) المسرحية ص ٨٩ .

(٢) المسرحية ص ٧٤ .

في أشكال جديدة ، " فهو تارة مزور وأخرى يهتز الناس بالتهديد ، وهو محتال مرة ، وأخرى قاتل هارب ، كما ظهر كرجل أعمال لا أخلاق لديه وساحم غير شريف وقائد مضلل للعمال وشخص شهواني " وأشكال أخرى ، قدم المسرح العربي في مصر هذه الشخصية من جانب واحد هــ جانب المدو الانساني . وقد دفع الحماس كثيرا من الكتاب الى تصوير اليهودي الشرير مجردا من جميع العواطف الانسانية ، بل ان بعضهم خلق عنه بقية الصفات الانسانية ، مما جعلهم يفرغون في النقطية ، فهذا اليهودي مجرد حيوان متوحش يسبر على خشبة المسرح دون إحساس أو شعور ، والأدهى من ذلك ، دون شخصية مستقلة .

وإذا كان الواقع الفعلي لإسرائيل يؤكد هذه العدوانية بصورة فاقت خيال الأدباء ، فإن الكتاب باصرارهم على تقديم صورة اليهودي الممثل للدولة دون اعتبار للشخصيات وللأسباب والدوافع التي جعلت منهم أشرا ، إنما يضعفون الأثر الذي يريدونه لأنهم يقدمون شخصيات تفقد صفة الفردية ولا تمتلك صفة الجماعة . وظلّة تأكيد هذه النزعة العدوانية يحرم المسرحيات من عنصر الصراع الداخلي الذي تنمو به الدراما ، وتنحصر في صراع خارجي فقير .

كذلك انقسم الكتاب في تفسير هذه العدوانية ، فمال بعضهم الى جعل اليهودية هي مصدر الشرور ، وقد كان لهم في التراث الديني الاسلامي والتراث الشايلوكي سند لهذا التفسير ، بل ان ماركس نفسه رأى في اليهودية مصدرا للشرور الاقتصادية بالذات ، ورأى أن التحرير اليهودي في معناه الأخير يقوم في تحرير الإنسانية من اليهودية ، ويلاحظ ان هنا " الشر الاقتصادي " انتقل بالمدى الى المسيحيين " فاليهودي قد تحرر على الطريقة اليهودية ، ليس فقط بأن أصبح سيد السوق المالية ،

وانما لأن المال أصبح ، بوساطته ، وفضله ، قوة عالمية ، والرجح العملية اليهودية أصبحت الروح العملية للشعوب المسيحية ، " لقد تحرر اليهود بالنسبة نفسها التي أصبح فيها المسيحيون يهودا " (١) . بينما رأى القسم الآخر من الكتاب أن الصهيونية مثله في إسرائيل ، مصدر الشرور ، بل إن شرور الصهيونية تجاوزت العرب الى اليهود أنفسهم ، وأنه لا يتم القضاء على هذا الشر الا بالقضاء على إسرائيل ذاتها .

(٢) الجبن والبخل والدهاء :

هناك مجموعة من الصفات النمطية التي ارتبطت بشخصية اليهودي في الأدب العربي بحالة ، والمسرحة منه بخاصة ، وهى صفات الجبن والبخل وما يتبع ذلك من حب للمال والعمل في الربا ، ثم المكر والدهاء ، ولم يكن من قبيل الصدفة أن يتفق الأدب العربي مع الآداب العالمية في ترديد هذه الصفات النمطية ، ولعل في الدين اليهودي ما يفسر لنا جانباً منها ، فالدين اليهودي يركز على الحياة الدنيا ولا يتحدث عن العالم الآخر ، لذا فإن على اليهودي أن يتمسك بهذه الحياة ويحرص عليها ، ومن هنا يأتى عنصر الجبن ، ويستتبع حرص على الحياة حرص على أهم أدوات هذه الحياة وهو المال ، ومن ثم اتساع كل السبل في سبيل الوصول الى هذا المال وتنميته لتحقيق المنافع الشخصية .

والدين اليهودي يتيح لاتجاه التماسك بالها مع الآخرين ، تقول التوراة : " لاتقوض أخاك ربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شحى " (٢) . مما يقوض برها ، للأجنبي تقوض برها ، ولكن لأخيك لاتقوض برها .

ولقد ورد وصف اليهود في القرآن الكريم بالجبن أكثر من مرة ، فهو يقول فيهم " ولتجدنهم أحرص الناس على حياة " ويرى المفسرون

(١) انظر المسألة اليهودية ص ٥٦-٥٥ ترجمة محمد عبيداني . مختارات مسن

السياحة العالمية ١٠

(٢) التثنية ٢٣/٢٠ .

أن تنكسر كلمة حياة يعنى شدة حوص اليهود على أى حياة ، وقد قالسوا لموسى عند دخوله أرض فلسطين " إن فيها قوما جبارين ، لن ندخلها حتى يخرجوا منها " ولم يكتفوا بذلك ولكنهم أضافوا " اذهب أنت وهرمسك (١) فقاتلا انا هاهنا قاعدون " .

ولكن ثمة بعض التساؤلات التى تفرض نفسها على الباحث فى هذا المجال ، من ذلك مثلا : هل اليهود الذين " صنعوا " إسرائيل اليوم امتداد طهيوس وتاريخى لليهود الذين وصفهم القرآن ؟؟ ما الصلصة بين يهود بنى قريظة وخيبر وفى القينقاع فى القرن السادس الميلادى ويهود بولندا وروسيا وفرنسا فى القرن العشرين ؟

يحاول الباحثون الصهاينة إثبات وجود تاريخ متواصل لليهود عبر الزمان والمكان ، بينما يعمل الباحثون العرب على تفنيد هذه المقولة معتمدين على أن " عادات وتقاليد وقوم اليهود من أبناء اليمن - على سبيل المثال - أقرب قطعا الى قوم اليمنيين ، مهما كان اختلافهم عنهم ، من قريها الى تقاليد وعادات وقوم اليهود من أبناء تشيكوسلوفاكيا مهما كان اقترابهم منهم ، وأن اليهودى الألمانى أقرب الى المسيحيين (٢) الألمانى منه الى اليهودى من أبناء جنوب افريقيا " .

على أية حال فإن هذه قضية انثروبولوجية تهدو بعيدة عن موضوع بحثنا ، لكن ما يهتفنا فى هذا المجال ، أن تصور القرآن الكريم لليهود الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى ، كان من أهم العوامل التى رسخت هذه الصفات النمطية لدى كتاب المسح المسلمين فى القرن

(١) المائدة ٢٤ .

(٢) د . قدى حفى ، تجسيد الوهم ص ٧٦ مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية . الأهرام ١٩٧١ .

(٣) شيلوك الجديد ص ١٥٦ .

العشرين ، كما كان تصوير شكسبير ومارلو لليهود القرن السادس عشر
رافدا آخر لهذه الصفات .

وقد حرص كثير من كتاب المسرحيات في مصر على إبراز هذه
الصفات النمطية في مسرحياتهم فهذا باكثير يقول صراحة على لسان
أحدى شخصياته عن اليهود :

مikhail : انهم كانوا ولا يزالون - حتى يرك الله الأرض ومن عليها
أضعف وأجبن من أن يحملوا السلاح ويرغبوا الناس به على
ما يريدون .

هذا الجبن - الأذى والابدى معا - يدفع اليهود دفعا السي
البحث عن كل طريقة للتمسك بالحياة ومن هنا ترد الصفة الثانية صفة
المكر والدهاء ، يضيف Mikhail باكثير :

مikhail : فهم لذلك يعتمدون على ذهبيهم الذى جمعوه من امتصاص
دماء الشعوب ليستأجروا به حرابا تحميمهم وتنفس ذلهم
(١)
رغباتهم .

ويكون دهاء شيلوك هو المحرك الاساسى للمسرحية ، فهو ينتسز
أموال عبد الله كما يشاء من ذلك مثلا أنه يجعل عبد الله يدفع مائة وخمسين
جنيها ثمن سوار ذهبي لراشيل بعد أن يوهمه أن راشيل رفضت أن تقبل
السوار هدية منه - أى من شيلوك - وأصرت أن يكون هدية من عبد الله
المحب للوليهان الذى يصرح بكرم عرش و يدفع هذا الثمن الباهظ
ولشدة دهاء شيلوك يظهر حرصه على عبد الله وأمواله ، فعندما يطلب منه
عبد الله قرضا بخمسة آلاف جنيه مقابل الأرض يقول :

(١) شيلوك الجديد ص ١٥٦ .

شيلوك : ألا ترى معنى أن هذا مبلغ كبير ينهض إلا نسجه دفعسة واحدة لكلا يضع^(١) سرعا من يدك ، يجب أن تقتصد قليلا في نفقاتك يا بني .

وهذه الطريقة التي امتس بها أموال عبد الله نموذج لتعامله مع الكثيرين إلى جانب استخدامه للمهنة اليهودية المفضلة وهي الإقراض بربا فاحش ، وحسن معجز المدين عن الدفع لابد من "اقطاع رطل اللحم" .

يقدم بالكثير البخل والجشع اليهودي كبربر لكراهية الشعوب لليهود :

شيلوك : قولوا عنا ماشئتم فلن ننسى قط اضطهاد الإنسانية لنا واحتقارها إيانا في مختلف المصور .
مسوردز : لعلمكم استوجبتم ذلك منها بحرصكم وجشعكم^(٢) .

وكون هذا الحوص والجشع المادي سببا في "تنازل" اليهود عن فلسطين للحرب ثانية اثر الأزمة الاقتصادية التي طحتهم :

عبد الله : لقد جاء اليهود اليوم ليسترضونا وليردوا إلينا بلادنا المقدسة بعد أن رد الله كيدهم في نحركم وأذاقهم الله لمراسم الجوع والخوف : الجوع بحرمانهم من ربهم المادي ، والخوف على مابقى لهم من الرصيد الذهبي أن تأتي عليه هذه الجائحة الاقتصادية .^(٣)

(١) المسرحية ص ٥٦ .

(٢) المسرحية ص ١٤٥ .

(٣) المسرحية ص ٢٤٢ .

ونهاية المسرحية هذه نجدها أيضا نهاية للمسرحية الثانية
" شعب الله المختار " وهي نفس المفارقة : أكثر الناس حبا للمسبب
يضمون أموالهم في مشروع ضخم - استعمار فلسطين - ولكن يخسر هذا
المشروع الاقتصادي خسارة كبيرة مما يجعلهم يظلمون من العرب - ويتوصل -
تحفية هذا المشروع والنظرة الى استعمار الصهيونية لفلسطين على أنها
مشروع اقتصادي ليست بهيمنة عن الواقع فقد مر بنا قول روتشيلد عن
الصهاينة الأوائل : " لولاهم لما تقدمت مشروعاتي خطوة الى الامام " ،
ولكنها - اي النظرة - قاصرة على جانب واحد من جوانب الصراع المتعددة .

هذا على مستوى الدولة ، أما على مستوى الأفراد ، فإن الكاتسب
يحرص على اظهار جانب البخل عند شخصياته اليهودية في كل مناسبة ،
فالشخصيات الأساسية تتركز في الكوهينيات الاربعة الى حد كبير ، الذين
يتحلقون حول اثنين من أثرياء أمريكا ، وهسيبون من اطاييب الطعسان
والشراب على حساب هذين الشريين .

وعندما يدعو الاربعة سفير الاتحاد السوفيتي لمائدة العشاء ليناقشوا
معه صفقة السلاح التشيكية لعصر ، تكون العقبة الأساسية لهذه
الدعوة هي من يدفع ثمن هذه المأدبة .

ويولد هذا الحرص على المال نوعا من الدها المتصل به ، حيث
تقوم الدولة بتمهين وزير للتهريب ؛

كوهين ؛ اصبح من المصور اليوم تحديق بضاعتنا عن طريق قبرص الى
اليونان وايطاليا وتركيا حيث تنزع علاماتها هناك فتشحن
من جديد الى مصر والسعودية والعراق وغيرها .

(١) شعب الله المختار ص ٣١ .

(٢) المسرحية ص ٩١ .

(٣) المسرحية ص ٦٥ .

وانتاعاش إسرائيل الاقتصادى لا يكون الا بتخلف الدول المعهية
المحيطه (سوق التوزيع) لهذا تقوم إسرائيل أيضا بتهرب المخدرات الى
مصر .^(١)

ونتيجة هذا المكر والدهاء المتأصل فى النفوس ، نجد أن أحدهم
لا يؤمن للآخر ، فهذا عزرا شريك حاتم فى الفندق يطلب تصفية هذه
الشركة لكن حاتم يماطل فى ذلك ، فيخفى عزرا أن يغدر به حاتم ويبيع
الفندق ويهاجر خلسة ، فيقول له مذكرا :

عزرا : أنا يهودى وانت يهودى .^(٢)

اذ أن لهما نصيبا واحدا فى المكر والدهاء ، بحكم طبيعتهم
المشتركة ، يمنع أحدهما من المكر بالآخر ، لذا نجد أن هذا المكر
فى مسرحيات باكثير الثلاث ، موجه ضد الآخرين ، ولم نجد حالة واحدة
من مكر داخل بين اليهود أنفسهم .

ويستمر تقديم هذا الدهاء اليهودى فى مسرحية باكثير " إله إسرائيل " .
حيث يتعد هذه المرة ليشمل البشرية بأسرها ، فاليهود كما يرى الكاتب
سبب اشغال الحرسين العالميتين ، وهم يعملون فى مكر ودهاء ، للاستيلاء
على العالم أجمع ، وفى مؤتمر بال عام ١٨٩٧ نجد هذا المكر مصحوبا
بالطمع أيضا ، إذ يقول الرئيس عن إشراك الجوسيم فى الصهيونية :

الرئيس : أى بأس أن نشاركهم فى العمل ونستأثر نحن بالثمرة ، هذه
سنة أسلافنا من قديم ، ألا تذكرون آية التلمود " كما أن ربة
البيت تعيش من خيرات زوجها ، هكذا أبناء إسرائيل يجب
أن يعيشوا من خيرات أم الأرض دون أن يحتلوا عنا العمل " .^(٣)

(١) المسرحية ص ٥٨ .

(٢) المسرحية ص ١٢١ .

(٣) إله إسرائيل ص ١٨١ .

(٤) المسرحية ص ١٦٤ .

وفي تطواف الكاتب بالأساطير اليهودية منذ أقدم العصور حتى اليوم
يركز على حبهم الشديد للمال والذهب ، وتكون ذروة هذا الحب المادي
عندما صنعوا عجلا ذهبيا وأخذوا في عبادته ، ويعلن إبليس - بطرسيل
المسرحية - أنهم سيعبدون الذهب حتى قيام الساعة .^(١)

في مسرحية " حدث في رفح " نجد ارتباطا وثيقا بين اليهود والرها
في أكثر من إشارة ، وحب المال هذا يجعل يهوديا مصرية يتظاهر بدخوله
الإسلام ليتزوج من فتاة مصرية مسلمة طمعا في ثروة أبيها ، وعندما تنزل
هذه الثروة ، نراه قد هجر زوجته وهجر الإسلام وهجر مصر كذلك ، ويتفق
الكاتب مع الكثير في سبب كراهية الشعوب لليهود :

حسان : إنهم يامسعود كانوا وما يزالون منهذين بغیضین حتی الی
قلوب مواطنیهم فی بلادهم الأصلية . . لأنهم لا یعبدون
الا المادة . . المال . . إنهم مصاصو دماء .^(٢)

ويقدم الكاتب صورة لليهودي تهدو في ظاهرها متعارضة مع ذلك
التصوير النمطي الشائع في المكر والدهاء ، وهي صورة اليهودي المغفل ،
والحقيقة أن العلاقة بين الصفتين علاقة تكامل وليست علاقة تضاد ،
ولعل في تاجر البندقية - التي اقتبسها بالكثير - مفتاح هذه العلاقة ،
فمكر شيلوك ودهائه تحولا ، عند مواجهة الذكاء المسيحي الى غفلة حتى
دارت الدوائر على شيلوك الذي ظن أنه أحكم الشرك حول أنطونيو .
هكذا يتحول المكر والدهاء اليهودي ، عند مواجهة الذكاء العربي ،
الى غفلة حسما يرى الكاتب ، فهذا هو الضابط الاسرائيلي هرمن يعطى
معلومات تفصيلية حول خطط الجيش الاسرائيلي لمسعود - عامسيل
المحطة - بينما مسعود هذا أحد رجال المقاومة السرية . ويستطيع مسعود

(١) المسرحية ص ٢١١ .

(٢) حدث في رفح ص ٣٠ ، ص ٢٢ .

(٣) المسرحية ص ١١٦ .

(٤) المسرحية ص ٤٥ + ص ٢٢ .

أن يستغل هذه المعلومات ضد الجنود الاسرائيليين . ولكن الكاتب في نوبة الحماس للذكاء العربى أفضل أى تبرير - ولو كان واهيا - لسلوك الضابط الاسرائيلى فى إعطائه المعلومات لمسعود ، وقد زاد من غرابة هذا السلوك أن الكاتب جعل الضابط الاسرائيلى هروم يشك فى انتماء مسعود للمقاومة أكثر من مرة .

ويظهر الذكاء فى وجه الغفلة اليهودية ، عندما يستطيع مسعود أن يتخلص من الضابط الجديد هليل ، والجاسوس العربى الذى أرسله الأخير لكشف مسعود ، بأن يوهم هليل بأن هذا الجاسوس ليس سوى أحد قادة المقاومة متكررا فى (١) زى جاسوس ، وتنطلى الحيلة على الضابط الاسرائيلى بكل سهولة .

مرة أخرى يتفق السعدنى مع باكتير فى النظرة الى اليهود بتفصيلات هذه النظرة ، فكما سمح ابليس فى " إله اسرائيل " لليهود بعبادة الذهب كصورة له فى الأرض ، يسمح شبتاى تسمى فى " الكوميديا (٧) اليهودية " لليهود بعبادة الذهب كبديل دائم عنه على الأرض .

ويربط الكاتب بين اليهودية وحب المال ، كما لو أنه يربط بسبب ظاهرتين من ظواهر الطبيعة لاتنفصل إحداها عن الأخرى :

جلبى : إن طبيعة الذهب تخضع للقاعدة اليهودية التى تقول بأن الذهب يأتى بالذهب ، فإن خرج ذهب من خزانة يهودى ، فهو لا يخرج بغير رجعة ، ولكنه يخرج ليعود مزودا بذهب آخر .

شبتاى : إن الذهب اليهودى صياد ، مثله كمثل طعم السمك فى شمس يلقى به فى البم ليعود بالسمة السمينة .

(١) المسرحية ص ١٢٦ .

(٧) الكوميديا اليهودية ص ٧٨ .

إيليا : مولى إن الذهب يصنع من مادة يهودية لا تنقى ولا تزول ، ففيه
تجرى الدماء اليهودية وتتقصه الروح اليهودية ، إن فيسه
طبيعة اليهودى من مرونة وذكاء .^(١)

ويصل بهم الأمر الى حد اعتبار الذهب كحدد أساسى لليهودى :
جلسي : إن اليهودى الأصيل العريق الذى يمتد نسبه الى نسل
داود وسليمان أو الى إحدى القبائل الاثنتى عشرة ، هو
الذى يتوارث أبا عن جد التقاليد اليهودية فى اكتناز الذهب .^(٢)

ولجأ الكاتب ، لتأكيد صفة البخل عند اليهود ، الى تلك الحيلة
المعروفة وهى جعل الشخصيات اليهودية ذاتها تعترف به :

ابن أشير : (لاستبر) كيف حال سارة .. بلغنى أن الأمير الصغير
ولهان بحبها وينفق عليها عن بذخ .

أستبر : ولهان .. ولهان ولكنه لا يصرف عن بذخ ، كان عرقسا
يهوديا يجرى فى دماكه .^(٣)

ومضى الكاتب فى استخدام هذه الحيلة لتأكيد صفة المكسرة
والدهاء عند اليهود :

حاييم : إنا نتبع أساليب الشيطان لنحقق بوسائله^(٤) رغبة الله فى سيادتنا
وبعد أن نتصر نقضى على الشيطان ذاته .

كما يقرر حاييم فى موضع آخر ، بأنهم كانوا وراء إفساد الأديسان^(٥)
وأصحابها ووراء جميع الحروب والمنازعات التى قامت بين الجويم ، وهذا
اتفاق آخر مع رؤية باكتبر لليهود .

(١) المسرحية ص ١٤٣ .

(٢) المسرحية ص ١٢٣ .

(٣) المسرحية ص ٩٧ .

(٤) المسرحية ص ٢٥ .

(٥) المسرحية ص ٣٤-٣٣ .

يركز رشاد رشدى على صورة اليهودى الجبان فى مواجهة العربى الشجاع ، وصفة الجبن هذه تسود جميع شخصيات رشدى اليهودية ، نفس " الزهور لاتذبل أبدا " نرى جاعون الضابط الاسرائيلى وهو يبكى منها را : جاعون : فى هستريا " غزونا هذا البلد .. إذا كنا غزونا حقا نفسيهم نحن خائفون ؟

ليفى : أمتنا أولادهم وزوجاتهم جوا .
جاعون : ومع ذلك فالعرب يحاصروننا . نحن محاصرون من كل جانب .. محاصرون ..

أما الضابط الآخر ، حاييم فهو لا يقل جبننا عن جاعون :
حاييم : كاد صوت هذين الصباحين أن يتلف أعصابى ، كنت أتخيلهم كالهمس .

ايهان : لاتدع العدو يسمعك تتحدث هكذا .. سيعرفون أن أعصابك قد تلفت .

وتستمر صفة الجبن اليهودى فى مواجهة الشجاعة العربية نفسى " محاكمة عم أحمد الفلاح " الذى يقوم منفردا بتدمير مئات الدبابات الإسرائيلية وقتل غالبية من فيها ، ولا يبقى منهم على قيد الحياة سوى ثلاثون جنديا إسرائيليا يستسلمون لعم أحمد ، إذ يظنونه كتيبة كاملة ، فيقدمهم للضابط المصرى وهم يضعون أيديهم خلف رؤوسهم .

ويبرز الكاتب الجبن المتأصل فى نفسية اليهودى مقابل الشجاعة الذاتية الفائقة وذلك عندما يلتقى عم أحمد طيارا إسرائيليا فيأخذ الطيار فى التودد اليه كي لا يقتله ، وعندما يسأله عم أحمد - فى نشوة - عن

(١) الزهور لاتذبل أبدا ص ٤١ .

(٢) المسرحية ص ٤٠ .

(٣) محاكمة عم أحمد الفلاح ص ٦٤ .

أسطورة الجيشر الذي لا يقهر ، يشير الطيار الى سلاح عم أحمد قاصدا بذلك أن الذي هزمهم هو السلاح ، هنا يلقي عم أحمد سلاحه بعيسدا لكي يثبت عكس ذلك ويطلب من الطيار أن يقابله وجها لوجه ، ولكن الطيار الاسرائيلي يجري مذعورا وهو يصيح : مصرى .. مصرى .. مصرى ..

يعود الشرقاوى لتقديم الضابط اليهودى المغفل الذى يسهل على الفدائي العربى خداعه بسهولة ، ونفس الطريقة التى مونت فى مسرحية " حدث فى رفح " : عربى من أبطال المقاومة يتظاهر بالعمل لحساب اسرائيل ، ولكنه يقوم - ومساعدة الضابط الاسرائيلى - بجمع المعلومات اللازمة لتنفيذ العمليات ، وعندما يقوم هذا الشخص ، وهدى أبو حمدان ومنه الفدائية ليلى ، يقومان بنسف نادى الضباط الاسرائيليين بمن فيه ، يخرج الضابط يعقوب - المغفل - للبحث عن الجناة فلا يجد سوى ليلى الفتاة البدوية التى انهار أبوها - أبو حمدان - فتركها وهرب بعد سماع الانفجار ، فيقوم هذا الضابط بتأمين عودتها .

يسجل شمعون بلاص ملاحظته على تصوير الشرقاوى للشخصيات اليهودية بقوله " يعرض المؤلف الفدائيين كأشخاص لا يعرفون الخوف ، كجموعه متماسكة متشبثة بالهدف ، وهذا رغم اختلاف النزعات السياسية ، وفى المقابل يهدو الاسرائيليون قلقين متفطرسين ، جبناء جهلوسة لا يستطيعون القبض على الفدائيين ويقعون فى الفخ دائما " .

لا يتحدث الشرقاوى عن جبن " متاصل " كالذى مر بنا فى المسرحيات السابقة ، ولكنه يعرض صورا من الخوف ولذتها شجاعة الفدائي العربى مسح إحساس غير خفى لدى معظم الشخصيات اليهودية بأنهم ليسوا على حساب (١) فى سلب أرض الآخرين .

(١) المسرحية ص ٢٦ .

(٢) وطنى عكا ص ١٢٩ .

(٣) شمعون بلاص الأدب العربى فى ظل الحرب ص ٨٢ ترجمة زكى درويش .

(٤) انظر : وطنى عكا ، ص ١٠٣ .

ويقطع سعد الدين وهبة شوطا أبعد في تقرير جبن اليهود مقابل شجاعة المصريين وذلك عندما يجعل امرأة فلاحه بسيطة تأسر طيارا إسرائيليا وتقوده الى حيث يتجمع الرجال . ولا شك أن النشوة التي أحدثتها انتصارات أكتوبر ١٩٧٣ لدى الجميع دفعت الكاتب الى تحقير العدو واعلاء الذات ، فجعل الصهيونية يجرون خلف الطيار الاسرائيلي مرددين الهتافات الفرحة بوقوعه في الأسر على يد امرأة ، ولا يكتفى الكاتب بهذه الاشارة المعبرة عن جبن اليهودي (وهو يستخدم كلمة اليهودي ولا يستخدم اسم الاسرائيلي) وإنما يجعل الشخصيات المصرية تعلن عن ذلك صراحة :

عض : " العائد من الجبهة " الضففة الشرقية كلها جزم .

جميل : جزم ايه ؟

بدير : كانوا بيقلعوها عشان يعرفوا يجروا في الرمل .

عض : خوانسين خوف .. دا طلعوها جنبنا بشكل (٧)

عطيفة : أول مرة يلاقوا نفسهم قدام عساكر وجها لوجه .

ولتأكيد هذا التفوق على العدو وجدنا غالبية الكتاب ينفون حيادية شخصياتهم اليهودية بالموت على يد الأبطال العرب ، وقالها ما يكون ذلك بمصائل غاية في التبسيط والسذاجة ، ففي ملحمة من سيناء - على سبيل المثال - بعد أن يقضى الجنود المصريون على " جميع " الجنود الاسرائيليين - مقابل جرح مصري واحد - نجد أحد الجنود يأخذ بدلة ضابط يهودي كي يخشوها ويقدمها لطفلة كي تلعب بها .

(٤) المرأة البغسي .

اشتركت جميع المسرحيات التي عرضت لشخصية المرأة اليهودية - باستثناء مسرحيتي الثغرة والنار والزيتون - في تصوير هذه المرأة على أنها

(١) انظر : رأس البحر ص ٦١ .

(٢) المسرحية ص ١٤٣ .

(٣) انظر : صلاح راتب : ملحمة من سيناء ص ١٠٦ .

هنى ، والواقع الاجتماعى فى إسرائيل لا ينفى هذه الصفة بل يؤكد هـنا حيث تشير الاحصاءات التى ينشرها معهد ديان للعلوم الاجتماعية أن ٣% من نساء إسرائيل يعملن فى الدعاية الرسمية ، وهى المهنة ذات الترخيص الحكوى ، بينما تبلغ نسبة المشتغلات بالدعاية بأجور أو بدون أجر وبدون ترخيص حكوى ٣٦% منهن ، وتصل محصلة العلاقات الجنسية مع الطرف الآخر بين النساء الى ١٨% . وفى دراسة لطالبات جامعة بئر السبع تبين أن ٥٢% من الطالبات يمارسن الدعاية لتحصيل المصروفات الدراسية ودفن الرسم التى تبلغ ١٥٠٠ دولار سنويا .

وتصل نسبة المحافظات على البكارة ما بين ١٤-١٨ سنة ١% فقط ، بينما تنعدم تماما هذه النسبة فى السن فوق ١٨ سنة . وقد أعلنت الدولة عن مكافأة مالية مقدارها ٦٠٠ دولار للبكر فوق ١٨ سنة دون أن تجسد من يتقدم لهذه المكافأة .

وقد ربط د . عبد الوهاب المسيرى بين اليهود والدعاية منذ فسترة الجيتو الأورصى . " فقد كان على كل من الطائفتين - اليهود والبغايا - ارتداء شارة صفراء لتمييزها بوصفها أقلية اقتصادية " .

كذلك قدم الدين اليهودى صورة للمرأة لا تختلف كثيرا عن هذا الواقع ، فهى مجرد كم لاقية له ، وتنص التوراة صراحة على أن " على الرجل أن يعلل كل يوم شكرا للرب لأنه لم يخلق امرأة " ، وعلى المرأة - كما يقول التلمود - اذا ارادت دخول الجنة ان تتبرع بفرجها للرجال اليهود .

وقدم سفر أستبر صورة واضحة لطريقة استخدام المرأة اليهودية من أجل تحقيق الأهداف ، بل ان التوراة لا تنوع عن القول بأن ابراهيم قد قدم سارة للفرعون لكى ينال من ورائها خيرا كبيرا .

(١) الايديولوجية الصهيونية قسم اص ٤٠ د . عبد الوهاب المسيرى .

(٢) انظر : التكوين ١٢ : ١١-١٣ .

ونفس الصورة ترسمها التوراة لابنتي لوط اللتين ضاجعتا أباهما بعد
أن سقينه الخمر ، كما رفعت التوراة من شأن راحيل الغانية التي مهدت
لدخول جيش يوشع بن نون الى أريحا .

هذه النماذج - وغيرها كثير - لصورة المرأة في الدين اليهودي
أو في الحياة الاجتماعية الإسرائيلية كانت السبب في أن جميع الكتاب
الذين تعرضوا للمرأة اليهودية تقريباً ، صوروها من هذا الجانب فقط ،
لهذا كانت النمطية واضحة في التصوير ، ولم يكن هناك كبير فرق بين
الشخصيات النسائية في هذه المسرحية أو تلك .

إذا عدنا لمسرحيات باكثير وجدنا أنه ينطلق من هذا التصور
للمرأة اليهودية ، فهذه راشيل في " شيلوك الجديد " تمثل المرأة اليهودية
وهي استير التوراتية أيضاً ، فهي " فقراء مشوهة القد ناضجة الأنوثة كلها
اغراء وفتنة " وترتدى فستاناً من الحرير محبوكاً على جسدها حتى ليكاد
أن يتمزق " حتى هذه الصفات المحددة للشخصية تنبع من هذا التصور
للدور الذي لا تصلح لسواه ، وظيفة راشيل في المسرحية ، كما حددها
شيلوك ، أن تقوم بالاستيلاء على أراضى عبد الله الفياض باستخدام وسائلها
المختلفة لمصلحة الحركة الصهيونية . ولم يكن عبد الله أول شخص تقسم
معه راشيل بهذا الدور ، فقد سبقه الكثيرون ، وعندما تحمل من عبد الله
سفاحاً ، لانتهى الحركة الصهيونية بأما في هذا الحمل :

شيلوك : أما تحبين يا راشيل أن تسهمي في حركة النمل اليهودية .
إن العرب يتناسلون بكثرة مزعجة فلا بد لنا أن نباريهم
شئنا أن تكون لنا الأكثرية .

وهكذا لا يترك الكاتب فرصة لهذه الشخصية لأن تنمو بعيداً عن

(١) شيلوك الجديد ص ١٠ .

(٢) انظر : المسرحية ص ١٥ .

(٣) المسرحية ص ٥١ .

نمط المرأة اليهودية البغى ، مع أن الفرصة كانت متاحة أمامه لتابعه راسيل بعد أن انتهت من دور المرأة البغى ليكشف لنا جوانب أخرى لهذه الشخصية ، لكن الكاتب بترها بترًا ، ولم تظهر ثانية في المسرحية بالرغم من الأهمية التي أخذتها في البداية .

وإذا كانت راسيل تقدم جسدها من أجل الصهيونية في " شيلسوك الجديد " فإن سميتها تفعل ذلك ولكن من أجل الربح المادي في " شعب الله المختار " ، بل إن باكثير يقدم لنا صورة ترددت بعد ذلك لسدى بعض الكتاب المسرحيين (١) ، وهي صورة الأم اليهودية وابنتها اللتان تتعاونان في هذه المهنة ، والأم هنا تدعى سارة وهي زوجة حاتم صاحب الفندق ، أما ابنتها فتدعى راسيل ، وهما تقدمان المتعة لرواد الفندق ، أما حاتم - الزوج - الأب - فهو لا يجد ضيرًا في ذلك ، بل إن ما يضجره أن زوجته لا تخبره عن المبلغ الذي تقاضته من أحد رواد الفندق . أما سيمون خطيب راسيل ، فإنه يعلم بأمر خطيبته ويرضى بهذا الوضع ولكن على كره منه حتى تستطيع إكمال الدوطة ، وكراهة سيمون لهذه الحال لم تكن بحكم يهوديته ولكن كانت بحكم أصله المصري .

والاختلاف الوحيد بين راسيل في " شعب الله المختار " ، وراسيل " شيلسوك الجديد " أن الأخيرة تعمل بغيا من أجل إسرائيل ، بينما الأولى تعارض هذه المهنة وهي تلمن إسرائيل وترفض أن تقدم جسدها مرة واحدة من أجل إسرائيل .

راسيل : ماذا جنيت أنا من إسرائيل ؟ أكلت مالي الذي جئت به من قنارة السويس بالضرائب والرسوم .

ولكن هذا الاختلاف في الموقف لا يعنى اختلافا في التصور النمطي للمرأة اليهودية بين شخصيات باكثير النسائية ، بل إن باكثير يرسم هذه

(١) انظر : شعب الله المختار ص ٧٥ .

(٢) المسرحية ص ٤٠ .

الصورة النمطية من خلال التاريخ في "إله إسرائيل" عندما يستخدم اليهود مريم المجدلية لاغواء يحيى المبشر بالمسيح^(١) كما يستخدمونها لتشويه صورة السيد المسيح بانتهامه بالتردد على بيتها^(٢) ولأول مرة نجد تطورا يطرأ على إحدى الشخصيات النسائية عند باكثير وذلك عندما ترفض مريم المجدلية المضي في هذه المكيدة الدبورية ضد السيد المسيح^(٣) وتعلن أنها قد تطهرت وصارت من أتباع المسيح.

ولكن يضعف من قيمة هذا التطور انه لم ينبع من المسرحية ، وإنما ينبع من تاريخ هذه الشخصية ، وحتى ذلك بوضوح أن الكاتب لم يفسر من نظرتة الى المرأة اليهودية وإنما كان يسجل حدثا تاريخيا فقط ، مع الاحتفاظ بالحقائق التاريخية كما هي .

مرة أخرى نجد ذلك الثنائي الذي بدأه باكثير عند أحمد السعدني في "الكويديا اليهودية" حيث أستبر وابنتها سارة تديران حانا ، وتقدمان المنفعة للرواد ، وتصبح هذه المهنة دلالة امتياز حتى من الحاخام نفسه :

ابن أشبر : (لاستبر) ليس هناك شك في أن ابنتك أحببت حرفتها
ومارستها بصدق

وتقوم سارة بمغازلة الحاخام نفسه فتنهرها أمها :

سسارة : كم من الكهنة قد تسللوا الى مخدعك^(٤) وإلى فراش ؟ أليس
تقولى انك لا تترتبين إلا من الأحبار ؟

شيئا فشيئا تكسب هذه المهنة صفة القداسة لدى اليهود ، عندما يعلم حايعوم بأن سارة - وهي غير سارة الأولى ابنة استبر - ستزف الى المسيح يقول :

(١) انظر : إله إسرائيل ص ١٠٠ .

(٢) انظر : المسرحية ص ١٠١ .

(٣) المسرحية ص ٩٨ .

حاييم : مادامت ستعرف الي مسيحننا فلاهد أن تحترف البغاء . هكذا جاء في الناموس .^(١)

ووضع ايليا النبي هذه المهنة بالنسبة لعروس المسيح :

ايليا : إن الدعارة بالنسبة لعروس المسيح هي طقوس مقدمة .. انها عبادة وصلاة .^(٢)

ويشتهى حاييم - الحارس على الشريعة - عروس المسيح سارة ،
وببارك ايليا النبي هذه المعاشرة كطقس ديني :
ايليا : ستحول معاشرتك لها صلاة وعبادة جنسية .^(٣)

أما المسيح المنتظر نفسه ، الذي أعلن نفسه إليها فانه يعتمد على
استبر " وجهاز ضخ من الغايات ونيات الهوى " في استعادة الذهب
للخزانة اليهودية ، لهذا فهو يبارك - كاله - هذه المهنة المقدسة
التي تعود بالخير عليه وعلى اليهود .^(٤)

وإذا كان هذا هو موقف الكاتب من المرأة اليهودية فانه يستنكر
ماورد في التوراة بخصوص سارة وأبقي لوط :

ايليا : (لسارة) هل تصدقين أن نهباً علاقا مثل إبراهيم العظيم
يسمع زوجته لفرعون ويقدمها له على أنها أخته ؟

سارة : الحقيقة أنها رصة أو سقطنة .

ايليا : وهل يقبل العقل قصة لوط مع ابنتيه ؟^(٥)

سارة : هذا امر لا يقبله عقل او دين او خلق .

(١) المسرحية ص ٤٤ .

(٢) المسرحية ص ٥١ .

(٣) المسرحية ص ٤٥ .

(٤) انظر المسرحية ص ١٤٤ .

(٥) المسرحية ص ٦٢ .

ولقد ضحى المؤلف بالناحية الفنية من أجل استنكاره هذا ، فلقد ساق هذا التشكيك فى التوراة على لسان خادمها الذى وهب حياته من أجلها . ولم يكن هناك ما يمنع ايليا من تصديق قصص التوراة هذه بينما هو يعسب زوج المسيح - الذى سيعلمن إليها فيما بعد - لتصبح بغيا ، انا نسمع صوت الكاتب ونرى شخصيته فى هذا الكلام ولا نسمع صوت ايليا او نرى شخصيته فيه . لأن هذا التشكيك فى قصص التوراة هذه جاء مخالفا للصورة الستى رسمها الكاتب لايليا .

فى مسرحية " وطنى عكا " تلتقى مجموعة من النساء اليهوديات اللاتسي يقمن بهذه المهنة المقدسة ، إنهن المجندات فى الجيش الاسرائيلى ، مهتمن تقديم المنحة لجنود الجيش ، ولأنه لا يوجد فرق بين واحدة وأخرى فان الشرط لا يعطينهن أسماء بل أرقاما : تجيب مجندة عن سؤال حول شعورها بالأمن فى بيتها بعد الانتصار الاسرائيلى عام ١٩٦٧ :

المجندة "١" : لم لا ؟ وحتى فى بيوت الآخرين .
المجندة "٢" : بل فى بيوت الآخرين تهدد الزوجات هذا الأمن من حين لحين (ضحك) .

يعقوب : انا زوجتى من أفضل الزوجات فى هذى الشئون .
تبدو كما لو أنها كانت غبية .

مارجسو : (غاحكة) هذا لانك لم تعد الا احتياطى إذا نفذ الرصيد (١)
يعقوب : (ضاحكا) أنت يارب الجنود .

ويخشى الكاتب أن يتطرق إلينا الظن بأن هؤلاء النساء يقمن بعملهن هذا من أجل إسرائيل فقط ، فيقوم بعرض مشهد للمجندات يستعرضن فيه ذكرياتهن الفاضحة فى ممارسة المهنة فى أوروبا وأمريكا قبل قدومهن الى إسرائيل .

(١) وطنى عكا ص ٧٠-٧١ .

(٧) انظر : المسرحية ص ١١٧-١١٨ .

ويقدم الشرقاوي جانباً آخر من جوانب هذه الإباحية الجنسية والتحلل الأخلاقي عند المرأة اليهودية ، إنه جانب امتهان الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ، إنه يسعى - بصبر عجيب - لإثارة النخوة والكرامة العربية والإسلامية ، فهذا سلامسكي يمارس الحب مع إحدى المجندات في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة .^(١)

ولو استثنينا - مؤقتاً على الأقل - الخطأ في الاقتضار على جانب واحد في تصوير الشخصية لوجدنا أن تصوير المجندات لم يبتعد عن الواقع كثيراً ، ذلك أن صورة المجندة البغي معروفة تماماً في إسرائيل نفسها ، لهذا ترفض كثير من العائلات اليهودية المتدينة إرسال بناتهم إلى الجيش ، ويقول أحد الجنود :

" إن الأمر أسهل بكثير مع المجندات ، عندما أخرج مع فتاة بشكل جسدي من أجل الزواج ، فإنني أختار فتاة لم تذهب إلى الجيش ، إنني منعست أختي من التجنيد ."^(٢)

المرأة الوحيدة طاهرة الذيل - أو على الأقل لم ينسب إليها البغاء - هي مارجو ، ذلك أن الكاتب يعدها لما يستقبل من أحداث ، حيث ستعارض فيما بعد الوحشية والعنصرية بل والكيان الإسرائيلي كله ، وتصبح هذه المعارضة بالرحيل إلى بلدها الأصلي فرنسا ، لهذا حافظ الكاتب على نقائها منذ البداية .

ويلاحظ شمعون بلاس هذه النمطية في تصوير الكاتب للمرأة اليهودية " عندما حاول الشرقاوي خلق شخصيات غير نمطية للرجال الإسرائيليين لم يفعل شيئاً بالنسبة للشخصيات النسائية ، وعلى طول المسرحية تكسبون المرأة تجسيدا لموضوع الجنس ."^(٣)

(١) المسرحية ص ٧١ + ١٢٣ .

(٢) صحيفة دافار بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٥ نقلاً عن شؤون فلسطينية - المتمردون على الخدمة العسكرية في إسرائيل ص ١٣٨ عهد الحفيظ محارب - ع ٦٤ ديسمبر

Shimon Ballas, The Jewish Quarterly, P. 16.

١٩٧٢ .

(٣)

في مسرحية " الثغرة " يبتعد الكاتب تماما بالشخصية النسائية الوحيدة عن هذا المزلق النمطي في التصوير ، ولكنه ينتهز فرصة حديث الشخصيات عن الكمبيوتر ليظهر طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في هذا الوسط الصهيوني الخالص :

(١) باروخ : اتنا نعمل في المستعمرة هلا متواصلا . . ونمارس الجنس دون زواج

ورغم وفرة النساء في المستعمرة ، ورغم إباحية الجنس فيها ، إلا أن باروخا كان يرى بخياله فتاة المدينة ويكمل معها ما يريد .^(٧)

أما محمود دياب فإنه يعود لتقديم ذلك الثنائي الذي وجدناه عند كل من باكثير والسعدني : الأم والابنة اللتان تمارسان البغاء ، وذلك في مسرحية " باب الفتوح " كذلك تشترك الأم - وتدعى سارة أيضا - مع الأم في " الكوميديا اليهودية " والأم في " شعب الله المختار " في أنها تدير خانا بمساعدة ابنتها وتقدمان المتعة للزواد ، ولكن الجديد في هذه المسرحية أن هاتين المرأتين تمارسان مهنتهما بين أوساط المسلمين وليس في المجتمع اليهودي كما هي العادة ، ولم يستخدم هذا النمط لكشف تفنن المجتمع الاسرائيلي وإنما لكشف تفنن المجتمع العربي ، ونلاحظ أن هذا الجانب في المرأة اليهودية عند محمود دياب استطاع - رغم نمطيته - وربما بوساطتها - أن يخدم المسرحية مما جعل من هذه النمطية ميزة للمسرحية وليست عيبا فيها .

باستثناء هذا الثنائي عند محمود دياب لانجد لشخصية المرأة اليهودية - بالإضافة الى تمطيتها المفرقة - أي تأثير في الشخصيات

(١) الثغرة ص ٦٠ .

(٧) انظر : الثغرة ص ٦٤ .

(٣) انظر : محمود دياب . باب الفتوح . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ .

الأخرى ، واقتصر دورها على التواجد الدائم كرمز للفساد القديم
- الجديد في المجتمع الاسرائيلي .

وبلغ من نمطية الشخصيات النسائية أنها تشابهت حتى في الأسماء
فهن اما استير او سارة او راشيل ، وقد لاتحمل الشخصية اسما على
الاطلاق بل تحمل رقما كما حدث عند الشرقي .

وبما يلفت الانتباه أن كثيرا من المسرحيات ، وخاصة ذات الفصل
الواحد ، لم تتعرض للمرأة اليهودية لا بخبر ولا بشر ، وذلك رغم كثرة
الشخصيات اليهودية من الرجال مما ينفى مظنة لجوء الكتاب الى التركيز
بالتقليل من الشخصيات . ومن المسرحيات الطويلة التي لم تعرض لشخصية
المرأة اليهودية " الزهور لاتذبل أبدا " لرشاد رشدي ، و " محاكمة عم
أحمد الفلاح " للمؤلف ذاته ، " اليهودي التائه " ليسرى الجنسدي ،
" حدث في رفح " لمحمد الحداية ، " ثقب في حائط المبكى " لكمال
اسماعيل ، و " العبور " لفؤاد دواة ، ومن المسرحيات القصيرة " ملحمة
من سيناء " لصالح راتب ، " الجرح يغنى " لصالح عبد السيد ،
و " لا تقتلوا يوسف " لمصطفى عبد الغنى .

وبما كان مرد ذلك الى أن حظم الاحتكاك بين العرب واليهودى
كان من خلال الحرب وليس من خلال الحياة الاجتماعية السوية . بينما تقف
المجندات بعيدا عن جبهات القتال لأداء خدمات أخرى غير قتالية ،
لهذا لم يعرف الإنسان العربى والكتاب العربى المرأة اليهودية مباشرة
وانما من خلال السماع والقراءة فقط . لهذا كان تصويره لها محدودا وفى
إطار ضيق ومن زاوية واحدة هي زاوية المرأة البغى .

■ ■ ■

هذه هي سمات النمطية التي غلبت على تصوير الشخصية اليهودية ،
ومع مقارنة التصوير النمطى هذا مع التصوير الفردى - الذى سندرسه

في الفصل القادم - نجد أن الغلبة الواضحة لصالح التصوير النمطي ، فما أسباب ذلك ؟؟ وما أثره على العمل الفني ؟؟ .

" من الطبيعي أن تحتوى كل مسرحية على شخصيات نمطية أو ثانوية ، لأنه لا يعقل أن يقوم الكاتب بدراسة كل شخصيات مسرحيته من كسل جوانبها ، لأن النص لا يحتمل أن تكون كل شخصياته متطورة ، والشخصية النمطية تخفّض الإيقاع في حالة ارتفاع الشدّيد أو ترفعه في حالسسته انخفاضه ، ثم تمنح المتفرج لحظات من الراحة الذهنية تمكنه بعد ذلك من الاستعداد للايقاعات المرتفعة القادمة ومواصلة تتبعها " .^(١)

وهذا يعنى أن الشخصية النمطية - إذا أحسن تصويرها - يمكن أن تقوم بخدمة العمل المسرحي لكن بشرط أساسى وهوان تكون هذه الشخصية النمطية من الشخصيات الثانوية لامن الشخصيات الأساسية لا بد أن تكون متطورة لأنها تقود خطوط الصراع صوب نهايتها ، بينما تقسم الشخصيات النمطية بأدوار مساعدة للشخصيات المتطورة للقيام بمهمتها على الوجه الذى لا يحتمل وجود عقبات تعوق التدفق الدرامى " .^(٢)

فالصراع يعنى التحول من حالة لأخرى حتى الوصول الى ذروة الأزمة ثم الانفراج والحل وهذا يتم بواسطة الشخصيات ، لهذا لا يجوز أن تكون الشخصيات الأساسية في أية مسرحية شخصيات نمطية ، في حين يقرر النقاد أن أية شخصية مسرحية لا ينتابها تغيير أساسى في ذاتها هي شخصية راسية راساً رديفاً ، وأن هذه الشخصية إذا كانت تحتل في نهاية العمل نفس المكان الذى كانت تحتله في أوله كان العمل شيئاً رديفاً ولا بد " .^(٣) وهذا هو الخطأ الفنى الأساسى الذى وقع فيه كثير من كتاب المسرحيات السابقة .

(١) د . نيل راغب . الدراما الواقعية عند نعمان عاشور ص ١٦٢ .

(٢) السابق ص ١٦٨ .

(٣) انظر : هرم فريتاغ . معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية . د . ابراهيم حمادة .

(٤) لا يوس ايجوى . من كتاب المسرحية ص ١٤٣ ترجمة د رينى خشبة .

يشير د . مندور في نقده لمسرح باكثير الى أن السبب الأساسي نفس ضعف البناء في مسرحيات باكثير * اعتماد الكاتب على الذكاء دون اعتماد على الخيال (١) . وهذه الحقيقة التي ذكرها د . مندور لا تصدق على باكثير فحسب ، ولكنها تنسحب على معظم كتاب المسرحيات التي عرضنا لها في هذا الفصل . مع ملاحظة أن بعضهم لم يعتمد حتى على هذا الذكاء الذي أشار اليه الدكتور مندور . ذلك أن تصوير الشخصية النمطية لا يحتاج سوى حشد ما هو شائع عن هذه الشخصية ، ويتدخل الذكاء - إذا وجد - في كيفية استخدام هذا النمط المعد مسلفا ، أما الشخصية الحية المتطورة فهي تحتاج إلى عملية خلق فهي صعبة يكون للخيال الدور الأساسي فيها ، ويقرر بسفيلد (الابن) أن " قوة الملاحظة وحدها شيء قريب الشبه بالتصور الفوتوغرافي ، لكنها حين تعمل مقترنة بقوة الخيال يمكن أن تصبح أداة إلى فن أسمر ما تستطيع آلة التصوير أن تصنع ، إن الملاحظة تدير الآلة والخيال يقوم بالباقي ، فالخيال يساعد الكاتب المسرحي على إبراز الحوادث والأمكنة والشخصيات التي لم يالفها في مشاهداته أو تأملاته " .

ولأن الخيال موزع بين الناس بنسب متفاوتة لا يد لهم فيها ، فإن علينا أن نهت عن الأسباب الأخرى التي أدت إلى غلبة التصور النمطي ، ولعل من أبرزها أن كثيرا من كتاب المسرحيات يركنون في تصوير شخصية اليهودي إلى ما هو شائع بين الناس عن هذه الشخصية دون محاولة التحقق من صحة أو خطأ هذا المعتقد الشائع ، ومحاولة تصحيح هذه الصورة إن كانت خاطئة ، وإظهار الدوافع والأسباب لها إن كانت صحيحة ، ذلك أن مثل هذا العمل يتطلب جهدا بحثيا وعقليا ينأى عنه كثير من الكتاب (٢) ، فالمؤلف الذي يقنع بالتشخيص النحوي يبيع نفسه من كثير من الفعل المتعلق بالدوافع ، فالجمهور مهيا في حالات معينة لأن يسلم بسيطرة

(١) د . محمد مندور . في المسرح المصري المعاصر ص ١١٠ .

(٢) روجرم . سفيد (الابن) فن الكاتب المسرحي ص ١٢٧ ترجمة دريسني خشبة .

(٣) سنجيد مثل هذا الجهد المحقق في مسرحيات مثل : النار والزيتون ، الشفرة ، واليهودي التائه .

بعض الدوافع على بعض النماذج من الشخصيات ، ولا شك في أن مسـن
الأسباب التي تحمل كتاب المسرحية العاديين على اختيار الشخصيات
النوعية هو وجود ارتباط بين هذه الشخصيات وبين بعض الدوافع (١) .

ويجب ألا ننسى - بداية - أن التركيز على الصفات النمطية
مثل الجبن والبخل عند اليهود والمرأة البغي كذلك يحدث نوعاً مسـن
الرضا الذاتي ، ينتج هذا الرضا من الاحساس بالتفوق على " الآخر " والانتصار
عليه في هذه الميادين ، ويكون هذا الشعور معادلاً للشعور بالمرارة والنقمة
على الذات ، هذا الشعور الذي ولده تفوق " الآخر " في مجال القوة
المسكرة ، فيتم بذلك نوع من التوازن النفسي المريح ، ولعل هذا
ما حدا ببريخت الى نهذ فكرة التطهير في المسرح والدعوة الى التحرير
والفعل الايجابي .

ولعل من أسباب وفرة الشخصيات النمطية في المسرحيات المدروسة ،
ان الكاتب يحشد في مسرحيته من الشخصيات اليهودية أكثر مما يتطلبه
الحدث أو الصراع ، مغفلاً بذلك القاعدة الأساسية في أن " يستبعد
بقدر ما يستطيع كل شخصية يمثله الاستغناء عنها " . مما يجعله يركـز
تصوره لبعض الشخصيات - هذا لو فعل - والابقاء على بقية الشخصيات
في حالتها النمطية .

كما كان من أسباب سيادة التصوير النمطي للشخصية اليهودية ،
ان غالبية المسرحيات التي تناولت هذه الشخصية كانت مسرحيات مواقف
وأفكار وليست مسرحيات شخصيات ، بينما يقرر النقاد أن المسرحيات التي
تتولد من الشخصية ، فيها حياة وفرة أكثر من مسرحيات المواقف والظروف (٢)
لذا جاء تركيز الكتاب على الأفكار والمواقف والظروف على حساب الشخصيات .

(١) فرد ب . ميليت وجيرالويس بنتلي . فن المسرحية ص ٤٧٠ ترجمة صدقي
حطاب .

(٢) بمفيلد (الابن) . فن الكاتب المسرحي ص ١٨٥ .
(٣) انظر : د . عمر الدسوقي . المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها ص ٤٠١ .

ولاشك أن للجو الفكري العام الذي يسود مرحلة تاريخية بعينها
آثاره الواضح في تحديد نظرة العرب الى اليهود ، وما يمكن أن ترحب به
فترة زمنية من تصور لليهود يبدو ساذجا وأدعى للرثاء في فترات تالية .

على أية حال ، فإن غلبة التصور النمطي للشخصية اليهودية دفعت
باحثا إسرائيليا في الأدب العربي أن يصدر حكمه هذا : ' في الحقيقة
إن الشخصية الإسرائيلية لم تجد لها مكانا بعد في الأدب العربي
المعاصر' ^(١) . فما مدى صحة هذا الحكم التعميمي ؟؟ وهل صحيح أنه لم
توجد في المسرح العربي - على الأقل - شخصيات يهودية وإسرائيلية
ذات أبعاد ولامح محددة وواقعية ؟؟

وهل ظلت معرفة الكاتب العربي في مصر بالشخصية اليهودية
سماعية أم أنها تجاوزت ذلك الى الاحتكاك المباشر والمعرفة اليقينية ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الفصل التالي ، من خلال دراستنا
للشخصية المتطورة والشخصية المنحولة .

الفصل الثالث

الشخصية المتطورة والشخصية المتحولة

أثير كثير من الجدل حول أيهما أحق بالتقديم في بناء المسرحية :
الحبكة أم الشخصية ، وكان أرسطو قد قدم الحبكة على بقية العناصر المسرحية
في كتابه فن الشعر^(١) ، بينما رأى كثير من النقاد المحدثين ، وعلى
رأسهم لا يوس ايجي^(٢) ، أن الشخصية هي الأساس في المسرحية ، وعرض
كل فريق لرايه في تفضيل هذه أو تلك^(٣) .

وسواء اقتنعنا بصواب هذا الرأي أو ذاك ، فإن الشيء الذي لا شك
فيه أن الشخصية تحتل مكانة كبرى في بناء المسرحية ، ذلك أنها هي التي
تحمل الصراع والأحداث والحوار ، وقبل كل ذلك ، وبعبء ، هي التي
تحمل فكرة الكاتب من وراء مسرحيته ، إنها باختصار ذلك الكيان الحي الذي
يتم بواسطته تقديم هذه المسرحية .

وملاحظ بسفيلد (الابن) أن معظم المسرحيات التي لاقت نجاحا
كبيرا ، وشهرة واسعة ، في جميع العصور تناز عادة بميزة خلق شخصياتها^(٤) .

لكل هذا لاحظنا أن الخطأ الجسيم الذي وقع فيه كثير من كتّاب
المسرحيات الذين عرضوا لشخصية اليهودي لم يعملوا على رسم هذه
الشخصية كما ينبغي وظلت نمطا شائعا لا مكان فيه للفردية ، حيث لجسا
هؤلاء الكتاب الى تصوير هذا النمط بحسب ما هو شائع عن اليهود في
التراث العربي والعالمي من جبن ومخل ومكر ودهاء وعدوانية ، وحاولنا
التعرض لأهم الأسباب التي دفعت هؤلاء الكتاب الى هذا النمط من التصوير
ولعل أهمها قد برز في موافقة هذا النمط الشائع لما يهيئ الكتاب
أو أنه يرضى نوازع كائنة لدى الكتاب والقراء معا . لكن هذا التصوير
لا يرضى الضمير النقدي لدى أي ناقد متبصر .

(١) فن الشعر ص ٢٠ ترجمة عبد الرحمن بدوي .

(٢) انظر : فن كتابة المسرحية ص ١٨٩ ترجمة دريني خشبة .

(٣) انظر : الدراما بين النظرية والتطبيق . حسين محمد رامز ص ٢٢٢ - ص ٢٥٠ .

حيث عرض لأراء الفريقين بشيء من التفصيل .

(٤) فن الكاتب المسرحي ص ١٦٤ ترجمة دريني خشبة .

سنحاول في هذا الفصل التعمُّد لتصوير شخصية اليهودي الحبيسة التي أصابها التطور ، وقد جاء هذا التصوير على طريقتين كان من الممكن الجمع بينهما في طريقة واحدة تحت عنوان " الشخصية المتطورة " لسبب ذلك الجتنح الذي مال إليه بعض الكتاب في تصوير هذا التطور ، بحيث صار من التجاوز تسميته تطورا وكان الأقرب الى الصواب أن نضعه تحت عنوان آخر هو " الشخصية المتحولة " .

(١) الشخصية المتطورة .

ونعني بها تلك الشخصية التي تنهض عن النمطية في التصوير ، ويكون تصويرها ضمن ما يعرف بالتصوير الفردي ، فتمثل هذه الشخصية ذاتها ولا تمثل جماعة أو طائفة من الناس ، كما أن هذه الشخصية تخضع للتفاعلات المختلفة داخل المسرحية في ملاقاتها بالظرف والأشخاص المحيطين بها ، فيطرأ عليها من التغيير والتطور ما يلائم التفسيرات الطارئة في الأحداث والصراع ، وذلك بشرط أن يكون هذا التطور نابعاً من الشخصية ذاتها ، غير مفروض عليها من المؤلف فرضاً .

وقد نجد من الشخصيات ، في التصوير الفردي ، شخصيات ساكنة غير متطورة ، لكنها مرسومة بنجاح في إطار هذا التصوير الفردي ، وتظهر ذاتيتها وفرديتها بوضوح في المسرحية . وقد كان " مكسيم جوركي " أول من اشتهر بهذا اللون من التصوير في الأدب العالي ، وصار لهذه الطريقة من بعده أتباع كثيرون في الآداب العالمية .

والشخصية المتطورة " تقف بملوكها أو فكرها على موقفها حين يكشف عما يحيط بها من مخلوقات أو أشياء بوصفها وسائل أو عوائق في سبيل حريتها ، فتتخذ تجاه ذلك كله مشروها مرتبطاً بما يحيط بها من عوامل تتجاوزها بذلك المشروع الى غاية ، تحاول بها التغيير من حالتها الراهنة

(١) انظر : معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ، د . ابراهيم حمادة " الشخصية المتطورة " .

وهذه العوامل - مهما كانت درجة تموقعها - هي التي تحدد مشروع الشخصية^(١) ، أو هي باختصار الشخصية التي تتصرف داخل " موقف " معين .

سنلاحظ من خلال دراستنا للمسرحيات التي صورت شخصية اليهودي ، أن الخط البياني لتطور هذه الشخصية في المسرح وافق إلى حد كبير الخط التاريخي ، ففي المسرحيات المبكرة نسبيا كانت صورة اليهودي نمطية تماما ، كما لاحظنا في الفصل السابق ، وإن جاء فيها شيء من التطور كان هسذا التطور محدودا .

من ذلك مثلا ذلك التطور الوحيد في مسرحية " إله إسرائيل " لباكستر الذي طرأ على شخصية مريم المجدلية ، فقد اشتركت المجدلية مع اليهود (قيانا وحنانيا ويهوذا) في تدبير مكيدة للسيد المسيح لتلويث سمعته :

قيانا : " شارحا " اتفقنا على أن أبعث إليها الليلة شخصا يشبه عيسى الناصري في قامته وهيئته يزورها في بيتها وهو ملثم فتدخله نفسي مخدعها حتى إذا خرج منه لينصرف^(٢) رأه من عندها من المشاق والسطار فتزعم لهم أنه عيسى الناصري .

ألا أن المجدلية تهجر حياتها الأولى ، وتهجر الديانة اليهودية وتدخل المسيحية ، وتدافع عن المسيح ضد أعداء اليوم ، حلفاء الأمل .

المجدلية : ابليس هو الذي استحوذ عليكم يافجرة .. إله إسرائيل يسري منكم .

وهكذا ينقلب موقف المجدلية من النقيض إلى النقيض دون أن يمهد الكاتب لهذا التطور في الانقلاب ، اعتمادا على معرفة القارئ بتاريخ هذه الشخصية ، والحق أن هذا التطور لم ينبع من الشخصية المسرحية ذاتها

(١) د . محمد فتوى هلال . النقد الأدبي الحديث ص ٥٧٨ .

(٢) إله إسرائيل ص ١٠٠ .

(٣) إله إسرائيل ص ١٠٧ .

بل كان نابعا من الشخصية التاريخية ، ولو كانت هذه الشخصية من ابتكار الكاتب لكان هذا التطور المفاجئ علامة عجز واضحة فيها ، ولكن الشخصية تاريخية ، ومعلومات القارئ أو المشاهد المسبقة عنها ، وتوقع القارئ بنسبها على هذه المعلومات تهيئة الجدلية ، كل هذا يعد الثغرات الكبيرة في رسم هذه الشخصية ، ويخفف من حدة المفاجأة في التطور .

تجد مثل هذا التطور المحدود في مسرحية " الكوميديا اليهودية " وذلك على شخصية حايمم الذي اتخذ الكاتب قناعا يقدم من خلاله كثيرا من تعاليم التوراة والتلمود التي رأى فيها الكاتب خطرا على البشرية كلها ، وتكلم حايمم باسم اليهود جميعا وكان ذلك ضمن التصوير النحوي ، ولكن الكاتب خرج من هذا التصوير الى التصوير القردى ، ووجدنا تطورا واضحا يطرأ على شخصية حايمم ، يبدأ هذا التطور باشتهاا حايمم الحارس على الشريعة - لمارة ومحاولة ممارسة الحب معها . وهنا يعمل ايليا النسبى المهر بالمسيح المنتظر ، ويعلن أن سارة هذه ستكون عروسا للمسيح ، ويحكم على حايمم بالموت لأنه اشتها عروس المسيح وذلك بعد أن يسمح له بمعاشرتها :

حايمم : ولكن هناك ألغا غوى سوف يعاشرونها .
ايليا : لا تغالط أيها التمس . لن يعرفوا سر الأسرار مثلك .^(١)

وموت حايمم دون أن يكتمل هذا التطور الذى بدأه الكاتب ، والذى كان واضحا أنه لم يقصد به رسم شخصية فردية متطورة بقدر ما قصد الى كشف المعتقدات اليهودية الخاطئة والتي رأى فيها انحرافا عن جوهر الديانة والمقل والمنطق ، وخاصة في نظرة الدين اليهودى الى الجنس الذى يتحول على أيديهم الى شئ مقدس .

أما التطور الحقيقى للشخصية اليهودية فقد ظهر بوضوح بعد حشرب

(١) الكوميديا اليهودية ص ٤٥ .

١٩٦٢ وقد كانت الهداية في هذا التصوير على يد ألفريد فرج في مسرحية (النار والزيتون) وهو تطور فريد من نوعه ، يذهب الفدائي الفلسطيني أبو شريف " الى داره القديمة في يافا ، ويطلق الباب على يجد بها عروها فتخرج له فتاة اسرائيلية كانت جارتهم قبل رحيله عام ١٩٤٨ ، وتستقبله هــذـه الفتاة بحرارة بالغة ، ويستعيدان ذكريات طفولتهما العذبة ، ولهوها البرى ، دون أن يشعران بفرق بين المسلم واليهودى :

أبو شريف : نتاليا .. كان أبوك يدلك تاناشا . وأنا كنت أسميك الفتاة .
الفتاة الاسرائيلية : بعدك فاكرنى يافتحى .
أبو شريف : هين ضفايرك الطويلة ؟
الفتاة الاسرائيلية : لخبطتنى ..
أبو شريف : بعدك حلوة يا صبية ..
الفتاة الاسرائيلية : وينك كل هالسنون يارميو ؟
أبو شريف : بالاردن .. بمصر .. بالمانيا .. بفرنسا ..

ثم ينتقلان للحديث عن دار " أبو شريف " وأهله الذين كانوا بمثابة أهل لها هي أيضا :

الفتاة الاسرائيلية : والله كنت العب معها أكثر من دارنا .. كيف أمسك يافتحى ..

أبو شريف : كنت تنادى بها " أمى " ..
الفتاة الاسرائيلية : أى بيوم الاضراب ..
أبو شريف : بعدك فاكرة ؟ ..
الفتاة الاسرائيلية : كان ضرب النار بالشارع .. الانجليز والعرب والحرايق ..
بيـه .. أبوى ارتعب .. صيحتله أمك ييجى هــنـون
وحطتنى بحجرها فاكرو شو قلت لى يافتحى ؟

أبو شريف : ماتخافيش ينادية .
الفتاة الاسرائيلية : لكنى صرت أبكى .. أبويا كان خايف .
أبو شريف : اى .. ماكانش بيحبنا .. يوم ماضطنا بتلعب ضمنى ..

الفتاة الاسرائيلية : كنت بتلعب ايثر يا عشق .. عروس عريس ١٩٠٠ !
أبو شريف : كل الأطفال يلعبوا ..

ولكن اذا كان الأطفال يلعبون دون تفريق بين يهودى وهين ، فان
والد الفتاة كان يرفض هذه الصداقة البهيمية بين الأطفال ذلك أنه يعلم
ملا يعلمون .

يستمر الحديث بين الفتاة الاسرائيلية و " أبو شريف " محملا بمحبة
الذكريات الحلوة ، والمضامير الانسانية الصادقة ، ثم تدعوه الى التنزه والرقص
فيوافق :

الفتاة الاسرائيلية : انتظرني لأبدل ملاهسى ونخرج . اليوم هادا يوم
سعيد الى بعدنا السنون (تخرج) شو شمورك ..
أبو شريف : ولا بالحلم كنت أتوقعك هون كنت باظن بالقى عريسى
يساعدنى .

الفتاة الاسرائيلية : (من الخاف) أنا باساعدك يا ولد . ايهو بتريد ؟
أبو شريف : (بحذر) أنا فى الحقيقة معيشر هوية .
الفتاة الاسرائيلية : (من الخاف) لاتأخذنى يا فتحنى بالهس ثيابى الكاكسى
الملمونة ..

أبو شريف : " بدهشة " أنت جندية ؟
الفتاة الاسرائيلية : اى .. مثل الكل .. أنا بالخدمة الليلية .

هنا يبدأ منحنى التغير الرهيب فى شخصية تقاليا ، وهو يهض ببساطة
ويتناسب تماما مع ارتداء الملابس العسكرية ، وكلما ارتدت الفتاة قطعة من
ملابسها العسكرية كلما ازداد هذا التغير ، وارتداء الملابس العسكرية
كان مصحوبا بتناقص فى المضامير الانسانية ونسيان حقيقى متدرج لتلك
الذكريات التى استعادتها فى البداية بكل تفصيلاتها ، وفجرت فيها يثربها
من السعادة الفائرة للحظات طولية :

الفتاة الاسرائيلية : (تدخل بالنمطلون الكاكي والكوبينزون وتتناول الجاكيت
من فوق الشماعة • ثم تواجهه بوجه جاد)
ليش معكاش هوية ؟
أبو شريف : (بهط •) مامص هوية ••
الفتاة الاسرائيلية : (وهي تخرج) لا تنزعج (من الخارج) مادمت معك
مايتحتاج هوية ••• فتحي شو كان اسم أبوك ؟ ••
أبو شريف : (بحيرة) عبد الله •
الفتاة الاسرائيلية : ايش كان يعمل ؟ ••
أبو شريف : مش معقول نسيت • معلم • كان يعلمك عربي ••
الفتاة الاسرائيلية : (تدخل مرتدية الجاكت ولهجة من يتذكر بصعوبة) آى ••

(الان انصفت عنه تماما ان استدارت نحوه فكانها لاتراه • حديثها
لم يعد متصلا بحديثه • فكانها تخاطب نفسها تتجه للشماعة في ركن المسرح
ترفع بندقيتها المعلقة على الشماعة ليتسنى لها أخذ قبعتها ثم تضع البندقية
كما كانت وترتدى القبعة بعناية أمام المرأة وهي تسوي هندامها) ••

أبو شريف : اى مش حتمدى انك جندية ••
الفتاة الاسرائيلية : (دون ان تنظر نحوه) كانت رفيعة أمك ولاسينسة ؟
كيف كانت تلبس ؟ كيف كان شكلها ؟

أبو شريف : (بقلق وحيرة) كنت تناديه بأى ونسيتى شكلها ••

ولأن الذاكرة من أهم مايميز الانسان عن بقية الكائنات • فإن فقدان
الذاكرة هنا يعنى فقداننا متدرجا وموازيا للإنسانية • وتحولا نحو الوحشية •
ومصور الكاتب قمة هذا التحول بدقة بالغة :

(تعود للشماعة وتأخذ بندقيتها فتضعها على كتفها أبو شريف يرقبها
وهي تستدير يمينا ويسرة أمام المرأة لتأكد من حسن هندامها ثم فجأة
كامرأة وحيدة تتأمل نفسها في المرأة رات رجلا غريبا خلف ظهرها استدارت
بحركة خاطفة وشهرت بندقيتها بيد مدهسة) •

الفتاة الاسرائيلية : هه ! لاتتحرك !

أبو شريف : شوها المزحة ؟
الفتاة الاسرائيلية : ارفع يدك فوق رأسك وتكلم في الحال .
أبو شريف : نادية ..
الفتاة الاسرائيلية : لا تراخ . ارفع يدك ، شو اسمك وكيف دخلت هون ..
أبو شريف : (يرفع يديه) اسى فتى .. وانت فتحتى البساب
أنا دقيقت وانت فتحتى ..
الفتاة الاسرائيلية : عاها . حكاية سيخ بارجالها ، شر مهم بتعترف نفسى
الشرطة .

وتصل الفتاة الاسرائيلية بالشرطة ليقبضوا على " أبو شريف " ويوظف
الكاتب حتى اسم الشارع لمصلحة هذا التطور في شخصية تتاليا ، فقد أصبح
اسم الشارع " شارع هرتزل " :

الفتاة الاسرائيلية : دير بالك أنا قاسية جدا .
أبو شريف : كنا بتحدث عن طفولتنا من دقيقة .. كنا بتلعب نفس
هادا البيت مثل اخوة ..

الفتاة الاسرائيلية : مجنون انت ؟ أنا ماشفتكش الا هادى اللحظة نفسى
المراية .

أبو شريف : ماكتيشر بتحدثينى من لحظة ؟
الفتاة الاسرائيلية : قرب من الشباك أكثر حتى أشوف وشك (يقترب) انت ؟
أبو شريف : عرفتينى ؟

ولا يفت الامر عند تنكر تتاليا الكامل له ولذكرياتها الجميلة وكسسل
ماهو انسانى بل ينقلب الامر الى عدا كامل :

الفتاة الاسرائيلية : ياوغد ! ظنيتك مت لما أطلقت عليك النار عند مصنع
الذخيرة اعترف إنك كنت بالهجوم على مصنع الذخيرة
هادا الصباح وانك أطلقت رشاشك على ..
(١)

أبو شريف : أنا وأنت ؟ شوها الفظاعة ؟

ان نقاليا هذه هي الوجه الاسرائيلي للدكتور جيكل ومستر هايد ،
في هذا المشهد الذي يعتبر بحق من أفضل ماكتب في المسرح العربي ،
يختصر الكاتب قرونا طويلة من العلاقات الطيبة بين العرب واليهود منذ
القرن السابع الميلادي وحتى منتصف القرن العشرين ، وكيف جاءت الصهيونية
لتفسد كل هذا التاريخ ، والمشهد ذاته يصور ماطرا على الشخصية اليهودية
من تغل عن الانسانية وتبنى الوحشية منذ تبنت الصهيونية عقيدة لها .

ربما كان من الضرر البالغ لهذا المشهد النظر الى شخصية نقاليا
باعتبارها صورة للخيانة الفردية كما قال بذلك شمعون بلاص في نقده لهذه
المسرحية (١) ، ولم يظن هذا الباحث الى ذلك التزامن الدقيق بين التفسير
في الشخصية والتخبر في الملابس من مدنية الى عسكرية الى حد يصل اليه
الانسلاخ ، ان الملابس هنا وماصحبها من ذكريات جميلة ومشاعر إنسانية دفقة
لم تكن سوى رمز للحياة الهادئة التي عاشها اليهود في الدولة العبرية منذ
قرون طويلة ، وفي فلسطين ذاتها قبل ظهور الوجه الصهيوني القبيح ،
وهذا المشهد ، على الرغم من بعده عن الواقع بحرفيته ، إلا أنه بما يحصل
من طاقات تمبورية يعتبر اصدق تمثيل فني لهذا الواقع ، وتمثل نجساح
الكاتب في تطوير شخصية نقاليا في ان كل هذه الوزنة والتعبيرية لم تفسد
التصوير الفردي لهذه الشخصية .

وقد رأى محمود امين العالم في نقاليا نفس النظرة التي رآها بلاص
وذلك من حيث الغدر والفردية ، وكانت هذه أيضا نظرة د . لطيفة الزيات الى
هذه الشخصية على الرغم من التفاتها الى المفهوم التعبيري الشفاف لهذا
المشهد (٢) ، إلا ان أحدا من الباحثين السابقين لم يلتفت الى ذلك الرهبط
الذي صاغه المؤلف بين تغيير الملابس وتغيير الشخصية ، ذلك الرهبط

Shimon Ballas, The israel Image in Arabic literature.
The Jewish Quarterly, P.16.

(١)

(٢) انظر : الوجه والقناع في المسرح العربي المعاصر ص ٢٥١ .
(٣) انظر : مجلة المسرح : أفضل العروض التي قدمت عن القضية الفلسطينية
ص ١٦ ع ٧٢ ، ١٩٧٠ .

الذى يمنع أن يكون المشهد مجرد لحظة قدر أسلمت فيها تتاليا " أبو شريف " الى السلطات ، فهي قد نسيت بعد ارتداء الملابس العسكرية ، كل ما يتعلق بالماضي وذكريات الطفولة ، بل ونسيت كيف دخل " أبو شريف " منزلها ، وكانت العلاقة بين شخصية تتاليا بالملابس المدنية وشخصيتها بالملابس العسكرية كالعلاقة بين د . جيكل ومستر هايد .

والشخصية اليهودية الثانية التي برزت في المسرحية ، شخصية المليونير اليهودي الأمريكي الذي يمثل صهيونية الدياسبورا مع احتفاظه بخصائصه الفردية . ومصطلح صهيونية الدياسبورا وضعته الصهيونية للخرج من مازق أن يكون اليهودي صهيونيا وغير راغب في الهجرة الى إسرائيل . ويرافق المليونير السائح في تجواله اثنان : ابنته ميني وليس لها سمات واضحة ومهتمتها اللقاء مزهد من الضوء على شخصية والدها المليونير ، ثم الدليل الإسرائيلي الذي يتولى الشرح والإيضاح من وجهة نظر رسمية ، ويتضح إحساس المليونير بذاته أكثر من إحساسه بإسرائيل ، فهو يبدأ الحديث عن نفسه ويشي بالحديث عن إسرائيل ، ويختتم الحديث عن نفسه أيضا :

المليونير : يسمونني في أمريكا المليونير الصهيوني ، وسمونني هنا في إسرائيل الصهيوني المليونير .

الابنة : " تقاطعه " بعض الناس يسمونك اللص يا بابا . .
المليونير : " يضحك محرجا " جئت هنا لأرى بلادكم على الطبيعة أشكر لك مرافقتك لي . لن يصدق أصدقاؤنا في تكساس ماسنوييه لهم ياميني . بلد معجزة . منارة الشرق . غربة للمدينة في أرض الهمجية . ولأول مرة في التاريخ (يضحك عالي) الوطن يهودي والجيتوعري .

الدليل : اتشهر بشي " ياسيدي ؟

(١) انظر : معجم المصطلحات والمفاهيم الصهيونية " صهيونية الدياسبورا " .

(١) المليونير : هستبريا دينية من حين لآخر . هكذا يقول الطبيب .
وليس من قبيل الصدفة ان يتحدث المليونير عن اسرائيل بقوله
" بلادكم " بينما أصدقاؤه في تكساس ، ومع كل هذا يريد ان يثبت
ولاءه لاسرائيل ، وتكون الطريق الوحيدة لهذا الولاء هي تقديم الاموال
لاسرائيل .

ويرى المليونير في اسرائيل والعمالة العربية الرخيصة فيها مشروعا
اقتصاديا كبيرا ، ويهدى اعجابه الفائق بكل ما هو يهودي . ولكن عند
حائط المبكى يكشف عن التناقض الذي يكتفه حين ان يكون صهيونيا (حيث
تعني الصهيونية اول ماتنى الهجرة الى اسرائيل) وبين رفضه الهجرة
الى اسرائيل .

(حائط المبكى مصور فني ستارة الخلف وقد جلس عنده بعض الفقراء اليهود
المليونير وابنته . المليونير يتجنب النظر اليهم بطريقة ملحوظة وهو يميل الى
الحائط ويبكى) :

الابنة : لماذا تبكى يا بابا ؟
المليونير : ابك يا ابنتي مثلى . هذا هو المبكى .
الابنة : ولماذا ابكى أنا ؟
المليونير : لأن أبوك يبكى .
الابنة : انك لم تبكى هكذا مرة واحدة على قبر أمي .
المليونير : هذا هو المكان المخصص للبكاء ..
الابنة : اشرح لى لماذا تبكى ؟
المليونير : لأن أبوك يعيش في المنفى شريدا وتالم .
الابنة : تستطيع دائما أن تبقى هنا ..
المليونير : أنا لا . ليس من مصلحتي ولا من مصلحة اسرائيل .
الابنة : فلم البكاء ؟

المليونير: ابكى لأغسل هموس .

الابنة : ماذا يهيك ؟

وهنا يكشف المليونير عن الأزمة التي تجتاح الكثير من اليهود الذين يعيشون بعيدا عن إسرائيل ، الى أى بلد ينتمون ؟ الى البلد الذى نشأوا فيه ؟ أم الى البلد الذى يعيشون فيه الآن ؟ أم الى إسرائيل التى تدعى تمثيل يهود العالم ، ما الثمن الذى يدفعونه لكى تتركهم الصهيونية وشأنهم ؟ لماذا لا يهاجرون الى إسرائيل ؟ هذه المتناقضات التى لاتجد حلا هى التى تدفع المليونير للثبات عند حائط المبكى :

المليونير: لكن أخدم وطنى لا بد أن أهاجر فى المنفى وأمثل دور الجلاد لآخرى وأعرض للتشهير من جهة وللابتزاز من جهة ثانية ، أخطأت وأجرت فى الماضى وساخطى وأجرم فى المستقبل ولا أريد إلا أن أكون طيبا ولكنى مضطر دائما للدفع فى صندوق الضمير (إسرائيل) . . . المانى بنشأتى وعواطفى ، أمريكى بشرورتنسى ، ليرالى بالميل وعنصرى بالضرورة ، لأنى آخر الأمر لصت إلا يهوديا مسكينا مزدوج الشخصية وغاضب وحائر ، ولى من العالم وويل العالم منى لهذا أبكى يا ابنتى . . . ابكى مع أبيك . . .

وهكذا يتضح أن إيمان هذا المليونير بثروته أتقى من إيمانه بصهيونيته فهو يمانع فى هجرته الى إسرائيل ، ليس هو فقط ولكن الصهيونية ، داخل وخارج إسرائيل ، تطامع مثل هذه الهجرة بشرط أن يدفع لإسرائيل ، صندوق الضمير ، ويرضى الصهيونية داخل وخارج إسرائيل ، ويرضى ضميريه الصهيونى ، وينسى ثروته فى الولايات المتحدة ، ويحقق التوازن المطلوب لهذه الولاءات المتعددة لديه ، وهو يؤمن بضرورة الحاق الأذى والضرر باليهود خارج إسرائيل لكى يحلهم هذا الأذى على الهجرة الى إسرائيل ، وطبعيا فهم اليهود الفقراء الذين لا يملكون المال لدفعه فى صندوق الضمير ، وبالتالي فإن عليهم تقديم أرواحهم دافعا عن إسرائيل فى حروبها المتكررة .

ولتأكيد خصوصية شخصية المليونير لا ينسى الكاتب حتى الأمراض التي تصيب هذه الشخصية ، حيث تلاحقه ابتداءً بالدواء كلما انفعَلَ . وتذكره بنصائح الأطباء " ان هذه الدقة في رسم خصوصية الشخصية - وهو ما عرف به ألفريد فرج دائماً - ترطب الجفاف الذي يصحب المسرح التعليمي في أغلب الأحيان " .

وبجانب هذه الشخصيات اليهودية التي عرضنا لها يستخدم الكاتب عشرات الشخصيات الأخرى بشكل تسجيلي ، هذا الشكل الذي سيلجأ اليه بصورة مقارنة يسي الجندي في مسرحية " اليهودي التائه " حيث لا يتم الاهتمام بالشخصية بقدر ما يكون بأقوال هذه الشخصية أو أفعالها ، فالتركيز ليس على الشخصيات في هذا اللون المسرحي ولكن على القضية ، أو كما يقول ألفريد فرج نفسه : " أثرت أن يكون بطل مسرحيتي " القضية " بالمعنى الحرفي للكلمة وأن تكون وسيلتي لطرح القضية هي فنون المسرح بعامة (١) .

من هذه الشخصيات اليهودية نجد الجنود والضباط وفقراء اليهود والقادة السياسيين والعسكريين لإسرائيل وبعض زعماء الصهيونية الأوائل وغيرهم ، ومن الطبيعي في هذه الحالة ألا يتم رسم لهذه الشخصيات لاهتمام التصوير النمطي ولا التصوير الفردي ، فتحن نرى من خلالهم حقائق وأرقام ووثائق ، ولأنني شخصيات مسرحية ، وهذا ما يريده الكاتب .

في مسرحية " الثغرة " لفتحي محمد فضل ، يقدم لنا الكاتب مثلاً حياً للتصوير الفردي ، والتطور النابع من الشخصية ومن التسلسل الدرامي للأحداث حيث تقوم المسرحية على ست شخصيات إسرائيلية ، إنهم مجموعة عسكرية دخلت الثغرة أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتم حصار هذه المجموعة من قبل الجيش المصري ، وتقوم المسرحية على كشف مشاعر هذه الشخصيات ومتابعة التطور النفسي والمعرفي لها .

(١) فاروق عبد القادر . ازدهار وسقوط المسرح المصري ص ٢١٤ .

(٢) مجلة المسرح ص ٩٨ ع ٦٩ يناير ١٩٧٠ .

- 179 -

- اجنسون : " مغنيا " اينما سرنا معا فنحن ثلاثة .
 انا وانت والحرب .
 اينما سرنا معا فنحن ^(١) ثلاثة .
 انا وانت والصوت .

تشير هذه الأغنية مكان الإنسان عند الآخرين ، نقد استحالة باروخ على يديه من وحش آدمي إلى إنسان يفقد أجنون بنفسه وبالآخرين من أجل أن يكمل الأغنية ، يسأل أجنون باروخ عن الحب ، ولكن باروخ لا يعرف هذا الحب :

اجنوں : حین تقابل فتاة وتنظر اليك نظرة شاعرية مملوكة بالحنان
وتجلس معها تتحدث .. وتحس بقلبك بين الضلوع يضرب
في ايقاع جميل ، وعلى مر الايام لا يستغنى أحدهما عن
الأخر ترسمان معا طريق الأمل وتبنيان فشا وشمر الحب
أطفالا .

وسرود اجنون وادم اكتراته بالاحداث من حوله لاينجمان عن
لامبالاة وانما هما السطح الساكن للفيلان والقلق الداخلى ، ان صراعا
داخليا يدور فى نفسية اجنون ، ويستطيع نقل هذا الصراع الى نفس

(١) النقرة ص ٥٢ .

(٦) الفتحة من ٥١

الآخرين ، وإن شئنا الدقة نقول إن هذا الصراع موجود أيضا في نفوس
الآخرين لكنه كامن واستطاع أجنون أن يفجروه بتساؤل عميق :

أجئون : نحن نتخبط في الظلام .. ويقتل بعضنا بعضا .. أين نحن
والى أين نسير .. هذا هو السؤال - في ربع قرن
(١) تحتل أربعة حروب .

ومضى هذا الصراع الداخلى لدى أجئون نحو نهايته ، وسامد
في حسمه همه ليائيل وللحياة فيصل الى قراره الحاسم وهو رفع العلم
الابيض بدلا من علم إسرائيل الممزق ، ويتفق مع يائيل على التسليم والأسر
على أمل اللقاء بعد ذلك .

أجئون : ولكن علينا أن نفكر .. ونفكر في هدوء لنعرف أين نحن
والى أين نسير ..

وعندما يهبط العلم الإسرائيلي الممزق ، ويرفع العلم الأبيض الناصع
يكمل أجئون الأغنية ، الأغنية التي أرادها باروخ أن يكملها دون أن يعلم
كنه هذه الأغنية ولكنه بدا يستشعرها ، لذا أبقى على حياة أجئون :

أجئون : " ينفى " باسم الرجال الذين احترقوا بالمدفعات .
باسم الطائرات التي هبطت مشتملة .
باسمك أنت يا حبيبتى .

أرجو أن تكون هذه الحرب هي الحرب الأخيرة ..
الأخيرة ..

هذا القلق الكبير الذى اجتاح نفسية أجئون صورة صادقة لما
انتاب الكثيرين من الإسرائيليين . لقد جاء اليهود الى فلسطين من
أصقاع الأرض بحثا عن الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ، بحثا عن الأمان ،

(١) الشجرة ص ٧٥ .

(٧) الشجرة ص ٧٧ .

فقد صورت لهم الدعاية الصهيونية فلسطين على أنها " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " ولكنهم وجدوا شعبا متمسكا بهذه الأرض ، ووجدوا أمة عربية متمسكة بهذه الأرض ، لهذا قامت الحروب المتتالية ، وأصبح اليهودى فى أرض " اللبن والعسل " ، فى أرض الأمان أقل أمانا ففى أى مكان آخر ، لذا انعكس ذلك بصورة مباشرة فى الهجرة المضادة من إسرائيل ، " فقد أعلنت الوثائق الرسمية الصادرة من إسرائيل أنه فى الفترة من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٢ هاجر من إسرائيل ربع مليون يهودى " (١) ، اتجه معظمهم الى الولايات المتحدة ، أرض الميعاد الجديدة كما تعرف بين الشباب الإسرائيلى .

والشخصية الثانية فى المسرحية هى شخصية باروخ وهو يحمل سماته الخاصة به والتي تميزه تماما عن الآخرين ، فهو من جيل الصابرة ، أى الجيل المولود فى إسرائيل ، وهو من أبناء الكيبوتس ، لهذا فإن نظرة الكاتب لهذه الشخصية تختزل نظرتة لكل جيل الصابرا وأبناء الكيبوتزاع وهذا لايعنى بأى حال من الأحوال وقوع الشخصية فى النمطية ، لقدس كلف الكاتب عن أصاق هذه الشخصية بكل وضوح وأبرز دوافعها ، فهو يقدم باروخ كأنه وحش فى ملابس آدمية ، ليس له أى رباط يربطه بهذه الأدمية ، وإن بدا هذا التقديم غريبا للوهلة الأولى ، فإن الكاتب يصور الحياة التى جعلت من باروخ هذا الوحش ، ويتتبع تطوره حتى يتحول إلى إنسان ، ويكون جيتار اجنون وأغنيته أول مايشده نحو الإنسانية .

باروخ : (لاجنون) لماذا لاتكمل الأغنية .
اجنون : هل أعجبتك ؟
باروخ : لم أتهم منها سوى الحرب والموت .
اجنون : هكذا أنتم يا أبناء المستعمرات لاتعرفون شيئا سوى الحرب والموت ، ألا تعرف على الجيتار .

(١) د . الياس زين . هجرة الأدمغة والهجرة المضادة من إسرائيل ص ١٥ مركز الأبحاث الفلسطينية .

باروخ : لم نتعلم في المستعمرة سوى اطلاق الرصاص .

أجنون : أليس لك هرايات ؟

باروخ : في طفولتي كنت أضع العصفور في قبضتي وأضغط حتى ينهشم^(١) .

هذه صورة باروخ ابن الكيبوتس الذي يمثل " التربية الصناعية " لجيل كامل من أبناء إسرائيل :

باروخ : انني أشعر بضيق فظيع ، وأحس أن جيتارك وأغنيتك تخفف عني ..

أجنون : بداية طيبة .

وتعليق أجنون هذا يعني أنه على وحي بتأثيره على شخصية بـسـاروخ الذي يردد الأغنية وراء أجنون لكن بدون غناء ، فانسانيته لم تكتمل بعد . يظل أجنون يفتش في نفسية باروخ عن أي شيء يربطه بالانسانية ، فيسأله عن الحب ولكن باروخ لا يعرف غير الكره ، ويشرح أيجال بعداً آخر من الأبعاد التي كونت نفسية باروخ هذه ، أنه بعد التنشئة الاجتماعية في الكيبوتس :

أيجال : يخذ طفل من أبيه وأمه ، وفي أغلب الأحيان يوجد لقيطاً ، ويرى في عناصر طويلة دون فارق بين الجنسين ، ولا يكتسب أية عاطفة حتى يخرج انساناً شوكياً مثل نبات الصبار ، خشناً من الخارج له أشواك^(٢) .

هذا هو تعريف الصهيونية للجيل المولود في إسرائيل ، جيـل الصابرا^(٣) ، أما أطفال الكيبوتس - يقول باروخ - فلمهم مربية وزجاجة لبن ، هذا كل ما يلقاه الأطفال من تربية سيكولوجية^(٤) ولديهم في الكيبوتس البديل

(١) الثغرة ص ٥٤ .

(٢) الثغرة ص ٥٩ .

(٣) انظر : د . هاني الراهب . الشخصية الصهيونية في الرواية الانجليزية ص ١١٧ .

(٤) لمزيد من المعلومات حول نظام الكيبوتس وطرق المعيشة فيه انظر :

الكيبوتز : المزارع الجماعية في إسرائيل . عبد الوهاب الكيالي . مركز الأبحاث الفلسطينية . والأدب اليهودي المعاصر . فؤاد حنون على

ص ٢٠-٢٩ .

عن الحب :

باروخ : انا نعمل في المستعمرة عملا متواصلا .. ونمارس الجنس
دون زواج .

ويسأله ايجال إن كان متدينا فتكون الإجابة بالنفى أيضا .
أما عن التربية الفكرية التي تقدمها الصهيونية لهذا الجيل ، فيقدمها
الكتاب من خلال هذا الحوار المتوتر والذي يكمل ايجال من خلاله مايسداه
أجنون من قتل لهذا الوحش الشوكي حتى يتخلق انسان جديد بدلا منه :
ايجال : لا توجد ام ولا يوجد أب ، ونعندم الحب تماما ، إن باروخا يكره
نقط .

باروخ : نعم هذا ما أعرفه .. اننى منذ البدء مكره (بعصبية)
يريدون أن يقتلوننى ..

ايجال : " بحدّة وسرعة " من ؟

باروخ : العرب .. لا يمر يوم دون أن يقتل يهودى ..

ايجال : لم ؟

باروخ : ليس مهما أن يكون فى مستعمرتى ، ولكن المهم أن القتل يتم .

ايجال : لم ؟

باروخ : اننى أكره لأنهم يكرهونى . احمل السلاح لأنهم يريدون قتلى .

ايجال : لم ؟

باروخ : لماذا تصيح هكذا فى وجهى .. ماذا تريد ان تقول ؟ (٧)

ايجال : " بهدوء " اريدك أن تفكر . لا أريد أكثر من هذا ..

جانب آخر من الإنسانية - التفكير - يحاول ايجال أن يشره لىدى
باروخ ، وعندما يبدأ الأخير فى استرداد هذه القيمة الإنسانية يشعر بالعذاب :

(١) الشفرة ص ٦٠ .

(٧) الشفرة ص ٦١ .

باروخ : " في ارهاق " الحقيقة أنني بدأت أشعر بنوع من العذاب ..
هذا هو العذاب الذي يشعر اليه موردخاي فيما بعد عندما يسأله
باروخ :

باروخ : وعندما أفكر هل سأجد شيئاً طيباً ؟
موردخاي : ستجد عذاباً يا باروخ ، عندما تفكر تعذب .^(١)

عودة الانسانية الى باروخ ، أو عودة باروخ الى الانسانية ، تستمر
ببطء ، وكانت أغنية أجنون هي البداية ، ولكننا نرى انتكاسة واضحة
لهذه الانسانية العائدة . وربما كان ذلك ذروة الصراع بين الانسانية
الوليدة ، والوحشية المستوطنة . يطلب باروخ - بالحاح - أن يتكلم :

باروخ : كلمتي قصيرة جداً (بهدوء) أنني أكرهكم . أكرهكم جميعاً ..
ولكن يائيل تأخذ بيد إنسانية ثانية عندما تسأله :

يائيل : هل لك أم يا باروخ ؟
باروخ : أم .. آه .. نعم نعم .. على ما أظن .^(٢)

ويذكر باروخ أنه كان يتخيل فتاة المدينة ، برغم كثرة النساء
في الكيبوتس ، وهو لا يعلم سبب ذلك ، فيشرح له ايجال :
ايجال : السبب أنهم قتلوا فيك كل العواطف ، ولكن كان يجب عليك
أن تفكر .

ولعل بحث باروخ عن فتاة المدينة كان بحثاً لا إرادياً عن الحياة
الآرية التي انتقدها في الكيبوتس ..

والانتكاسة الثانية لانسانية باروخ تحدثها صلاة اليعازر :

باروخ : أنا لا أعرف في هذا العالم سوى الكره .. أنا أكره هذا الرجل ..^(٣)
إن لم يخرج سأقتله .. إن لم يخرج هذا الرجل سأقتلكم جميعاً .

(١) الشفرة ص ٦٥ .

(٢) الشفرة ص ٦٣ .

(٣) الشفرة ص ٦٧ .

ويخرج اليعازر للصلاة في الخارج فيقتله الجنود المصريون • وعندما يتحدث ايجال بطريقة تخالف تماما التربية الفكرية التي تلقاها باروخ ، يقوم الأخير بقتله :

باروخ : لقد قتلت - ربما لأنه يقول كلاما غير الذي تعلمناه .. هكذا هو السبب .. لكن اعلما جميعا انني ارتعد - أشعر بالخوف (١) خوف شديد يتدفق في صدري مثل النهر المتدفق من قمة الجبل •

يحل هذا الخوف محل الكره الذي كان " يتدفق في صدره مشل النهر المتدفق من قمة الجبل " وهو انتصار آخر لانسانية باروخ على وحشيته ، بل إن هذه الانسانية أخذت تبرز كقوة معادلة لتلك الوحشية :

باروخ : حين يقتل الإنسان يصبح قاتلا ، وتصبح لديه شهوة كبيرة للقتل (٢) أجنون لماذا لا تكمل الأغنية (يبكي) لماذا لا تكمل الأغنية ..

ويتم الانتصار في النهاية لهذه الإنسانية الوليدة عندما يقرر باروخ أن يأخذ موردهاى معه ويحاول أن الخروج للانحال بالآخرين ، فان قتل أحدهما ينجو الآخر وينقذ أجنون ويائيل ، واقتداء الآخرين بمسجد تتوجها لهذه الإنسانية ، وهو يرفض أن يأخذ يائيل لأنها فتاة ، بينما يرفض أن يأخذ أجنون لسبب آخر :

باروخ : اننى أريده أن يكمل الأغنية .. نعم .. إن أغنية أجنون لها معنى كبير لابد أن يعيش أجنون لتحيش الأغنية •

أجنون : لقد بدأت تحب الأغنية يا باروخ ..

باروخ : لقد عشت حياة صعبة .. أنهمتنى أنت أشياء كثيرة لم أعها من قبل .. إنها تتطلب أشياء داخلية غير العقل •

(١) المسرحية ص ٧١ •

(٢) المسرحية ص ٧٠ •

(٣) الثغرة ص ٧٣ •

ويخرج باروخ وموردخاي حيث يقتل الاثنان ، ولكن الأغنية التي
أراد لها باروخ أن تكتمل .. تستمر ، ويكون بذلك لموته معنى . وهكذا
يتحول باروخ من شخص متوحش يتوقد بالحق والكراهية للعرب ، والرغبة
الجامحة في قتلهم ، يتحول الى أول قاتل إسرائيلي من أجل السلام .

وتحكم باروخ هذا في الجماعة غير مقبول على المستوى الواقعي ، فهو
أقرب الى المستحيل منه الى الواقع ، ولكنه على المستوى التعبيري ينجح
في حمل كثير من الدلالات ، فجيل الصابرا الذي يمثل باروخ ، هو الذي
يحكم إسرائيل اليوم ، وهو الذي يستطيع توجيه دفنها يمينا أو يسارا ،
للحرب أو للسلام .

والشخصية الثالثة من الشخصيات اليهودية في المسرحية شخصية
موردخاي ، وهو يهودي من أصل مصري لهذا يجعله الكاتب للشخصية
الوحيدة التي تتمتع بقدر من خفة الظل ، وهذا ليس على مستوى هذه
المسرحية فقط ، بل ربما على مستوى جميع المسرحيات التي تناولت شخصيات
يهودية .

والكوميديا التي يفجرها موردخاي تتناسب مع الموقف تماما ، فالموقف
الذي وجدت هذه المجموعة نفسها فيه كان موقفا عصيبا ، لهذا جاءت هذه
الكوميديا سوداء :

اليماز : ارحمني يا الله ..
موردخاي : اليماز .. لماذا لا تطلب لنا الرحمة نحن الآخرين ؟
اليماز : (صائحا) ارحمني يا الله ..
موردخاي : (يركع بجوار اليماز متخذا نفس الوضع صائحا) لا ترجمه
يا الله .. (ضحك من الجميع) .
موردخاي : الماساة ذاتها تفجر الضحك .. الحقيقة أنني أريد
أن أبكي .. هذا ما أريده بالضبط ولكن دموعي تنقلب الى
ضحك .

والمأساة التي يعينها موردخاي هنا ليست انتظار الموت ، ولكن لأنه ترك حياته الهائلة في مصر ، وتكر لشعبها الطيب وهاجر الى إسرائيل " ليعيش قاتلا " ، وأخيرا تكون النتيجة أن يقتل على يد المصريين الذين كان يجب أن يكون واحدا منهم .

والملاحظ أنه قد أخذ البعد الانساني الواضح بفضل العنصر الكوميدي الذي أضفاه عليه الكاتب . الشخصية اليهودية الرابعة نفس المسرحية هي شخصية ايجال ، وهو أمريكي حاد الطبع يمزقه التناقض الحاد بين الدعاية الصهيونية المعلنة وبين الواقع :

ايجال : (ليائيل) اني أكاد أجن .. حين تؤمنين بعقيدة شمس تكشفين في لحظة أن عقيدتك مجرد افلاس .. هل كنت تصدقين أن خط بارليف سيصبح قطعة جبن سويسري قائل كل هذه الكلمات هو نفسه الذي أعلن أن خط بارليف لا يؤثر فيه سوى القنبلة الذرية ^(١) .

يسيطر هذا التمزق على ايجال حتى نهاية المسرحية ، فقدانها كل معتقداته التي بناها على أساس من الدعاية الصهيونية :

ايجال : (بهدوء) اني في طريق الى الجنون .. وربما أكون قد جنت بالفعل ، لقد درست في الجامعة العبرية ولكن كل شيء أراه الآن مختلفا تماما .. آه .. كم يهذبني الفكر ، يقتلني التناقض .. ياللبشاعة .. تعرت كل الأشياء ^(٢) .

وهو يقوم بتعمية الأشياء " أمام زملائه أيضا ، فهو ينسب اضطهاد جميع الشعوب لليهود ، لطريقة حياة اليهود أنفسهم :

(١) الشفرة ص ٥٦ .

(٢) المسرحية ص ٥٨ .

ايجال : اليهود في كل بلد يتعاملون كقوة سياسية لا قوة دينية ،
لذلك فهم لا يذوبون ويخونون الشعوب التي يقيمون فيها .
العرب يكرهون اليهود لأننا طردنا شعبا من أرضه . شردناه
وحاربنا العرب ثلاث مرات . ماذا تنتظر . . الحب . . محال . . محال^(١)
.. محال

ويكون نصيبه القتل على يدى باروخ الذى صدق هذه الحقائق
التي سمعها لأول مرة ، باروخ الذى لم يستطع النظر الى " الأشياء"
بعد أن تعرت " .

والشخصية اليهودية الخامسة في المسرحية شخصية اليعازر ، وهو
متدين طويل اللحية ، أنانى مكروه من الجميع لتدينه وأنانيته معا ، يسرد
معظم الوقت " ارحمنى يا الله " ويعلق موردخاى على تدينه قائلا :

موردخاى : ثقوا أنه لم يعرف الله إلا هنا . . حتى الانسانية في الصلاة^(٢) .
ويجبره باروخ على الخروج من الموقع ليصل في الخارج ، ومجرد
خروجه يمزقه الرصاص .

لا يطرأ على شخصية اليعازر أى تغيير ، ربما لأنه لم يعمس
في المسرحية ، ولكنه كان شديد التأثير في الآخرين ، كما أنه كان متميزا
تماما عنهم . وكراهية الآخرين له ، وخاصة باروخ ، لم يفتعلها المؤلف
إذ أن هناك صراعا في المجتمع الاسرائيلي بين المتدينين والعلمانيين ،
وكل منهما يبادل الآخر الكراهية ، وينقل د . قدرى حفى عن أحد أبناء
الصابرا قوله في المتدينين اليهود : " إننى أكرههم هؤلاء اليهود السود
المتدينون ، وحين أراهم أستطيع أن أفهم لماذا يصبح الناس معاديين
للسامية " .^(٣)

(١) المسرحية ص ٧٠ .

(٢) الشفرة ص ٥٥ .

(٣) تجسيد الوهم ص ١٧١ .

أما الشخصية اليهودية السادسة وهي شخصية يائيل فهي الشخصية النسائية الوحيدة وهي فتاة قلقة خائفة طوال المسرحية ، نائرة لأنها لا تجسد الأمان :

يائيل : كل الأشياء هنا تثير أعصابي^(١) حتى أنتم • كلكم بلا استثناء • • لماذا لا نعيش كبقية الناس •

وإذا كان أجنون يجد متنفسا لآلامه في الجيتار والغناء ، وشاركه باروخ في ذلك ، ووجد موردخاي متنفسه في الضحك ، بينما وجده اليعازر في الصلاة ، وإيجال في انتقاده القيادة السياسية والعسكرية لإسرائيل ، فإن يائيل تبحث دون جدوى عن متنفس لآلامها ، تطلب مراقبة موردخاي عليها تجد هذا المتنفس في الرقص ، ولكن حتى هذه الرغبة لا تتحقق لأن موردخاي شرقي ولا يجيد الرقص • أما الشخص الاشتكاري الذي يريد مراقبتها - إيجال - فإنها لا تريد مراقبته وتتهرب منه بضيق •

وهي تشارك الجميع سخرتهم من اليعازر المتدين :

(٧)

يائيل : لم لا ترقص معي يا اليعازر ؟

ومثلما تعلمت الأشياء أمام إيجال من قبل ، فإنها تتكشف أيضا ليائيل للمرة الأولى :

أجنون : شيء لطيف أن نجتمع هنا رغم التناقض إننا مجتمع غريب •
يائيل : إنها المرة الأولى التي أرى فيها هذا التمزق •

ويتضح تعلقها بالحياة حين تتدفق فيها الفريزة " الأسيرة " ثم عاطفة الحب نحو أجنون لكنها تدرك أن نمط الحياة الإسرائيلية لا يتفق مع الحب أو تكوين الأسرة :

(١) الشفرة ص ٥٧ •

(٢) المسرحية ص ٦١ •

(٣) المسرحية ص ٦٥ •

أجنون : في ربع قرن تفتعل (١) أربعة حروب .
ياثيل : هذا لا يني أسرة .

وحبها هذا لأجنون ، وتكشف الحقائق أمامها يجعلانها تنظير
الى الأمور بواقعية :

(٢) ياثيل: لقد هزمتنا . . سقط الجيش فسقط إليه اسرائيل .

وهذا الحب أيضا ، وهذه الحقائق الجديدة يجعلانها توافق
على فكرة الاستسلام على أمل أن تلتقي بأجنون ثانية ، لكي تبدأ معه
من جديد بداية صحيحة .

هذه هي شخصيات المسرحية الست . ونلاحظ عدم وجود أياسة
شخصية عربية في المسرحية ، لذا استطاع الكاتب أن يركز على
هذه الشخصيات ويرسمها بدقة واتقان ، حتى جاءت - بحسب -
أكثر الشخصيات اليهودية في المسرح العربي حياة وحيوية ومعدا عن
المنطقية ، فقد قام الكاتب برصد التحولات الانسانية العميقة لهذه
الشخصيات ، وإن كانت هذه التحولات غير ظاهرة للعيان لأنها غير
فجائية ، فهي كالتيار الذي يجرف كل ما يقابله ، لكن تخطئه العين ،
ومع هذا فإن أحد الباحثين قد أورد هذه المسرحية ضمن المسرحيات
التي كتبت بطريقة مباشرة لتسجيل حدث العبور في أكتوبر ١٩٧٣ . ولعله
قد اتضح من خلال مقدمة المسرحية المنطقية وشخصياتها المتطورة أنها
أبعد المسرحيات العربية عن المباشرة والسطحية ، ويبدو أن الباحث
أصدر حكمه هذا دون قراءة المسرحية قراءة متفحصة متأنية ، واعتمادا على
عدم شهرة مؤلفها .

(١) الثغرة ص ٧٥ .

(٢) المسرحية ص ٧٦ .

(٣) انظر : د . أحمد العشري . المسرحية السياسية في الوطن العربي
ص ٨٧ سلسلة اقرأ أكتوبر ١٩٨٥ .

وسا يُلخِذ على كاتب المسرحية في رسمه للشخصيات ، أنه لم يهتم بالتصوير الفسيولوجي لها وترك ذلك لخيال القارئ أو تصور المخرج عند عرضها على خشبة المسرح .

* * *

في مسرحية " رأس العشر " يقدم سعد الدين وهبة شخصية طيار إسرائيلي ، وقد جمعت هذه الشخصية بين التصوير النمطي والتصوير الفردي : تسقط طائرة إسرائيلية في قرية رأس العشر ويهبط الطيار بالمظلة فتأسره إحدى نساء القرية وتقدمه وسط صباح الأطفال وفرحتهم إلى وسط القرية ، وعندما يرنج الغطاء عن وجه الطيار الأسير :

صبي (١) : دأ مش يهودى .. دا خواجة ..
(١)
صبي (٢) : ماهم اليهود خواجات يافالح ..

ولأنه مجرد خواجة يحاول أهل القرية التحدث معه ببعض الكلمات الانجليزية التي يعرفونها ، ولكن محمد أبو فرقة خفير القرية يتقدم نحو الأسير وهو يرنج ببندقيته فبرنج الأسير يديه إلى أعلى وترتفع أصوات الفرح والسعادة لأن اليهودي الخواجة خاف من بندقية محمد أبو فرقة وتحت هذا الخوف يضطر الخواجة إلى الحديث مما يعطى شخصيته مزيداً من الخصوصية ، وتكون أول مظاهر الخصوصية في الاسم ، فاسمه هو إيلي بنيامين :

الأسير : أنا مصرى . أبويا كان عنده جنسية مصرى وجدى كان وكنا عايشين في السكاكيني وأنا أتولدت في مصر وكنت في المدرسة في الظاهر وبعد ١٩٥٦ سبنا مصر ورحنا إسرائيل ، وكان أبى صاغنا في الموسكى .
(٢)

وعلى الرغم من الأسر الذي وقع فيه هذا اليهودي ، فإنه لا يتخلس عن الضرور الإسرائيلي الذي زرعه فيه التربية الصهيونية :

(١) رأس العشر ص ٦٢ .

(٢) رأس العشر ص ١٢٦ .

الأسير : في سنة ٤٨ كنتوا سبع جيوش وكنا احنا مجرد متطوعين ورغم كسده
(١)
غلبناكم .

وهي الرغم من أن الكاتب لم يطور أو يوضح شخصية هذا الأسير
أكثر من ذلك إلا أنه جعل منه محورا لكل أحداث المسرحية . والمؤثر
الأساسي في جميع الشخصيات ، حيث أعاد لكل شخص من الشخصيات
ذكرى مانقده من الحروب الماضية من أبناء وآباء أو كرامة أو أرض ، وقسام
كل منهم بشرح حرب من الحروب العربية الإسرائيلية وذلك لتفنيـد
رأى الأسير في تفوق الإنسان الإسرائيلي على الإنسان العربي ، ويكون
هذا الطيار سببا في تغيير شامل يطرا على أهل القرية حيث ينقلب نمط
حياتهم رأسا على عقب . لقد أعاد أسر هذا الطيار على يد امرأة ، لكل
الشخصيات كرامتها وإحساسها بإمكانية العمل وطرح السلبية التي عاشوا
فيها ردحا من الزمن .

أما يسرى الجندى فقد قدم شخصياته اليهودية بطريقتين مختلفتين ،
تمثلت الأولى في استخدام التعبيرية والرمزية الشفافة وذلك من خلال
شخصية "اليهودى التائه" هذه الشخصية التي استخرجها الكاتب من
الأسطورة وأعطاهها أبعادا إنسانية وأخرى رمزية ، مازجا باقتدار بين
الأسطورة والواقع ، فهو يقدم اليهودى التائه نصف أسطوري ونصف واقعي :
(يدخل مع الزمعة من اليمين وكأنما سقط من أعلى اسحق القديم ..
اليهودى التائه)

اسحق : (بصوت مرتفع ضاحكا) خادمكم المطيع أيها السيدات والسادة ،
اسحق القديم مع الزوابع أتى ، مع الزوابع أرجل (ينحنى وقد
جذب انتباههم جميعا .. إنه يبدو ظريفا ودودا في ملبسه
بسيطة من طراز قديم . له ذقن لطيفة ومسة تبدو دائمة .
يحمل عصا على كتفه في نهايتها كيس به حاجياته ، يتحرك
أمامهم مؤننا على سيطرته السريعة عليهم)

اسحق : مرحى يا أعزائى ورفقتى .. سعادة لا وصف لها .. سعيد بكم أنا
وتأكيدا لذلك واحتفالا بلاقائنا الغالى دهونى أحبيكم على طريقي
(يضع الكيس) انه فاصل متواضع من الألعاب أعرضه
عليكم على (١) أبهجكم سادتى امنحوا خادمكم المطيع القليل مسن
التشجيع .

فالكاتب إذن لم يستدع اليهودى التائه الذى ارتبط اسمه بالعواصف
والودود والمصائب ، وملأ اسمه خيال الأطفال بصورة مريحة كما ترى الأساطير ،
ولكنه استدعى اليهودى التائه اللطيف الودود الذى يكسب ود الحضور ،
ليس ذلك فقط ولكن يضمن سيطرته عليهم ، ويحتفظ لشخصية " اليهودى
التائه " برمه للشعب اليهودى الذى " يشتغل بالتجارة والربا ويقصف
خارج العملية الانتاجية وخارج التاريخ شاهدا مقدسا على التاريخ - من وجهة
نظر اليهود - من هذا من الجميع من وجهة نظر المعادين للسامية " (٢)

يقدم اسحق القديم فاصلا من ألعاب الحواة وبعد أن يستحوذ على
إعجاب الحضور ، وهم عدة مجموعات مختلفة ، يعلن اعتزاله الألعاب الحواة
هذه ، وينتقل به الكاتب خطوة الى الأمام ، يأخذ اسحق فى سرد قصته
مع المسيح منذ ألفى عام حيث دفع المسيح الى الصليب فأصدر السيد
حكمه عليه بأن يبقى متجولا فى الأرض حتى يعود ، أى المسيح .

ولكن اسحق يفند أحلام سرحان فى عودة المسيح ، ويفند أحلامه
فى العدل والنور ، ويكشف له - فى صراحة متناهية - عن القانون السدى
حكم العالم قديما ومازال يحكمه ، انه قانون الغاب ، قانون البقاء
للأقوى ، وتكون خطوة أخرى فى تطور شخصية اسحق :

(١) اليهودى التائه ص ٨٠ (منشورة بمجلة المسيح ع ١٥ أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٢) .

(٢) انظر : Encyclopaedia Britanica, The Wanderin Jew Vol. 13.

(٣) مرسومة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . مادة اليهودى التائه د . عيسد
الوهاب المسيرى .

اسحق : وعلى هذا يأسادة اخترت طريقى ، ودعت أدوات الحاي
والعابه بعد رفقة طويلة ، ودعت أدوات الحاي أقول
وشقوتنى حيث لاحت أخيرا أمامى الفرصة كي أمارس اللعبة
مكشوفة .. اخترت طريقى واضحا فلننظر ياسرحان (يخرج
قلادة تحمل نجمة داود ويعلقها على صدره) اختياري جعل
منى لك خصما .. فطريقى أن أسرق نورك لأضيء ظلمة
أيامى .. أن تمتد يدي الى كل ماله قيمة ومعنى لديك
بذلك أجد خلاصى لدى من لا يعرف خلاصه . ذاك هو
قانون العالم .^(١)

وحين يصل المسيح الذى ينتظره اسحق ، لأمسيح سرحان ، يكون
هذا المسيح هو المسيح الأمريكى الذى يخضع له الجميع ويعملون على التبرك
به . وهكذا يكشف اسحق عن كل مآلديه ويمارس " اللعبة مكشوفة " ويحدد
العلاقة بوضوح بينه وبين سرحان ، وبينه وبين المسيح الأمريكى السفى
سرحان ماتنكر له لأنه " كشف اللعبة " ، فهو يفضل ألعاب الحياة بما فيها
من خداع ويقدم المسيح الأمريكى اسحق الثانى الذى يعد امتداد - ولكن
بتطوير واضح - لاسحق الأول :

(ويقدر ما يبدو واسحق الأول شديد الحيوية له ملامح إنسانية واضحة
يبدو هذا جامدا غير مقنع .. يبدو كممثل ردى وهو هادى همدو
السفاحين وأنيق ويبدو كرجال الأعمال الكبار .. يحمل حقيبة بيد ويبدو
الأخرى سوط)^(٢)

يتخذ اسحق الثانى خطأ مغاييرا للخط الذى اتخذه اسحق الأول وان
كان يؤدي الى نفس النتيجة ، إنه يهتز الضمير العالى باسم المسذاب
والاضطهاد الذى أوقعه العالم باليهود على مر العصور ، لهذا يسرى

(١) اليهودى التائه ص ٩١ .

(٢) المسرحية ص ١٠١ .

اسحق الثانى وسعه مثلو العالم الغربى بأنه لضمان لحماية اليهود وأنهم
وحريتهم سوى قيام إسرائيل . ويحاول اسحق الثانى اقناع سرحان بهذا
الحق اليهودى بكلمات العدل والحرية والنور ، ولكن لاتجدى هذه الطرق
الملتوية فيعود اسحق الثانى لاتخاذ طريق اسحق الأول فى ممارسة
" اللعبة مكشوفة " ، لهذا كان اسحق الأول واسحق الثانى شخصيته
واحدة لكنها تتطور فتتولد منها شخصية أخرى هى امتداد لها ، أو هى
اياها ولكن بوجه جديد ، " فاسحق الأول يمثل الوجه اليهودى بينما يمثل
اسحق الثانى الوجه الصهيونى ، أو الصهيونية العالمية الساعية الى
اكتساب تأييد كل القوى الاستعمارية الرئيسة منذ نشأتها فى أواخر
القرن الماضى من تركيا العثمانية الى المانيا القيصرية الى فرنسا وبريطانيا
العظمى وحدها وأخيرا الى وراثة الاستعمار العالمى كله " .^(١)

وليس أدل على ذلك من التقاء الاسحاقين عند أمور كثيرة فهدفهما
واحد فى النهاية ، وكلاهما يمجّد المسيح الأمريكى ويرتبط به ، وكلاهما
يعادى سرحان ويعادى الحرية والعدل " يلتقى الاسحاقان فى النهاية
عند الكفر بالانسان والقيم ، عند عبادة الاستغلال وتقديم القرايين لسه
من دماء سرحان وقومه وأمثالهما " .^(٢)

أما الطريقة الثانية التى استخرجها الكاتب فى تقديم شخصيات
اليهودية فهى طريقة المسرح التسجيلى ، وهذه الطريقة لاتعنى برسم
الشخصية أو التركيز على فرديتها ناهيك عن تطويرها ، بل تركز على الحقائق
التي تقدمها هذه الشخصية من خلال أقوالها أو أفعالها التاريخية
الموثقة ، لأن هذا اللون المسرحى يهتم بالحقائق والمعلومات والأرقام
أكثر من اهتمامه بالشخصيات ، فالرسم المتقن للشخصية يعنى الاندماج

(١) سامى خشبة . مجلة المسرح " اليهودى التائه بين الأسطورة والتاريخ ص ٧٠

ع ١٥ أكتوبر ١٩٨٢ ٢

(٢) د . عصام بهى . الشخصية الشريرة فى المسرح العربى ص ٢٧٠ .

ممنها ومن ثم التعلق بالشخصية أكثر من الاهتمام بالحقائق ، وهذا ما يرفضه المسرح التسجيلي أو السياسي . وكان بريخت قد بدأ بالفصل بين العمل المسرحي والقارئ أو المشاهد في المسرح الملحي ، وثبتت المذاهب التالية هذه الفكرة سواء التسجيلية أو السياسية أو المسرح الشامل .

ويصل اهتمام الكاتب بالحقائق - دون الشخصيات - الى حد توثيق هذه الحقائق بذكر مصدرها ورقم الصفحة :

هرتزل : كل ما هو غير صالح للبقاء يمكن القضاء عليه . . . وسوف يتم القضاء عليه . . . أو يجب القضاء عليه ، قائل هذا الكلام أنا . راجعوا كتابي " دولة اليهود " ص ٢١١^(١)

وتحت هذه الطريقة التسجيلية يقدم الكاتب عشرات الشخصيات المختلفة ، فمن الشخصيات اليهودية يقدم هرتزل وماكس نوردر وجايميم وايزمان وجابوتنسكي ومن جويرون وليفي اشكول ومناحيم بيجين بل وشنتاي زيفي ، وهذه الشخصيات وغيرها كثير لا تقوم بتطوير الأحداث كما هي العادة في المسرح التقليدي . ولكن وظيفتها تنحصر في تطوير الوعي ، ولا يكون المطلوب في هذه الحالة تطوير الشخصيات المسرحية بل تطوير الوعي المعرفي لدى القارئ والمشاهد حتى يصل الى درجة اتخاذ الموقف الإيجابي مما يقرأ أو يشاهد .

هذه أبرز نماذج تصوير الشخصية اليهودية المتطورة أو تلك التي تحمل خصائص مميزة تميزها عن غيرها من الشخصيات وتعطيها سمات وجودها ونجاحها ، ولعل وجود هذه النماذج الحية والمتطورة والمتسيرة من الشخصيات يدحض مقولة بلاص السابقة من أن الشخصية اليهودية لم

(١) اليهودي الثالث ص ٨٨ .

(٢) انظر د . عبد القادر القط . من فنون الأدب المسرحية ص ٢٦٨ .

توجد في الأدب العربي بعد . ولعل السبب الواضح في نجاح مثل هذه الشخصيات هو بعد الكتاب عن الحماس الزائد الذي سيطر على كتاب " الشخصيات النمطية " ، و دراستهم المتأنية الصبور للمجتمع الاسرائيلي وللشخصية الاسرائيلية ، وقبل كل هذا ومعه نضج الملكة الدرامية لسدي هؤلاء الكتاب ، ومن ثم كان تركيزهم على اظهار الدوافع التي يرى النقاد انها بالنسبة للشخصية الدرامية " بمثابة الوقود بالنسبة للسيارة " ، فهي تعطى الشخصية حيوية وقدرة على الحركة (١) ، وكلما كانت الدوافع قوية ، كلما أمكن للكاتب بناء شخصيات قوية .

ومن أسباب نجاح هذه الشخصيات كذلك ، أن كتاب المسرحيات اعتمدوا في تصويرها على أعمال هذه الشخصيات وسلوكها وليس ما نقله بقية الشخصيات عنها كما يفعل عادة صغار الكتاب .

يقول ريتشاردز : " إن ماضينا في الماضي يحكم ماضينا في المستقبل " (٢) لهذا قام بعض الكتاب بتتبع ماضي شخصياتهم اليهودية وتنشئتهم الاجتماعية والنفسية ، وربط كل هذا بسلوكها الحاضر الذي جاء متشبا مع ماضيها .

والملاحظ أن حرب ١٩٦٧ كانت فصلا واضحا بين التصوير النمطي والتصوير الحي للشخصية اليهودية في المسرح .

(٢) الشخصية المتحولة .

ونعني بها تلك الشخصية التي تنقلب من حال الى حال دون تمهيد أو تدرج مما يبدو معه هذا الانتقال أمرا غير منطقي ، وجاف للواقع

(١) رامز محمد رضا . الدراما بين النظرية والتطبيق .
(٢) مبادئ النقد الأدبي ص ١٥٩ ترجمة د . مصطفى بدوي .

ومجاف كذلك للنزعة الفنية التي تتوخى ربط النتائج بالأسباب .
" فالشخص الامين الشريف لا يمكن ان يتحول فيكون لما ضاريا في ليلة
واحدة ، وليس في الدنيا ^(١) لمن يمكن أن يصبح فجري نفسه أمينا غدا اليده
في مثل هذه المدة من الزمان " . فإذا كانت المسافة بين إحسدى
الشخصيات المسرحية وبين شئ ما على خشبة المسرح عشرة امتار فان هذه
الشخصية لكي تصل الى ذلك الشئ ينهض أن تقطع المسافة في عشر
خطوات ، اما اذا حاولت قطعها في خطوة واحدة فلا بد لها أن تتعثر
ولا تصبح شخصية فنية سوية . وهذا التحول الطارىء على الشخصية
لا يضر بها فقط ، ولكنه يضر بالبناء الفني للمسرحية ككل ، فالصراع
لا ينمو نموا طبيعيا ولكنه يقفز قفزا في هذه الحالة ، ولن يكون الحل النتيجة
المنطقية للصراع ولكنه سيفقد معقوليته ، ومثل هذا النوع من الشخصيات
قد يصلح لما يعرف بمسرحيات " الفارس " وقد يصلح كذلك " للميلودراما "
التي تتسع لمثل هذه التخيلات الحادة في الشخصيات لإحداث الآثار
النفسية الحادة في المشاهدين . أما في الدراما الجادة فإنها شديدة
الضرر بالعملية الفنية ، وقد تحدث من الآثار النفسية بعكس ما يريسد
الكاتب .

لهذا كله لم يكن من المعقول أن ندج مثل هذه الشخصيات تحت
إطار الشخصية المتطورة لأن ما لحقها من تطور لم يكن نابعا من ذاتها
وانما فرضه عليها المؤلف فرضا .

ولقد وجدنا الكثير من هذه الشخصيات المتحولة ، اليهودية ،
خاصة ، في المسرحيات العربية التي تناولت الشخصية اليهودية ، ففسي
مسرحية " شيلوك الجديد " نجد شخصية ابراهيم الذي كان صهيونيا
متحمسا ثم انقلب على الصهيونية دفعة واحدة دون تمهيد أو تدج :

(١) لايس ايجرى . فن كتابة المسرحية ص ٢٢٠ .

ابراهيم : لقد كنت في شبابه مخدوعا بهرج الصهيونية ، وكان لها
في اسماعنا زنون وفي قلوبنا اليها حنون ولكن ما لبثت
ان تبينت خطرها على بني جنسنا بحيث انني لو لم
أتحقق ان مصدرها هم اليهود أنفسهم لقطعت بأنهم
أكبر مؤامرة سياسية دبست للقضاء على الشعب اليهودي
بأسره .^(١)

هذه الكلمة التي يقولها ابراهيم عن نفسه لاتصلح من الناحية
الدرامية لاقناعنا بهذا التحول الخطير الذي طرأ على شخصيته ، وليست
العبرة بما تقوله الشخصيات من نفسها ، ولكن العبرة بما تفعله هذه
الشخصيات . وكان على الكاتب ان يتدرج في انتقال هذه الشخصية
من الحماس للصهيونية الى معاداة الصهيونية ، لا أن ينقل هذا التحول
الكبير في ثلاثة أسطر .

وليس أدل على تسطيح هذه الشخصية الصهيونية سابقا والمعادية
للصهيونية حاليا من أن الكاتب يجعل ابراهيم يقف وسط المحكمة الدولية
التي عقدت للنظر في قضية فلسطين ، ويهتف :

ابراهيم : ليحيا العرب ليحيا العرب ! ليحيا العرب .^(٢)

إن الكاتب لم يكف بتحويل ابراهيم من الحماس للصهيونية الى
معاداتها ، بل هو قد جعله عربيا أكثر من العرب أنفسهم .

وعلى الجانب العربي يقدم بأكثر شخصية متحولة أخرى ، وإن كانت
عربية هذه المرة ، إنها شخصية عبد الله الفياض الذي قدمه الكاتب غسرا
ساذجا تتخذه الصهيونية مطية لتحقيق أهدافها ، وإذا بنا نراه فجأة قد
أصبح من الثوار وخرج الى الجبل لمحاربة الصهاينة دون سابق انذار
أو تهديد .

(١) شيلوك الجديد ص ١٧٧ .

(٢) شيلوك الجديد ص ٢٢٢ .

في مسرحية باكتير التالية " شعب الله المختار " نجد ثلاثة من الشخصيات المتحولة ، وقبل أن نغوص في رصد هذه الشخصيات وما أصابها من تحول ، هناك ملاحظة جوهرية يجب تسجيلها وهي أن جميع الشخصيات تتحول من الصهيونية الى معاداة الصهيونية ، وهذا الأمر لا يقتصر على مسرحيات باكتير فقط ، ولكنه يشمل أيضا المسرحيات التي سنعرض لها لكل من الحداية ورشاد رشدي وعبد الرحمن الشراوي .

أما شخصيات " شعب الله المختار " المتحولة فان أبرزها هي شخصية سيمون اليهودي المصري الذي آمن بالصهيونية ودفعه إيمانه هذا الى الهجرة الى إسرائيل ، بل إنه انخرط في شبكة جاسوسية ضد بلده الأصلي مصر لمصلحة إسرائيل ، ولكنه يندم على " خطئه " هذا في حق بلده الأصلي مصر ، ولكي يكفر عن خطيئته لا يتخلى عن الصهيونية او يهاجر من إسرائيل ، ولكنه يشترك في حركة للقضاء على إسرائيل ، هكذا مرة واحدة ، ويتحول ولاؤه الكامل الى مصر ، وهو يدعو المليونير اليهودي الأمريكي ليفي الى نقل مشروعه الى مصر :

- سيمون : ليس في الدنيا بلد اكرم في معاملة الأجانب من مصر .
ليفى : لا تنسى انى يهودى .
سيمون : المصريون لا يعادون اليهود وانما يعادون الصهيونية ودولة إسرائيل .
ليفى : الشائع عندنا في الولايات المتحدة انهم يضطهدون اليهود .
سيمون : هذا من اكاذيب الصهيونيين .

وتنجح الثورة التي يشترك فيها سيمون وتخلع حكومة " بن جوريون " ويقوم سيمون بتولية ليفى رئيسا جديدا للحكومة التي تكون مهمتها تصفية دولة إسرائيل . . . ولان القارىء سيتساءل عن السبب الذى يمنع سيمون من مغادرة إسرائيل بعد أن كفر بالصهيونية - دون سبب ظاهر - يجيب

الكاتب على ذلك بأن حب سيمون لراشيل هو الذى يمنعه من مغادرة إسرائيل ، وإذا كانت هذه المشكلة ، وهى تعدد الولاء ، مشكلة الآلاف من اليهود ، فهل لكل منهم راشيل تمنعه من مغادرة إسرائيل ؟

والشبه بين سيمون وإبراهيم فى " شيلوك الجديد " كبير ، فكلاهما بدأ صهيونيا متحمسا ثم انتهى محاربا للصهيونية ، وإن استطاع سيمون القضاء عليها ، كلاهما صار متحمسا للعرب أكثر من العرب أنفسهم ، كلاهما صار يحمل آراء الكاتب وليس آراء الشخصية المسرحية التى يقوم بها .

والشخصية المتحولة الثانية فى المسرحية هى شخصية ليفى اليهودى الذى جاء الى إسرائيل ليستثمر أمواله فيها وكان مؤمنا بالصهيونية ، ولو أن الكاتب لم يحاول توضيح هذه الشخصية ، وهى أكثر الشخصيات صمتا طوال المسرحية ، ولكن المشروع الذى وظف فيه أمواله وأموال شريكه الأمريكى يخسر الكثير ، وتقوم الحكومة بتسجيل بقية أموالهما باسم ليفى لأنه يهودى وتستطيع منعه من الخروج بعكس شريكه الأمريكى أندرسن الذى يستطيع الخروج بهذا المال وقتما شاء :

ليفى : يوسفى يا أندرسن اننى كنت السبب فى جرك معى الى هذه الهامة ..

أندرسن : ماذنك أنت لقد كنت مخدوعا مثل مثل الملايين من الشعب الأمريكى .

ويقصر أندرسن العودة الى أمريكا ليفضح الصهيونية هناك :

أندرسن : واكشف للشعب الأمريكى مدى الضرر الواقع على الولايات المتحدة

من جراء انصياعها لنزوات اليهودية العالمية .

ليفى : هذا مايقوم به ألفريد ليلنتال وجماعه .

(١) ألفريد ليلنتال أحد رؤساء " المجلس الأمريكى لليهودية " الذى ظهر عام ١٩٤٣ لمناهضة الصهيونية فى أمريكا وقد عرف ليلنتال بمواقفه المعادية للصهيونية المؤيدة للقضية العربية . انظر : المجلس الأمريكى لليهودية د . أسعد مرزوق ، وموسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية ص ٣٥٦ .

أندرسن : سأنضم اليهم وأعزز حملتهم بكل ما أملك ولو انفقت جميع مالي .
ليفى : وأنا معك يا أندرسن . اعتبرنى شريك فى كل ماتنفق فى هذا
السبيل وسأكافئ هنا مع المكافحين لتحطيم هذه القلمسة
الصهيونية^(١) .

وهكذا يخلع ليفى رداء الصهيونية وضع بدلا منه رداء محاربة الصهيونية
وإن كان الكاتب لا يكشف لنا شيئا من حربه للصهيونية ولكنه يخبرنا على لسان
سيمون أنه قد أصبح فجأة ، وفعل فاعل ، رئيسا للجماعة الساعية للثورة .
والعرة الوحيدة التى يشترك فيها ليفى فى عمل شئ مضاد للصهيونية ، وهو
مجرد نقاش ، تكون قرب نهاية المسرحية حيث يقول للكوهينات الأربعسة ،
مثلى الفكر الصهيونى :

ليفى : " محتدا " يجب أن نحرر اليهود من دولتكم هذه ومن
لعنة الصهيونية^(٢) .

وعندها يصل سيمون ليعلن نجاح الثورة وأن ليفى هو رئيس الحكومة
الجديدة !

هذا التحول المفاجئ فى شخصية ليفى ، الذى وصل حد الانقلاب
ليس له ما يبرره سوى الخسارة المادية التى منى بها هو وشريكه ، والسؤال
الآن : ماذا لو حقق مشروع ليفى وأندرسن الأرباح المادية المأمولة ؟
ماذا يبقى لليفى كي يتحول الى معاد للصهيونية ؟ وهل تكفى الخسارة
المادية مبررا للتحول عن المبدأ والمقيدة ؟

والشخصية الثالثة التى أصابها التحول فى المسرحية هى شخصية
عزرا اليهودى اليمنى ، وهى شخصية حائرة محيرة ، فعزرا صهيونى متعصب ،

(١) شعب الله المختار ص ١٠٢ .

(٢) المسرحية ص ١١٤ .

ولكنها صهيونية من نوع جديد يمكن أن نطلق عليها اسم " صهيونية سفارديّة " (١) ، فهو يؤمن بالاختيار الإلهي لليهود ، ولكن ليس كسل اليهود إنهم اليهود الشرقيون فقط ، وهو يؤمن بالنبوة الماشيكانية في مجد إسرائيل ، يرى الكهينات الأربعة أن إسرائيل لو تركها اليهود الغربيون للشرقيين فإنها ستصبح أشد دول الأرض انحطاطا :

عزرا : " محتدا " بل أنتم سبب الانحطاط يا اشكنازيم ، مادمتم في إسرائيل فلن يتم لها مجدها الموعود . . لأنكم لستم من شعب الله المختار . . أنتم دخلاء من نطف الصقالبية (٢) والسلاف واللاتين والجرمان ومن شتم من الأمم .

بعد هذا الحديث المتوتر يختفي عزرا من المسرحية حتى الفصل الرابع حيث نراه فجأة هائضا بالثورة التي علمت على تصفية دولة إسرائيل ، وهذا الموقف من الثورة لم يكن تحولا بقدر ما هو تناقض في الشخصية ، فهو لم يكفر بالصهيونية ، وإن كان قد رآها صهيونية شرقية ، وهو لم يكفر بدولة إسرائيل وإنما كفر بالوجود الاشكنازي فيها ، فما الذي حدث حسرتي ينادى بالثورة على الدولة وعلى الصهيونية معا ؟

هذا على مستوى الشخصيات الفردية ، ولكننا نكتشف عند نهائية المسرحية أن هذا التحول قد أصاب الشعب الإسرائيلي كله الذي خرج في ثورة عارمة ضد الحكومة التي لم يعد أحد غيرها يؤمن بالصهيونية أو بدولة إسرائيل !

(١) هناك صهيونية من نوع ثالث يمكن تسميتها " بالصهيونية السوداء " ينادى بها اليهود السود في الأمريكتين وأفريقيا ويرون أنهم هم شعب الله المختار وأن فلسطين حق لهم لا لليهود البيض الدخلاء على اليهودية . انظر : عبد الحفيظ محارب : العبرانيون المسود ص ٧٠ - ٧٤ ش . ن . ع ١٣ ، ١٩٧٢ .

(٢) شعب الله المختار ص ١٩ .

في مسرحية حدث في رفح لانجد سري شخصية متحولة واحدة ،
وهي شخصية الضابط الاسرائيلي هليل الذي يمارس القتل والتكيد بالعرب
عامة وأفراد المقاومة بشكل خاص ، وعندما يلقي القبض على مجموعة من أفراد
المقاومة المصريين والفلسطينيين تكون المفاجأة الميلودرامية ؛ تكشف
سيدة مصرية من أفراد المقاومة عن أن هذا الضابط الذي جاء لقتلهم
هو ابنها سامي ، وتسرود قصة زواجها من أبيه الذي هجرها بعد إفلاس
والدها وهاد إلى اليهودية ثانية ، وهجر مصر مصطحبا معه ابنها سامي ،
ويردد الابن مآواه له أبوه من أن أمه هي التي هجرته من أجل عشيقها
الأول فتكذب هذا الادعاء الذي قصد به تشويه صورتها في مخيلة ابنها
وهنا يحدث التحول في شخصية هليل الذي جاء لقتل أفراد المجموعة ، فهو
يمنع زملاءه من قتلهم . بل إنه يدخل مع زملائه في معركة دفاعا عن أمه
وصحبها ، وتلقى جميع الشخصيات اليهودية مصرعها في هذه المعركة (١) .

وكما هي العادة في المسرحيات الميلودرامية ، فقد رافق هذا التحول
في شخصية هليل الكثير من الدموع والآهات والعواطف الجياشة التي يزيد
من تأثيرها أنها تحل محل عواطف الكراهية والحقد والرغبة في القتل .

كما نجد شخصية متحولة واحدة في مسرحية " الزهر لاثذبل أبدا " .
وهي شخصية حاييم الضابط الاسرائيلي الذي اشترك في غزو إحدى القرى
العربية ، ويمارس - مع زملائه - كل الطرق الوحشية لإجبار سكان هذه
القرية على الخضوع للحكم الاسرائيلي ، ولكنهم يفشلون ويظل سكان القرية
يقاومونهم بكل السبل ، ويقتلون قوات الغزو فردا بعد الآخر ، ويضعون
السم في أكلهم ، فيأكل حاييم من هذا الأكل وعندما يشعر بالسم يحرق
أحشاءه يبدأ في التحول ، أو لنقل يأخذ في الاعتراف ، ويختلط هذا
الاعتراف أو التحول بمسكرات الموت وشاعر الندم :

لنفس : أيها الأخق . أنت لاتدرك ما تفعل .

(١) حدث في رفح ص ١٥٠-١٥١ .

حايسيم : وأنت ؟ هل تدرك أنت وإيمان وهذا الجندي • تكلم مثلسى ،
(١)
كلنا قتلة • كلنا خونة •

وبخلاف هذا التحول المحدود والسريع الذى يطرأ على شخصية حايسيم عند نهاية المسرحية والذى لم يمهّد له الكاتب بشئ • لا نجد أى تطوّر أو تغيير فى المسرحية • فهى تسير على وتيرة واحدة من البداية حتى النهاية • نمطية كاملة فى الشخصيات اليهودية والعربية معا • فجا • هذا التحول المحدود كأنه حصاة صغيرة أقيست فى بركة ماء • ساكنة • فتتحرك سطحها للملاحظات ثم عادت لسكونها الرهيب •

تتفرد مسرحية " وطنى عكا " للشرقاوى بأكثر عدد من الشخصيات اليهودية المتحولة • وهو التحول ذاته من الحماس للصهيونية الى صفا معاداة الصهيونية والإيمان الكامل بحق العرب فى فلسطين • ولكنهما تتفرد أيضا بإبراز نتائج هذا التحول التى تهدو أكثر معقولة من نتائج التحول فى المسرحيات السابقة • فإن شخصين من هذه الشخصيات المتحولة • وهما مارسيل ومارجو يتوجان هذا التحول بالهجرة من إسرائيل الى بلدهما الأصلى فرنسا • وهرب جندي متحول الى الأردن • وهلاقى سعد هرون المتحول الإعدام عقابا على هذا التحول بينما تظل بقيسمة الشخصيات المتحولة تعاني من الآثار النفسية للتناقض الذى تعيشه ولم نجد أيا من هذه الشخصيات المتحولة يكون تنظيميا لإسقاط إسرائيل وحل الصهيونية كما كان الحال عند باكتير •

والشخصية الأولى التى حملت هذا التحول كانت شخصية مارسيل اليهودى الفرنسى الأصل الذى يعمل كاتباً بل وداعية للفكر الصهيونى أى أنسسه ليس مجرد مؤمن بالصهيونية بل هو أحد دعايتها • ويظل الحال كذلك حتى يقتل جنديا مصرىا فلاحا فى سيناء • عندها تنقلب لديه المعايير ويكفر بكل ماكان يؤمن به من فكر صهيونى • ويؤمن ببطلان القومية اليهودية :

(١) الزهور لاتذبل أبدا ص ٤٧ •

مارسيل : اننى قد خنت فى سيناء مايملاً بالعزة نفسى
اننى أهدرت فى سيناء أمسى .
أنا ذا أصبحت فى عالمنا هذا غربياً دنس الأرض الغربية
أنا ذا تغطر أقدامى دماء فوق أرض الآخرين
أنا ذا من قاوم النازية السوداء فى باريس قد أصبحت غولاً^(١)
كم من الأطفال والزوجات فى مصر يهيلون على اللعنات .

ونحن نلاحظ أن هذا التحول ليس عقلانياً ، بل إن الكاتب لا يذكر
سبباً منطقياً واحداً يجعل مارسيل يكره بالصهيونية والقومية اليهودية ،
أما السبب الذى يسوقه الكاتب فيعود لعوامل سيكولوجية تتمثل فى النسدم
الذى يطارد مارسيل لقله ذلك الفلاح المصرى ، ويدرك مارسيل فجأة
أنه فرنسياً وليس إسرائيلياً :

مارسيل : إنا فرنسيون يا مارجوسيلسنا التعصب للجنون
أنا قبورها هنا ؟ أنا أقارب
أنا أصولها هنا ؟
أنا هنا ذكرى من الآباء والجندات ، شىء ما عزيز ؟
بل كل أهلك فى فرنسا
وقبور آبائى وأجدادى وأشياى جميعاً فى فرنسا^(٢) .

ولا يكتفى مارسيل بموقفه هذا من كفر بإسرائيل بل إنه ينتقد أمام
الجميع ، أساليب الجيش والحكومة الإسرائيلية والصهيونية التى كان يدعو
لها ، ينتقد قتل المدنيين العرب :

مارسيل : أى ثأر بيننا الآن وبين المدنيين هناك ؟
إنما نمضى لكى نقتل آلاف العجائز .
(لرورتو) هو يدعونا لكى نقتل أطفالاً مثل طفلى وصغارك

(١) وطنى عكا ص ١٠٤ .

(٢) المسرحية ص ١٠٧ .

قل لنا ماذا نرجى بعد من قصف بيوت الأمنيين
(١) وإذا هم عاملونا بالذى نعمل فيهم ؟ إذا هم ذهبوا أطفالنا ؟

ولا يوضح لنا الكاتب ، ولا مارسيل ، كيف حول قتل الجندي المصري
الفلاح الفكرة الصهيونية البراقة الى مشروع اقتصادى انتهازى ولكننا
نسمع مارسيل يروى هذه الحقيقة :

مارسيل : اليهودى هنا يعنى الدخيل المغتصب
فلماذا ينهى أن نحمل اللعنة فى كل زمن
الذى يتختم أصحاب بيوت المال ؟ كى يرضى ملوك الجيش .
لكن ما الثمن ؟
إننا نحن الثمن
إننا نحن جماهير اليهود
فعلى أنقاضنا يبنون مجدا عسكريا
(٢) وبأشلاء ضحاياهم يصوغون قناطير الذهب .

ويعضى الكاتب مع مارسيل فى محاولة إقناع الآخرين ببطلان هذه
الدولة ، فهى تقوم كما يقول مارسيل - على يهود جاءوا من أوطان مختلفة
لهم أكثر من سبعين جنسية ولغة ، ولا يجمعهم سوى الدين :

مارسيل : أى شىء بعد هذا مشترك
أى تاريخ لنا مشترك أى لغة ؟

وبناءً على هذا الإدراك الجديد ببطلان الدولة والقومية اليهودية
يدعو مارسيل زملاءه الى العودة الى أوطانهم الأصلية :

مارسيل : هذه الأرض التى نحتلها ليست لنا
وهى لن تغدو يوما ملكنا
(٣) إننا ندرك هذا فلماذا لم نعد .

(١) المسرحية ص ١١٦ .
(٢) وطنى عكا ص ١٢٦ .
(٣) المسرحية ص ١٢٩ .

ويتج مارسيل " تحوله " هذا بهجرته الى وطنه الأصلي فرنسا
ويستقر هناك ، ولكن أفكاره تظل ماثلة حتى بعد رحيله ، ونجد هذا
التحول ينتقل بالعدوى من مارسيل الى الشخصيات الأخرى ، فهذه زوجته
مارجو المتحمسة للصهيونية تلقن طفلها الدرس الأول في الصهيونية
وذلك قبل أن تنتقل اليها عدوى التحول :

مارجو : من شاطئ النيل حتى الفرات ستعبد دولتنا المقبلة
على جيلكم عبث تحقيق هذا
(١)
تذكر من النيل حتى الفرات .

ولكن مارجو تتحول أيضا الى الكفر بالصهيونية وبإسرائيل ، وسيرة
أخرى لانجد هذا التحول يتم عن اقتناع علقى ، وإنما يحدث ذلك لمارجو
بتأثير من زوجها وهو تأثير عاطفى ، وآية ذلك أن لاصهيونيتها قسدا
برزت بوضوح عندما سخر الصهيونيون من زوجها مارسيل ، فكانت هذه
اللاصهيونية مجرد رد فعل عاطفى مما دفعها الى تبني آراء زوجها كنوع
من الدفاع عنه :

مارجو : ما الذى غنمه أطفالنا اليوم سوى هذا العدا
ماشقائى كله إلا لأنى أنا أم
(٢)
وغدا يكبر طفلى وسط ليل مدلبهم .

تصر مارجو بالأطوار ذاتها التى مر بها زوجها من قبل ، من كفر
بالصهيونية ثم انتقاد لإسرائيل ثم الهجرة منها الى الوطن الأصلى
فرنسا (حتى لو متنا جوعا) حيث تلحق بزوجها هناك لتؤكد من جديد
أن تحولها لم يكن ذاتيا وإنما كان بتأثير عاطفى من الزوج .
وتنتقل عدوى التحول من مارسيل الى شخصية أخرى وهى شخصية

(١) وطنى عكا ص ١٠١ .

(٢) المسرحية ص ١٢٢ .

سعد هرون التي يدفع بها الكاتب عند نهاية المسرحية ، ويكون كلام مارسيل عن بطلان القومية اليهودية حافزا لسعد هرون لظهار ثورته هو أيضا على هذه القومية الزائفة ، فهو يهودى فلسطينى ويرى أن الآخرين غرباء ومعرف نفسه بقوله " عربى دون رب " ويقول عن يهود فلسطين :

سعد : إنا من هذه الأرض ولم نشعر هنا من قبل أن تأتوا لنا بالعنصرية

الديانات جميعا قد تعايشن هنا
(١) فلماذا ينهى أن تصبح القدس لنا .

وثورة سعد هرون حزينة ضعيفة لأنه ضعيف فهو شرقى لذا لا يملك القوة التي يملكها مارسيل الغربى ، وتكسب هذه الثورة طابعا دينيا :

سعد : " كأنه يصل " نحن بالفخر استترنا
هكذا قد سكر الكاهن فينا والنبي

وعندما يشبه اليهود الغربيون أنفسهم بأنبياء الله الذين بعثوا إلى الشعب اليهودى لإنقاذه يقول مستمرا فى ثورته :

سعد : انبياء اليوم كذابون ختالون أولاد أفاع وعقارب
جعلوا من كل أقداسك يارب خرابا ليعيشوا فى الخراب
(٢) أى مجد لك يارب وقد صار النبيون هنا مثل الثعالب .

ويصل تحول سعد هرون ذرته عندما يتعاطف مع الفدائيين الفلسطينيين ، فقد هاجم أحد الفدائيين قوة الإمداد الإسرائيلية ، ووضع لغما تحت أول سيارة فأنفجرت وأغلقت الطريق أمام باقى السيارات التي انهال عليها الفدائي بمهفعة الرشاش حتى سقط شهيدا :

(١) وطنى عكسا ص ١٣١ .

(٢) المسرحية ص ١٦٣ .

سعد : يا للبطل ! احنوا هاماتكم تمجيذا لبطولته ياسادة
لقد خدعنا الصهيونية
ورثت بطش الآرية ثم اصطنعتنا

ويتنقل سعد - في حرية غريبة - للحديث عن عزلة إسرائيل
السياسية ، وعن الدول القليلة التي لازالت تقف معها :

سعد : شرفاء العالم أين هم
ماعادوا معنا منذ اليوم
هم في صف ضحايانا
انظر من معنا في العالم
(١)
ليس سوى العدوانيين .

ولكى ينفي الكاتب أية مظنة لدى القارئ أو المشاهد بأن إسرائيل
بلد ديمقراطية يسمح فيها بكل هذا الكلام ، فإنه يجعل قيادة الجيسش
تحاكم سعد هرون ويكون الموت نصيبه على هذا التحول ، ويعلق شمعون
بلاص على هذه الشخصية بقوله (إنه ولد ليكون فلسطينيا) ذلك أن الكاتب
جعله يتحمس للفلسطينيين أكثر من العرب أنفسهم .

سلامسكي هو الشخصية الثالثة التي انتقلت اليها عدوى التحول من
مارسيل ، فعندما يتحدث الأخير عن عدم وجود مايربط بين اليهود سوى
الدين ، وهذا وحده لا يكفي لإنشاء دولة ، يعلق سلامسكي :

سلامسكي : " حائرا " لاتواجهنا بما لاحل له ..

ثم يقول لزميله روبرتو دون أن يسمح أحد :

(٢)
سلامسكي : " كالهامس " مع هذا إن فيما قاله بعض صواب يا روبرتو .

(١) وطني عكا ص ١٨٣ .
Shimon Ballas, The Jewish Quarterly, P. 17.

(٢)

(٣) وطني عكا ص ١٣٠ .

وهذا تمهيد حسن من الكاتب لهذا التطور في هذه الشخصية ، ولكن الكاتب لا يستمر في هذا التدرج في تطوير الشخصية ، هذا التدرج السدى يجعل من أفكار الشخصية أمرا معقولا ومقبولا ، ولكنه يفاجأنا بتحسول سلامسكى الكامل :

سلامسكى : أنا ضقت بهذا الأمر جميعا لو تعرف
ماذا نفعل فوق تراب يتفجر تحت الأقدام

(١) يعقوب : أأثر مارسيل المجنون عليك إذن ؟؟

وكلام يعقوب يعنى فيه بانتقال التأثير من مارسيل الى الشخصيات الأخرى ، وتأثير شخصية في أخرى ليس عيبا في ذاته ، على أن يستمر ذلك عبر تطور في الاقتناع يصاحبه تطور في السلوك ، أما أن تنتقل شخصية من موقف الى الموقف المناقض له في لحظة واحدة ، فان هذا هو التحول المعيب . ويستعرض الكاتب جانبها من حياة سلامسكى في أمريكا ، وكان من الممكن لهذا الجانب أن يكون تمهيدا مناسباً لعملية التغيير في موقفه لو أن هذا التغيير تم على دفعات ، فقد فصل من عمله في بوسطن لأنه كان نصيرا للعمال ورفض الخدمة في فيتنام وسجن ولم يجد فرصة للعيش ، وطورد في أمريكا لأنه ليس بصاحب رأسمال ، فشارت عاطفته الدينية ، وساعد على ثورتها دهاية صهيونية منظمة وملحة :

سلامسكى : هذا الإلحاح القاهر

في الشارع . في المقهى - في البيت

الحاج لا مهرب منه

أرض الميعاد تنادىكم يا شعب الله المختار

وانتهت هنا بحثا عن عمل لكنى أيضا جندت

هذا عار العالم حقا

أن يتمطل إنسان .. إنسان ما يملك معدة

أن تصبح يوما فإذا أنت بلا عمل تأكل منه أو تطعم أطفالك

(١) وإذا بك مضطر أن تعمل سفاحا محترقا .

وتكون مكافأة الكاتب سلامسكى أن يجعل أفراد المقاومة الفلسطينية يرفضون إطلاق النار عليه لأنه " صوت للحرية " بينما تعاقبه قيادة الجيش على هذا الموقف . ويزيد من عدم منطقية تحول سلامسكى أن الكاتب قدمه - في بداية المسرحية - على أنه يمارس الحب مع المجندات في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة كما أن سلامسكى يردد الأفكار الصهيونية قبل تحولها بلحظات فقط ، يقول " نحن نورها هنا في ظلمة الشرق مضى " وهذا ينفي أى اعتماد لدى القاري أو المشاهد لتقبل تحول هذه الشخصية .

ونلاحظ أن الطريقة التي تتحول بها جميع الشخصيات واحدة ، والأطوار التي تمر بها بعد تحولها متشابهة ، فهذا سلامسكى يظهر إعجابه بالفدائيين الفلسطينيين ، ويصمم على تلقيهم بالفدائيين بينما يدعو قائده الى تلقيهم بالمخربين ، يعلن عندها :

(٢) سلامسكى : أنا لو كنت منهم لانضمت طائعا لفرق المقاومة .

في مقابل ذلك نراه مكرها على التجنيد في الجيش الإسرائيلي . وكما فعل مارسيل ومارجو وسعد هرون يقوم سلامسكى بانتقاد القيادة والدولة والمؤسسة العسكرية التي يرى فيها " سبب المحنة " وتصل ثورته الى ذروتها فيوجه للكاتب الأجنبي الذي يزور إسرائيل قائلاً " قل للعالم عنى . . . إنى أحد ضحاياهم " وذكر له كيف خدعته الصهيونية حتى إذا حضر الى إسرائيل مع غيره من المخدوعين :

سلامسكى : وإذا الصهيونية تملؤنا بعداء أعنى للعرب أنقلت الكاهل بالمدفع

(١) وطنى عكسا ص ١٣٢ .

(٢) المسرحية ص ١٢٢ .

(٣) وطنى عكسا ص ١١٤ .

وماذا أصبحنا بعد ؟؟ عصابات إرهابية
غدونا أشباحا سوداء تحركها أيد قذرة^(١)
لتخيف بنا الأطفال المذنب والنسوة

ويتنظر قاداته حتى ينتهي من كلمته الطويلة في تنفيذ الصهيونية
ثم يقتادونه للمحاكمة .

تحصن د . لطيفة الزيات من الشخصيات المتحولة : مارسيل وسعيد
هرون وسلامسكي لتجد أن نسبتهم إلى مجموع اليهود في المسرحية هسي
ثلاثة إلى خمسة ، وهي تغفل شخصية مارجو والجندى الفار من المعركة ،
وتضيف : " إن تصور قيام مثل هذه التناقضات وعلى هذه الصورة من الاتساع
تصور مثالي مفصول عن الواقع " .^(٢)

والشخصية الأخيرة المتحولة من الشخصيات اليهودية شخصية غير
متعينة ولم يظهرها الكاتب على خشبة المسرح ، ولكن تتحدث عنها
الشخصيات الأخرى ، والذات صحفية غربية تدعى ايمى التى تصف
تسللها مع مجموعة من الفدائيين إلى الأردن :

ايمى : وكان بصحبتنا رجل من حملة ميناء
جندى إسرائيلي سئم الحرب ففسر
أعطاه أبو حمدان عباءته وعقلا عريسا^(٣)
ثم دخلنا في الأردن .

مرة أخرى لا يحدث التحول عن الفكر الصهيونى نتيجة اقتناع
عقلى وإنما لعامل آخر كان هذه المرة السأم ، وإن كان هذا السأم لا يقى
تبريرا للكفر بالصهيونية والهروب من الجيش إلى دولة عربية ، كانت
معادية في حينه ، هي الأردن .

(١) المسرحية ص ١٨٣ .

(٢) مجلة المسرح " خيطان لا يلتقيان " ص ١٠ ع ٦٩ يناير ١٩٧٠ .

(٣) وطنى عكا ص ١١٢ .

تكمل الصحيفة الغربية حديثها فتصور المجزرة التي حدثت في
الأردن نتيجة القصف الإسرائيلي " الوحشي " حيث يموت الكثيرون ومعهم
الجندي الإسرائيلي الهارب من الحرب الذي يقول عند موته :

فليحيى الانسان

صديقا للانسان بحق "

ايض : وأمسك شيخ عربي طارت ساقاه

بذراع الإسرائيلي

ومات الرجلان معا

شوى اللحم البشرى المتعزق في نار " النابالم " (١) .

وهذا يعنى أن فرار الجندي كان فرارا فكريا قبل أن يكون جغرافيا
فهو يهرب من الصهيونية الى الإنسانية ، من الوحشية والبربرية الى الادمية
قبل أن يهرب من إسرائيل الى الأردن ، ولعل تغيير ملابسه العسكرية
بملابس عربية لايعنى مجرد التنكر قدر مايعنى انتقالا في تأييده للحق
العربي .

ونلاحظ أن الكاتب قد حشد من الشخصيات المتحولة أكثر مما
تحتل مسرحية واحدة ، وكان ذلك موضع ضعف فني وفكري في المسرحية.
يعلق فاروق عبد القادر على كل هذه التحولات بقوله : " ماذا كان
يعنى عبد الرحمن الشقراوى بهذا كله ؟ أحد احتمالين : إما أنه لايفهم
طبيعة العلاقة بين المؤسسة العسكرية ودولة إسرائيل على وجهها الصحيح ،
وأما أنه يتجاهل هذه العلاقة من أجل تخدير الحس الوطني وإرضائه
ولو على حساب تمييع القضية كلها " .

ونجد مزيدا من الشخصيات المتحولة ولكنها ليست يهودية بل
غربية ، شخصية كاتب وصحفية زارا إسرائيل وانهررا بالتقدم والحضارة فيها

(١) وطنى عكا ص ١١٢ +

(٢) ازدهار وسقوط المسرح المصرى ص ١٩٨ .

وأعطوها تأييدهما الكامل ، ثم زارا الجانب العربي وحاولا إقناع العرب
بضرورة الاستفادة من إسرائيل بدل محاربتها ، يتحدث الكاتب في الجانب
العربي عن زيارته لإسرائيل :

الكاتب : مارينا بعد سفاحين فيها .. مارينا غير صناع التقدم ..
ايمى : (الصحفية) إنهم يرجون أن يحيا جميعا في اخاء ووشام
وسعادة ثم ها أنتم أولاء اليوم قد هددتموهم بالإبادة .
اقهروهم إن تكونوا مثلما قلتم لنا أصحاب حق مختصص
إنكم ضعفهم خمسين مرة .

الكاتب : فإذا لم تستطيعوا فلتعيشوا في سلام معهم ولتستفيدوا
إنهم أرقى كثيرا منكم ، . أم لماذا قهروكم ، إنهم بالتكنولوجيا
سبقوكم .

هذا هو موقف الكاتب والصحفية الغربيين من إسرائيل والعرب ،
ولكن هذا الموقف يتحول فجأة الى مساندة القضية الفلسطينية بحماس ،
والإيمان ببطلان إسرائيل ، مرة أخرى لا يكون هذا التحول ناتجا عن
اقتناع فكري ، وإنما نتيجة عوامل أخرى ، حيث تقع الصحفية ايمى في غرام
" مقبل " أحد القذائيين الفلسطينيين ، ومفضل هذا الغرام تحولت
الى مساندة العرب ، وهذه الطريقة كما هو واضح طريقة غير عقلية ، ومنطق
المؤلف فإن علينا أن نفتن كل نساء العالم حبا حتى يتحول العالم الى
مناصرتنا !!

ومعد ان " تتحول " ايمى - تماما - الى الجانب العربي في الصراع
تشاهد مناظر نصف بيوت الأمنيين وتعذيب الرجال والنساء والأطفال ،
وتستنكر هذه المناظر بشدة ، وكان آخرى بالمؤلف أن يجعل هذه المشاهد
قبل " تحولها " لتكون حينئذ مبررا لهذا التحول ولكنه فعل العكس .

وإذا كانت الشخصيات السابقة تتحول بتأثير الآخرين ، فإن شخصية الكاتب الغربي تتحول دون سبب ظاهر ، يقول له الضابط مذكرا بفضل الصهيونية عليه :

يعقوب : أنا نعرفك صديقا يخدم إسرائيل
صرت بهذا أشهر كتاب العالم ..

يكون مشهد نصف بيوت القرية وتعذيب المدنيين هو الفصل نفسه
علاقة مارجو وايي والكاتب بدولة إسرائيل :

مارجو : أحقا أنك تنهى نصف بيوت القرية ؟
يعقوب : هذا أمر ياسيدتي ..
مارجو : وإلى أين تسوق الناس ؟ إلى التعذيب ؟ ..
اييى : أتسوق الأطفال جميعا ونساءهم وعجائزهم للتعذيب ؟
يعقوب : هذا من مقتضيات الأمن .
اييى : أتبيد وتقتل باسم الأمن .. فالنازية ماضت إلا هذا
باسم الأمن ..
الكاتب : أنا لم أخدع قرائى من قبل (١)
مأصلح أخطائى نورا ..

وهذا التعبير أو التنبيه يتحول العالم إلى جانب العرب في صراعهم مع إسرائيل ، تفسر حاله ، بغض النظر عن عدم تبريره فنيا ، إذ أن الوقوف مع أو ضد طرف من الأطراف يتحدد في هذا العصر بالمصالح المشتركة وليس بالاعتناع بالحق أو بالباطل . فالولايات المتحدة التي تقيم الدنيا ولا تقعد لها عند اضطهاد شخص واحد في دول العالم الاشتراكي وتذهب بنفسها خسرات على حقوق الإنسان التي أهدرت لاضطهاد هذا الشخص لا تحرك ساكنا عندما تضطهد إسرائيل وتقتل وتسجن آلاف الفلسطينيين ، بل إنها تدعو إسرائيل إلى استخدام مزيد من العنف لإخماد انتفاضة الشعب الفلسطيني .

من الواضح أن الشرقاوي قد استقى شخصيتي الكاتب وايمس من سارتر وسيمون دي بوفوار اللذين زارا إسرائيل وقطاع غزة ومصر . وقد وقع سارتر قبيل حرب ١٩٦٧ على بيان ظهر فيه تعاطفه مع إسرائيل المهددة " بالابادة " . يقول سارتر في ذلك : " إن الرأي العام قد تغير كثيرا عما كان عليه عند بداية الأزمة ، لقد اعتقد عدد كبير من الناس بحكم ما كانوا يقرأون كل يوم أن الحرب سوف تبدأ من العرب وتنتهي بتحطيم سريـسـح ومؤكد لإسرائيل وإبادة اليهود هناك ، وقد أثار ذلك شعور بالقلق العميق لدى الرأي العام في فرنسا ، ثم تبينا أن المشكلة كانت تنطوي على جانب آخر ، لقد ثبت أن إسرائيل تملك جيشا حديثا معدا إعدادا جيدا وأنها كانت متأهبة للهجوم فعلا وهاجمت وحطمت واحتلت . لست أشك في أنك توافقني على أن الرأي العام الفرنسي قد بدأ يتغير منذ ذلك الوقت " (١)

وبعد أن تغير موقف سارتر بعد أن اتضح موقف إسرائيل العدواني قال في لقاء مع أساتذة وطلبة جامعة القاهرة :

" انني اعتبر أن حق الفلسطينيين القوي في العودة إلى البلد الذي كانوا يعيشون فيه هو حق لهم لا يجوز مناقشته إطلاقا " (٢)

وعندما يشرح لطفى الخولي الموقف العربي ومزاعم إسرائيل لكل من سارتر وسيمون دي بوفوار تصيح الأخيرة قائلة :

(٣) لماذا لم توضحوا ذلك ؟ لماذا لم تشرحوه للرأي العام هنا ؟؟

وهي نفس الصيحة التي تطلقها ايمس - في المسرحية - عندما تعسرف حقيقة الوضع في الصراع السياسي والعسكري بين العرب وإسرائيل . (٤)

(١) حوار مع برتراند راسل وجان بول سارتر . لطفى الخولي ص ٨٥ سلسلة

اقرأ . أكتوبر ١٩٦٨ .

(٢) السابق ص ٦٠ .

(٣) السابق ص ١٦٤ .

(٤) انظر وطني عكا ص ٧٤ .

والملاحظ أن هذا التحول في الشخصيات اليهودية كان مفروضا عليها من المؤلف وليس من صنع الظرف والمعتقدات التي تؤدي الى هذا التطور، كما أن هذا التحول كان يمر عبر قناة واحدة هي التحول من الحماس للصهيونية الى مناهضة الصهيونية ، والسافة بين النقطتين بعيدة ولم تقطعها إحدى الشخصيات بالتدرج الكافي ، وإنما كانت تقفز من جانب الى الجانب الآخر قفزا .

وهذا التشابه الشديد بين الشخصيات في المسرحية أضعف مسن أثرها الدرامي ، ذلك أنها اجتذبت شخصياتها — كما يقول أحد الباحثين — الى تعقيد واحد عام هو التعقيد السياسي الظاهر ولم تجذبهم الى تعقيد ثانوي آخر ، كحادثة حميمة فردية تشيد الى فكرة إنسانية^(١) خصبة ، تكون بمثابة باعث التشويق في المسرحية .

بجانب ذلك ظهر هذا التحول بعيدا عن المعقول ، فالمؤلف قد جعله تحولا جماعيا ولم يقتصر على شخصية أو اثنتين ، ولو أن مثل هذا التحول موجود — بهذا الكم — على أرض الواقع لما احتاج العرب الى كل هذه الحروب مع إسرائيل ، وكان يكفي أن يتركوها عشر سنين ليتحول كل من فيها ويعود الى موطنه الأصلي ، ولن يبقى في النهاية يهودي واحد على أرض فلسطين . فقد ظهرت على أرض الواقع ظاهرة التمرد على الخدمة العسكرية في إسرائيل والتنكر للفكر الصهيوني بين أفراد من الشباب الاسرائيلي وكان السبب المباشر من ورائها الأعمال " المشينة والمخزية " التي تقوم بها قوات الاحتلال من قبل العقاب الجماعي ، وسياسة الاستيطان وما يترتب سب عليها من سلب ونهب للفلاحين العرب وسياسة التهجير والتشريد وحرش المزارع العربية بالمواد السامة بوساطة طائرات سلاح الجو (كما حدث في قرية عقرية) مما جعل البعض يربط بين الأعمال المشينة والخدمة في الجيش ويدعو علنا الى رفض دخول المعركة فيما إذا وقعت الحرب مثل الكاتب

(١) انظر : كمال اسماعيل . الشعر المسرحي في الأدب المصري المعاصر ص ١٣٥ .

الإسرائيلي عاموس كينان • وهناك نماذج من الشباب الذين فضلوا دخول السجن على الاشتراك في الجيش • ومنهم من طلب اللجوء السياسي فسي السويدي رافضين الاشتراك في " الحرب القذرة " أسوة بما فعل زملاؤهم الجنود الذين رفضوا الخدمة في الجيش الأمريكي في فيتنام • ولكن هذه النماذج ظلت محدودة ولم تشمل ٩٠% من الجيش الإسرائيلي كما فعل الكاتب في مسرحيته ولكن ما الذي يجعل الكاتب يرسمون مثل هذه الشخصيات المتحولة التي تضر بالعمل الفني بنفس القدر من الضرر الذي يلحق بسـه من الشخصيات النمطية ؟؟

في ظني أن أول الأسباب في ذلك يكمن في الحماس الذي يغلب على الكتاب عند كتابة هذه المسرحيات ، خاصة أنها قد كتبت - في الغالب - في أوقات الحروب مع إسرائيل ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، ومن المعروف أن أدب الحروب تغلب عليه إلى حد كبير صفة الحماس •

وهذه الصفة التفسيرية تولد خلافا فنيا هو غلبة الفكرة على الشخصية فيكون هدف الكاتب الأساسي (إفراغ) أفكاره دون الاهتمام برسم شخصياته رسما مقنعا • وهذا الحماس ، وغلبة الفكرة على الشخصية لا يتركان الفرصة الكافية للشخصيات كي تنضج في ذهن المؤلف ، لهذا فهي تخرج من ذهنه غير سوية •

ولاشك أن هذا " التحول " الكبير من جانب اليهود والأجانب في المسرح ، يعكس أمنية وحلما يتمناه الكتاب ، وهو انهيار إسرائيل من الداخل ، بعد أن فشل العرب - مجتمعين ومتفرقين - في هذا الأمر •

(١) انظر : المتمردين على الخدمة العسكرية في إسرائيل • عبد الحفيظ محارب ص ١٤٥-١٤٧ ش. • ف ديسمبر ١٩٧٢ •

الفصل الرابع

الصراع

صراع عربي - إسرائيلي

يعنى الصراع المسرحى وجود قوتين أو إرادتين متعارضتين (أو أكثر من ذلك) ، وقد اصطلح النقاد على أن تكون هاتان القوتان متعادلتين لكى يكون الصراع قويا ، أما إذا كانت إحداهما قوية عاتية والأخرى ضعيفة فاترة فإن الصراع سينتهى بمجرد بدايته ، " ونحن نشاهد الصراع الصاعدا الحقيقى حينما يكون الخصوم متساوين فى القوة تساويا عادلا " (١)

والصراع بهذا المعنى هو التيار الذى يحمل المسرحية بأشخاصها وحوادثها نحو النهاية والحل ، وما الحل إلا النهاية المنطقية لهذا الصراع .

ويرى النقاد ضرورة أن يحمل هذا الصراع شخصية (أو أكثر) ذات إرادة قوية لا تلتين ، فالشخصية صاحبة الإرادة القوية والتى تعرف ما تريد هى التى تستطيع حل عبء الصراع والوصول به - تصعبا - إلى نهايته المنطقية .

" وقد يكون الصراع بين أشخاص أو طبقات اجتماعية أو شعوب ، وقد يكون بين أفراد وبين قوى الطبيعة كالزلازل والأعاصير والبراكين وخلافها ، وتتحدد الإرادة الواعية هنا فى الطرف الأول من طرفى الصراع " (٢)

وقد لاحظنا فى المسرحيات التى عرضنا لها ، والتى تصور شخصية اليهودى أنها مسرحيات سياسية بالدرجة الأولى ، لذا جاء الصراع فيها متركزا على محورين :

١ - صراع عربى - إسرائيلى .

٢ - صراع يهودى - يهودى .

والعلاقة بين هذين اللونين من الصراع علاقة جدلية ، إذ يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به ، حيث يقوم الصراع العربى - الإسرائيلى بتهدئة

(١) لا يوسى بيجرى . فن كتابة المسرحية ص ٢٥٠

(٢) حسين رامز محمد رضا . الدراما بين النظرية والتطبيق ص ٤٢٩ - ٤٨٠

الصراع اليهودى - اليهودى لانشغال يهود إسرائيل بالصراع مع العرب ،
أما عندما يبدأ الصراع العربى - الإسرائيلى ، فإن الصراع اليهودى -
اليهودى يبرز بعنف متخذا شكلا خطيرا من أشكال الصراع الاجتماعى
والطائفى والطبقى ، لهذا تسعى السياسة الاسرائيلية لافتعال خطر عربى
دائم لشغل السكان اليهود عن صراعاتهم الداخلية .

ويرى أحد الباحثين أن إذا كان الصراع من جانب إسرائيل ، هو تمهيد
عن تناقض أساسى بين حالة " الحدود الآمنة " وطبيعة الدولة الاستيطانية
ويمكن القول إن الصراع ضرورى للحفاظ على هويتها كجيب إثنى . فإذا كان
الصراع ليس استراتيجيا عقلانية وإنما هو سمة حتمية لدولة إسرائيل الاستيطانية
والحدود الآمنة مع جيرانها هى بمثابة تهديد لهويتها أكثر من أن تكون
ضمانا لها . (١) وقد تنبه هرتزل الى العلاقة الجدلية بين الصراع الخارجى
والداخلى فكتب فى " الدولة اليهودية " : " وقد يقال إنه لن يكون
لليهود فى دولتهم أعداء فإن اليهود فى وضعهم هذا سيقبلون وينقص
عدد هم الى أن يختفوا كليا . أتصور بأن اليهود كأي أمة أخرى ، سيكون
لهم أعداء كفاية " (٢) .

سنقوم فى هذا الفصل بدراسة صور الصراع العربى - الإسرائيلى كما تجلت
فى المسرح ، على أن نقوم فى الفصل التالى بدراسة الصراع اليهودى -
اليهودى مع متابعة الآثار الجزئية للعلاقة بينهما . ثمة ملاحظات جوهرية
حول الصراع العربى - الإسرائيلى سنتوخى تسجيلها بالقدر الذى يخدم
هذه الدراسة :

أولى هذه الملاحظات أن هذا الصراع لم يكن يوما صراعا عربيا -
يهوديا كما تحاول الدعاية الصهيونية تصويره ، وتصوير العرب على أنهم

(١) انظر نيلز جونسون . قضية حدود إسرائيل الآمنة وتناقضات الدول الاستيطانية " ص ٩٣ . ترجمة : يسر عبدالموجود . عالم الفكر ج ١ . م ١٤ سنة ١٩٨٣ .
(٢) هرتزل : الدولة اليهودية ص ١٢١ : الفكرة الصهيونية . النصوص الأساسية
ترجمة لطفى المايد وموسى عنز مركز الابحاث الفلسطينية سنة ١٩٧٠ .

وارثو اللاسامية الأوربية ، ويغيب عن بال كثير من المخدوعين بهذه الدعاية أن المرب أنفسهم من الساميين ، فكيف يمكن أن يكونوا لاساميين ؟ . فما طبيعة هذا الصراع إذن ؟ إن طبيعة هذا الصراع معقدة وذات مستويات متعددة ، فهو على المستوى العسكري صراع عرسى - إسرائيلى ، وهو على المستوى الأيديولوجى صراع عرسى - إمبريالى ، فلم يعد خافيا على أحد أن إسرائيل ليست سوى " رأس جسر " للإمبريالية الغربية ، والولايات المتحدة بصفة خاصة - من أجل استغلال المنطقة العربية الغنية بخيراتها الطبيعية ، وبوقعها الاستراتيجى فى الصراع بين الكتلتين الكبريتين .

والوعى الصهيونى بهذا الارتباط مع الإمبريالية العالمية رافق الفكرة الصهيونية منذ بدايتها ، فقد تحدث هرتزل فى المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ عن " المنافع التى سيقدمها " الشعب يهودته " للدولة التى ستضمّن لهم إقامة الوطن القومى " (١) . وبعد تأسيس هذا الوطن كتبت صحيفة هآرتس بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٥١ " إن إسرائيل قد تم تعيينها لتقوم بدور الحارس الذى يمكن الاعتماد عليه فى معاقبة دولة أو عدة دول ممن جيرانها العرب الذين قد يتجاوز سلوكهم تجاه الغرب الحدود المسموح بها " (٢) .

كما هدفت الإمبريالية الغربية منذ البداية من وراء إنشاء إسرائيل ، إلى الحيلولة دون وحدة الأمة العربية ، وإبقائها على ماهى عليه من تعزق وضعف وتخلف ، ذلك أن وحدة الأمة العربية تعنى قيام دولة عربية قوية ذات سيادة تستطيع التحكم فى مواردها وثرواتها وتمثل تهديدا مباشرا للإمبريالية .

لكن إلى أى مدى اتسمت النظرة العربية لهذا الصراع بالوعى والثبات ؟

(١) الفكرة الصهيونية : النصوص الأساسية ص ١٢٥
(٢) عن : الأيديولوجية الصهيونية قسم ١ ص ١٤٩ د . عبد الوهاب المسيرى .

في الحقيقة إن النظرة العربية للصراع تغيرت كثيرا بحسب عوامل عديدة ليس هنا مجالها ، ولكننا سنكتفي بالإشارة السريعة الى أطوار النظرة العربية لهذا الصراع ، لكي نتبين عند تحليل الصراع المسرحي لأى لـحـون من ألوان الصراع السياسى ينتمى .

حتى أوائل خمسينات هذا القرن كانت معظم الدول العربية تقع تحت الاحتلال المباشر للاستعمار الغربى ، وتحكمها أسر ملكية تابعة لهــذا الاستعمار ، لذا لم نجد شعورا حقيقيا بهذا الصراع من جانب الحكومات (١) وكانت الشعوب العربية تبذل جهودها لمقاومة الاستعمار فى أقطارها ، ولم نـعـدم تماطفا واضحا من جانب الشـعـن الغرب مع الفلسطينيين الذين كانوا الطرف المقابل فى الصراع ، لكن دون فعالية واضحة باستثناء التطوعين الذين دخلوا فلسطين عام ١٩٤٨ لمحاربة إسرائيل عند إعلانها ، وبالطبع كانت هذه الجهود محدودة ومحاصرة من حكوماتها لذا كان مقضيا عليها بالفشل . إذن فقد بدأ الصراع فلسطينيا - صهيونيا .

فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن نالت أغلب البلاد العربية استقلالها عن المستعمر واتفق الخطر الصهيونى على الأمة العربية : صاحب ذلك مد قوسى عرس ، كان لضياح فلسطين وقيام ثورة ٢٣ يولييه الأثر الأكبر فيه ، ومن هنا تحول الصراع الى صراع عرسى - إسرائيلى مع إدراك كامل لدور الامبريالية الغربية فى هذا الصراع . وكان هدف العرب الأساسى فى هذا الصراع تحرير فلسطين من الصهيونية ، وإقامة دولة فلسطين العربية الديمقراطية ، لكن هزيمة ١٩٦٧ كشفت أن أمانى العرب مجتسمين أكبر بكثير من قدراتهم متفرقين .

وشهدت فترة السبعينيات والثمانينيات تحولا جذريا فى النظرة الى

(١) انظر : لطفى الخولى . مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى عام ٢٠٠٠ ص ١٥٢ دار الفكر القاهرة سنة ١٩٨٦ .

الصراع العربى - الإسرائيلى حيث تمثل نجاح السياسة الإسرائيلية والأمريكية فى المنطقة فى تحويل هذا الصراع من صراع أيديولوجى الى صراع حدودى بين إسرائيل والبلدان المجاورة لها فقط ، بالإضافة الى تحييد الدول الهميدة عن المواجهة ، وتحولت المشكلة - ثانية - الى مشكلة لاجئين غير معبنى الجنسية تسمى السياسة الإسرائيلية والأمريكية الى إلحاقهم بإحدى الدول العربية المجاورة . أما العرب الذين كان هدفهم تحرير فلسطين ، فلقد " رضوا من الغنبة بالإياب " .

وعاد الصراع فى أواخر الثمانينات كما بدأ صراعا فلسطينيا - صهيونيا ، ولكن بات من المؤكد أن الثورة الشعبية الفلسطينية التى تفجرت فى ٩ من ديسمبر ١٩٨٧ ولا تزال محتمة - حتى كتابة هذا البحث - سوف تغير كثيرا من هذه المفاهيم ومن النظرة الى الصراع مرة أخرى .

* * *

الى أى مدى انعمكت صور هذا الصراع وطبيعته فى المسرح العربى ؟ هذا ما سنحاول تتبعه من خلال المسرحيات متبمين المنهج التاريخى أيضا لكى نرصد عملية التغير فى النظرة الى الصراع عبر المراحل الزمنية المتتالية .

أشرنا سابقا الى أن مسرحية " شيلوك الجديد " لباكثير كانت أول مسرحية عربية عرضت لشخصية اليهودى ، وحذرت من الخطر الصهيونى ، وبإمكاننا أن نضيف الآن أن باكثير قد رأى الخطر الصهيونى الحقيقى الذى لا يقتصر على فلسطين وحدها ، بل يشمل الأمة العربية بأسرها . فهو يورد فى مفتتح المسرحية مقتطفا من كتاب " فلسطين اليهود " لنورمان بنتويز أحد الكتاب الصهاينة يقول " لا حاجة لأن تكون فلسطين المستقبل محدودة بحدودها التاريخية ، ففى إمكان المدينة اليهودية الامتداد على جميع البلاد التى وعدوا بها فى الثورة ، من البحر الأبيض المتوسط حتى الفرات ، ومن لبنان حتى نهر مصر ، هذه هى البلاد التى أعطيت

للشعب المختار * (١).

وتتضح نظرة باكير للصراع من خلال فكرته التي بنى عليها المسرحية ، ومن خلال استمارة هيكل مسرحية " تاجر البندقية " لشكسبير ، يقول عن فكرة المسرحية " إن فلسطين العربية لا يمكن أن يقطع منها وطن قومي لليهود - بله دولة - دون أن يسيل الدم من الشرق العربي كله ، ومثل ذلك مثل رطل اللحم الذي اشترطه شيلوك اليهودي في رواية " تاجر البندقية " على التاجر البندقي أنطونيو ، لا يمكن أن يقطع شيلوك دون أن يسيل الدم منه فيموت . فكما استحال تنفيذ هذا الشرط المخالف للقوانين الإنسانية مع أن أنطونيو نفسه قد رضى به ووقع على صك العقْد الذي بينه وبين شيلوك . يستحيل بالأولى تنفيذ وعد بلفور لا لمخالفته للقوانين الإنسانية فحسب فيما يترب عليه من حكم بالموت على شعب يأكله هو الشعب العربي بدلا من شخص واحد هو أنطونيو بل لأن الذي أعطى هذا الوعد لا يملك إعطاءه وهو بلفور بخلاف أنطونيو الذي كان يملك أن يكتب الصك على نفسه * (٢)

وهذا يعني بوضوح أن الكاتب قد نظر للصراع منذ البداية بمنظور قومي عربي ، ورأى الخطر الصهيوني على الأمة العربية كلها ، وتأكيدها لنظريته هذه يرسم من الشخصيات التي تحمل هذا الصراع من الجانب العربي شخصيات فلسطينية ومصرية ، ولم يتحدث الشخصيات المصرية باسمها فقط ولكن باسم الأمة العربية ، حيث تخول الجامعة العربية عيسى باشا وناديه بتمثيلها في المحكمة الدولية التي عقدت من أجل النظر في القضية الفلسطينية .

وعلى الجانب الآخر ، حمل الصراع من الصهاينة شيلوك وبعض معاونيه

(١) مسرحية " شيلوك الجديدة " المقدمة .
(٢) فن المسرحية من خلال تجارب الشخصية ص ٤٣ - ٤٤ على أحمد باكير

الذين كانوا امتدادا له وهم جميعا يحملون الفكر الصهيوني ويتبعون كل الطرق السيكافيلية من أجل مشروعهم .

وهناك شخصية ابراهيم الذي كان في البداية متحمسا للصهيونية ثم " تحول " عنها وكفر ببعادتها وصار نصيرا للقضية العربية ورثيما لليهود اللاصهيونيين بفلسطين . وهو يحمل بعدا خاصا من أبعاد الصراع ستحدث عنه فيما بعد .

ينقسم الصراع في المسرحية الى قسمين : صراع بمعنى نضال عسكري ، ونجد أن هذا الصراع يقتصر على الفلسطينيين وحدهم حيث نجد الثوار في الجبال يقاومون الحركة الصهيونية بالسلاح ، وليس معنى ذلك اختلاف أو تغيير في نظرة الكاتب للصراع ، ولكن الواقع الفعلي لهذا الصراع اقتصر - في تلك الفترة (١٩٤٥) - على الثوار الفلسطينيين ، أما القسم الثاني من الصراع فهو قانوني وذلك عندما تدخل المشكلة دائرة القضاء الدولي وتشترك هنا الشخصيات المصرية والفلسطينية في الحديث باسم العرب جميعا ، لذا احتل النقاش القانوني الجزء الأكبر من المسرحية .

يعمل الكاتب على تأكيد نظريته للصراع العربي - الصهيوني فيبرز الأطماع الصهيونية في العالم العربي ، فهذا شيلوك يرى أن سميه الشكسبييري يملك بمقتضى الصك الذي يخوله الحق في اقتطاع رطل من لحم انطونيو في أي جزء يختاره من جسمه ، يملك الحق في ابتلاك الجسم كله والتصرف فيه كما يشاء ، لأن حياة انطونيو أضحت حينئذ تحت رحمته ، وهو يطبق هذا المنطق على فلسطين " رطل اللحم " والوطن العربي " كامل الجسد " .

سوردز : هل تعني أنكم ستأخذون الوطن العربي كله لتقيموا فيه الدولة اليهودية ؟

شيلوك : ستقوم الدولة اليهودية في فلسطين ، ولكن لن نقتطعها من الوطن

العربي لأن هذا الوطن سيكون المجال الحيوي لنشاطها . (١)

سوروز : ولكن ليس في وعد بلفور ما ينص على هذا الذي تزعم .
شيلوك : إن لم يشتمل عليه نصا فقد اشتمل عليه ضمنا . وليس كل يهود
العالم من صنع شكسبير فتخدعوهم عن حقهم الثابت .
عبدالله : قد رأيتم باحضرات المستشارين ماذا يبيته اليهود للعرب جميعا
من وراء وطنهم القومي في فلسطين ، إنهم لا يريدون فلسطين
وحدها ولكنهم يريدون استعمار الشرق العربي كله وما فلسطين
إلا القلعة الحصينة لهذا الاستعمار .
شيلوك : أجل أيها السادة قد آن أوان التصريح بمطالبنا كلها ولاداعي
للمواربة بعد اليوم . . (٢)

الأمر المحير في إدارة الكاتب للصراع هو نظريته للامبريالية العالمية ،
مثلة في بريطانيا آنذاك ودورها في هذا الصراع فهو يقدمها كساعة
كطرف من أطراف الصراع يعمل جاهدا على تأسيس الوطن القومي لليهود
وذلك لمنع قيام الوحدة العربية ، فبريطانيا هي التي قضت على حركة
محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا حين حاولا إقامة هذه الوحدة العربية .

شيلوك : لا أجعل هذا ، بل أعرف أن بريطانيا ظلت طوال العصور تقاوم
هذه الحركة وتتوجس منها شرا . وما كان تشجيعها لنا في تأسيس
الوطن القومي في فلسطين إلا عفة من العقبات التي تضعها
في طريق هذه الحركة . (٣)

وهو يرى أن الحكومة البريطانية سحبت لنفسها تحت تأثير أموال الصهيونيين

(١) كان بن جوريون يؤمن بهذا الرأي فقد قال في مؤتمر لندن ١٩٣٩ "إن كل
فلسطين يجب أن تصبح دولة يهودية متحدة مع الدول العربية المحيطة" انظر
آن . م . النظرية والممارسة الصهيونية ص ٥٥ عالم الفكر ١٤ ع ١ سنة ١٩٨٣

(٢) المسرحية ص ١٥١ - ١٥٢

(٣) المسرحية ص ١٣١ .

ودعايتهم أن تشتط نحو مسئوليات وصايتها نحو فلسطين ونحو أوهام الوطن القومي . إن الجنود البريطانيين ورجال البوليس ظلوا ٢٥ عاما يقاتلون الفلسطينيين لتأييد مطالب الصهيونية^(١) .

وقامت بريطانيا بحماية الصهيونية ورعايتها، وقررت بين العامل المرسى والعامل اليهودى فى الأجر ، وشجعت الصناعة اليهودية فى فلسطين وقررت ضريبة جمركية عالية على المصنوعات الواردة ، وغير ذلك كثير من الإجراءات التى هدفت بها الى إقامة الكيان الصهيونى على حساب أصحاب البلاد الاصلين .^(٢)

ثم يعود الكاتب ، تارة أخرى ، الى تقديم بريطانيا كحليف استراتيجى للمغرب ففى لم تعط للصهاينة وعد بلفور إلا تحت ظروف قاهرة يقسول المندوب البريطانى :

سوردز : ظروف الدفاع عن حريتنا وحرية الشعوب العالمية فى الحسب العالمية الاولى .

ويصل تناقض باكثير مداه عندما يجعل بريطانيا لا تقر بصحة وعد بلفور بحجة انها لم تكن تملك فلسطين لكن تعد الصهيونية بها .^(٣)

ويظل وصف بريطانيا " بالحليفة الكبرى " يتردد فى المسرحية .^(٤) فكيف يمكن التنسيق بين هذين الموقفين من مواقف باكثير نحو الصراع ؟

لا شك أن الكاتب بنى موقفه الثانى من بريطانيا بناء على " حسن النية "

(١) مقدمة المسرحية .

(٢) المسرحية ص ٦٩ ، ١٨٥ ، ٢٢٥

(٣) المسرحية ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٤) المسرحية ص ١٦٣ - ١٦٤ .

فيها ، وفي صلة الصهيونية بالامبريالية البريطانية ثم الأمريكية ، وفاتسه أن بريطانيا فكرت في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية بحوالى نصف قرن من الزمان ومن أقدم من فكر في هذا المشروع من الانجليز الكولونيل جورج جاولر (١٧٩٦ - ١٨٦٩) الذي كان حاكما لجنوب استراليا ، حيث نادى بإعادة استيطان اليهود في فلسطين لحماية خطوط الاتصال بين أنحاء الامبراطورية المختلفة . وقبل ظهور الصهيونية بين اليهود بفترة طويلة قرر اللورد بالمرستون ١٧٨٤ - ١٨٦٥) حينما كان يشغل منصب وزير خارجية بريطانيا أن يستخدم اليهود مقلب قط لقمع العرب وكتب عام ١٨٤٠ : إذا عاد أفراد الشعب اليهودي الى فلسطين فإنهم سيقومون بكبح جماح أي مخططات عربية قد يدبرها محمد علي أو من سيخلفه في المستقبل . ونادى بهذه الفكرة أيضا الانجليزى لورانس اوليفانت الذي قال إن إنشاء الدولة اليهودية في هذه المنطقة سيضمن تغفل بريطانيا الاقتصادى والسياسى فيها .

ونادى بهذه الفكرة الكثيرون ، مما يكشف لنا ملامح المصير المتشابك للامبريالية الغربية والاستعمار الصهيونى (١) وتسقط كل فرصة للتفكير بالنوايا الحسنة .

وكما ينقسم الصراع على المستوى الإقليمى الى صراع فلسطينى - صهيونى ثم صراع عربى - صهيونى ، فإنه ينقسم على المستوى الفنى الى صراع واقعى وآخر خيالى ، ففي الشق الأول يمرض الكاتب لمحاولات الصهيونية الاستيلاء على فلسطين بكافة الوسائل ، وعطيات تهجير اليهود الى فلسطين والمساعدات البريطانية بهذا الخصوص .

ويكشف الكاتب في هذا الجانب من الصراع عن وعى عميق ومبكر بكتسیر من القضايا التي لم يلتفت اليها أحد إلا بعد سنين طويلة ، فهو

(١) انظر د . عبد الوهاب المسيرى . الأيديولوجية الصهيونية قسم ١ ص ١٣٥ - ١٣٦

بتمريض للدعاية الصهيونية في العالم ، فهذا بنيامين - رئيس الدعاية -
بعدد إنجازات الدعاية الصهيونية وخاصة مكتبهم في إنجلترا :

بنيامين : حسب أنه استطاع أن يشتري أسهما جديدة في صحف حزب
الاحرار (١) .

وتتولى الدعاية الصهيونية أكلها عندما تصادف جهلا من الشعوب
بمسائل الشرق :

بنيامين : إن الشعب البريطاني نفسه يجهل مسائل الشرق جهلا تاما مما
ساعدنا في الماضي على استغلاله لمصلحتنا فماذا يكون الحال
لو عرف الحقائق ؟ وقل مثل هذا على الشعب الأمريكي (٢)

وفي مقابل هذه الدعاية الصهيونية النشطة نجد تقصيرا واضحا من
جانب العرب في عرض قضيتهم على الرأي العام العالمي ، يقول المنسوب
المصري :

ميخائيل : لا أستطيع أن أبرئ قومي العرب من التقصير في الدعاية الواجبة
لقضيتهم الكبرى وتؤير أذهان الشعوب بحقيقة موقفهم المبادل
وحقهم الثابت . . . فتركوا المجال بذلك لليهود ليدلسوا على
العالم ويتخذوا من اضطهاد النازية لهم قيس عثمان يستمدون
به دموع العالم ، لكي يجأر هذا العالم بوجوب فتح أبواب
فلسطين لشذائهم وأحقابهم . (٣)

كما يدرك الكاتب - موسى مكر أيضا - المشكلة الديموغرافية التي تعاني
منها إسرائيل ، فهذا غيلوك عندما يعلم بأن راشيل حامل من عبد الله

(١) المسرحية ص ١٣٣ .

(٢) المسرحية ص ١٣٤ .

(٣) المسرحية ص ١٦٥ .

الغياض ، بعدها بأن يضعها في المستشفى حتى تضع الطفل " ثم نتولس
نحن تربيته هناك " وعندما ترفض راشيل يقول :

شيلوك : أما تحبين ياراشيل أن تسهمي في حركة النسل اليهودية ؟ إن
العرب يتناسلون بكثرة مزعجة فلا بد لنا أن نباريهم إن شئنا أن
تكون لنا الأكرية . (١)

هذه المشكلة الديمغرافية التي لازالت إسرائيل تعاني منها الى اليوم
لذلك فهي تعمل على زيادة عدد السكان اليهود بكافة الطرق حتى وصل
بها الأمر الى شراء أطفال من أمريكا اللاتينية . ويشير الكاتب الى محاولات
الحركة الصهيونية تمويش هذا النقص البشري في الصراع مع العرب عن
طريق التكنولوجيا العسكرية المتطورة ما يجعل كفتها ترجح كفة العرب
في الصراع العسكري حتى قبل اعلان الدولة . (٢)

وفي القسم الثاني من الصراع ، وهو الصراع الخيالي يتصور الكاتب قيام
محكمة دولية للنظر في قضية فلسطين بعد اشتداد الأزمة . في هذه
المحكمة يعرض الصهاينة حججهم في أحقيتهم بفلسطين ، وأهم هذه الحجج
وعد بلفور . ويقوم كل من المندوب البريطاني والمندوب العربي بتنفيذ
هذه الحجة ، فبريطانيا لم تكن تملك فلسطين حتى تعد الصهيونية بها ،
ويضيف المندوب البريطاني بأن بلاده اضطرت الى هذا الوعد تحت
ظروف الحرب العالمية الأولى بينما كانت ألمانيا على وشك أن تعرض على
الصهيونية مثل هذا الوعد لتجعلهم في صفها وتضمن تأييدهم ومناصرتهم
لها بما لهم من النفوذ الاقتصادي والسياسي في العالم . (٣) ويحتج
الصهاينة بقيام دولة يهودية في فلسطين قبل ثلاثة آلاف عام ، فيقوم

(١) المسرحية ص ٥١

(٢) المسرحية ص ٢١٦

(٣) المسرحية ص ١٥٨ وهذا ما صرح به وايزمان في شهادته التي قدمها في لندن

سنة ١٩٣٧

ميخائيل بتفنيد هذه الحجة : (١)

ميخائيل : لو صح هذا المنطق الذى تزعمون لكان لاطالها أن تطالب بجزائر بريطانيا ، لأن الدولة الرومانية كانت تملكها فى عهد من عهود التاريخ وهذا ضرب من الهذيان لا يقره عقل ولا منطق وليس اليهود فى ادعائهم حق وراثته الدولة الإسرائيلية بأحق من إيطاليا لو ادعت وراثته الدولة الرومانية . ولو صح هذا المنطق الذى يزعمه اليهود لكان لنا معشر العرب أن تطالب اليوم بإسبانيا التى قامت فيها دولة عربية أعظم من الدلة الإسرائيلية فى فلسطين وأطول منها عمرا وأقرب منها عهدا ، فهل نفسى الدنيا من يقرنا على هذا . (٢)

وعندما تسقط حجج الصهيونية القانونية والتاريخية يلجأ كوهين الى استدراك العطف عن طريق تذكير الحضور باضطهاد العالم لليهود وأنه لا سبيل الى انتقاد اليهود وهل " المسألة اليهودية " إلا عن طريق إعطائهم وطننا يقيمون فيه . وتقوم بتفنيد التفسير الصهيونى للمسألة اليهودية ، نادية المتحركة نفسى ثياب المحامى الشاب فيصل الموكل من قبل العالم القانونى عيسى باشا ، كما قامت بورشيا متحركة فى ثياب المحامى بالتزار ، الموكل من قبل العلامة بيلارو ، بتفنيد حجة شيلوك عند شكسبير . (٣)

فيصل : إنك تقول إن اضطهاد الناس لليهود يرجع الى إحساسهم الحاد بالعصبة الجنسية وهذا يرجع بدوره الى شعورهم بالفريه ، وهذا لا يزول إلا إذا أعطى لهم وطن .. حسنا فإذا أعطى لكم وطن فهل تثقون فى غيره من البلاد المختلفة ، أم تتركونها لتعيشوا

(١) قام د . أحمد شلبى بالرد على هذا " الحق " من وجهة نظر علمية تاريخية بحثية .

انظر اليهودية ص ٨٥ ط ٢ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٤ .

(٢) المصرحبة ص ١٦٨ - ١٦٩

The Marchent of Venice, PP. 580-590

(٣) انظر

في الوطن المعطى لكم ؟

- كوهين : بالطبع سنعيش في الوطن المعطى لنا .
- فيصل : إذن فلسطين لا يمكن أن تستوعبكم جميعا .
- كوهين : لا حرج أن يعيش بعضنا في البلاد الأخرى .
- فيصل : فسيكون هذا وضعاً غريباً إذ لا توجد أمة تعيش أقليتها في وطنها وأكثريتها في بلاد الشعوب الأخرى (١) ، وعلى ذلك سيقف الاضطهاد الذي تشكون منه .
- كوهين : ولكنه سيخف ... (٢)

ويرى فيصل أن الحل التام للمسألة اليهودية يكون في ضمان الأمم المتحدة لحقوق اليهود في أي بلد يكونون فيه ، ولكن تصمم الصهيونية على إقامة الدولة اليهودية ، ويطول هذا النقاش " الدولي " في المرحلية (أكثر من ٩٠ صفحة) وتقبل الجامعة العربية مثلة في مندوبها فيصل بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، ويكون هذا الحل بداية لصراع جديد وإن كان هذا الصراع سلبيا من جانب العرب على الأقل ، فقد تعهدت الجامعة العربية بعدم الاعتداء على الدولة اليهودية ولكنها لم تتعهد بنزع كراهية العرب تجاه هذه الدولة لأن ذلك محال ، وتكون نتيجة هذه الكراهية مقاطعة العرب الاقتصادية لهذه الدولة ، وتمر سبع سنوات

(١) يوجد في إسرائيل حوالي ١٢ ٪ فقط من يهود العالم بينما ٨٣ ٪ منهم موزعين في معظم دول العالم . انظر : إسرائيل ويهود العالم ص ١١ مصطفى عبد العزيز دراسات فلسطينية بيروت سنة ١٩٦٩ وقد ذكر إبراهيم ليون - اليهودي الاشتراكي - أن الدولة الصهيونية قد تحل مشكلة بعض اليهود الذين استوطنوا فيها ولكنها عاجزة تماما عن حل ما يواجهه يهود الشتات من مشاكل .

انظر : المفهوم المادي للمسألة اليهودية ص ٨٣ ترجمة : عماد

نويهض .

(٢) المرحلية ص ١٧٢ - ١٧٣

على هذه المحكمة تقوم خلالها الدولة اليهودية ، ولكنها تفشل في الاستثمار نتيجة مقاطعة العرب الاقتصادية لها ، وقد عول الكاتب كثيرا على هذه المقاطعة فقد كان هناك اعتقاد سائد في تلك الفترة قبل قيام إسرائيل يقول " لكن يكون لمصنع ما أي حظ حقيقي من النجاح النهائي بحسب أن يتطلع الى أسواق مصر وسوريا لكي تأخذ القسم الأكبر من مصنوعات (١) تفشل الدولة الصهيونية إذن ، ويعود اليهود صارخين مطالبين بحل هذه الدولة ، ليس ذلك فقط :

عيسى باشا : وهاهم اليوم أولاء قد جاءوا يستشفعون الى قومي العرب أن يقبلوا عشرة اليهود ويقبلوا غدرهم ويرضوا منهم التوبة وحسن المآب . (٢)

وهذا يعني انتهاء الصراع بطريقة لا تخلو من التعمسف وكثير من التمني يستمر هذا التمني بأن يقرر العرب تحريم فلسطين على اليهود الى الأبد وهدم تل أبيب ، والقضاء على اللغة العبرية ، وتكون النهاية انتحار شابلوك الذي يعني انتحارا للصهيونية ، وزوال هذا الخطر للأبد ، ويكون لشابلوك - على كل شروبه - فضل على العرب توضحه نادبة بقولها : نادبه : علينا أن نشكره ، إنه أيقظنا من سباتنا ثم نام (٣)

وحتى هذه الخدمة التي تصديها الصهيونية للعرب تقع في باب الخيال والتمني بل والنبوة التي لم تتحقق بعد . وهكذا لم يترك الكاتب أمنية لئمن .

ومن الملاحظ على الصراع في هذه المسرحية أنه بدأ غيفا - نضال عسكري - ثم أخذ يفتر حيث انتقل الى " ثلاثة " المحافل الدولية

(١) شئون فلسطينية : الصناعة اليهودية . كين ميركورد ص ٥٥ (يناير

سنة ١٩٢٣ .

(٢) المسرحية ص ٢٤٠

(٣) المسرحية ص ٢٢٦

ثم انقطع سبع سنوات كاملة لم يشر اليها الكاتب بشئ ، وفجأة ظهر
الحل بأن طلب اليهود حل دولتهم و "إقالة عثرتهم" . وهذا الخط
للصراع يتناقض مع ضرورة أن يبدأ الصراع هادئا ، ثم يزداد عنفا مع تطور
الأحداث حتى يصل الى أزمة أو ذروة كبرى ينحدر بعدها الى الحل
الذى يجب أن يتم بالحنينة أو الضرورة ، وليس بالصدفة أو الأمانسى .
تقوم مسرحية باكثير الثالثة " شعب الله المختار " على إكمال النقص فى
" شابلوك الجديد " ، ذلك النقص الذى تمثل فى القفز سبع سنوات حيث
رأينا نتيجة الصراع دون أن نشاهد شيئا منه خلال هذه السنوات ، فبعد
أن وافقت الجامعة العربية على إنشاء إسرائيل ، فى المسرحية الأولى
وتعمدت بعدم الاعتداء عليها ، وجدنا المسرحية الثانية تقوم على تصوير
الصراع الداخلى بين اليهود أنفسهم ، هذا الصراع الذى يؤدى فى
النهاية - بالإضافة الى مقاطعة العرب لإسرائيل ، وتوقف المعونات الأمريكية
لها - الى انهيار إسرائيل ، ونجد هذه المسرحية تكاد تخلو من
الشخصيات العربية ويكون الصراع فيها فى مجمله صراع يهودى - يهودى
إلا أننا نلمس بعض جوانب من الصراع العربى - الإسرائيلى ، وذلك من
خلال الجانب الإسرائيلى فقط ، ويعود الكاتب الى المقاطعة العربية
والحصار العربى لإسرائيل هذا الحصار الذى تنبأ فى المسرحية الأولى بأنه
سيقتضى على إسرائيل .

اندرسن : حدثنى الآن عن مدى هذا الحصار الاقتصادى الذى فرضه

العرب على إسرائيل .

كوهين : لا تخافا إنه كالفريال لا يكاد يملك شيئا .

كوهينسون : إن الحكومة قد غنيت بعلاج هذه المشكلة فمكنت وزيرا خاصا

بالتهريب .

كوهين : أصبح من اليسير اليوم تصدير بضاعتنا عن طريق قبرص الى

اليونان وإيطاليا وتركيا حيث تنزع علاماتها فتشحن من جديد

الى مصر والسعودية والعراق وشرق الأردن وغيرها .

كوهان : هذا اجراء مؤقت على كل حال ربما يتم الصلح قريبا بيننا

وبين العرب فنغزو أسواقهم ببضائعنا ونستورد منها المواد
الخام . (١)

ولأن التهديد مع الدول العربية المحيطة هو الفرصة الوحيدة أمام إسرائيل
كي " تعيش " فإنها تلجأ الى كل السبل التي تؤدي الى هذا الصلح :

كوهينسون : سنحصل على الصلح بأي سبيل بالرضا إن أمكن وإلا فبالقسوة (٢)
وتوضح الشخصيات الصهيونية طريقة الحصول على الصلح بالقوة في
موضع آخر حين تمجد سياسة بن غوريون الذي يتحرش بمصر في
قطاع غزة لإرهابها وحملها على قبول الصلح :
اندرسن : ما أحسب أن التحرش يؤدي الى الصلح بل الى الحرب .
كوهان : " متحمسا " فلتكن الحرب .
كوهينسون : لكي تتدخل الدول العظمى حينئذ ، فتفرض الصلح على العرب
فرضا . (٣)

ولأن باكثير كان شديد التفاؤل فإنه تخيل أن إسرائيل هي التي تجري
خلف السلام والصلح من أجل أن " تعيش " بينما العرب يرفضون مما يؤدي
الى " نهايتها " ، ولم يذهب خيال باكثير الى حد تصور أن العرب - في
الثمانينيات - هم الذين يلهثون وراء الصلح من أجل أن " يعيشوا " .
بينما ترفض إسرائيل .

وتدرك إسرائيل أن قوتها في صراعها مع العرب يكمن في ضعف العرب
أنفسهم وتخلفهم لذا فقد سبب مشروع السد العالي قلقا بالغيا في إسرائيل :

ليفى : إن تم هذا المشروع في مصر فستقوم فيها نهضة صناعية كبرى -
تقضى على صناعة إسرائيل .

(١) شعب الله المختار ص ١٥

(٢) المسرحية ص ١٦

(٣) المسرحية ص ٥٩

كوهينسون : ومن قال لكم إن هذا المشروع سيتم ؟ لن نسح للبنك الدولي
أن يقرض مصر لهذا المشروع .

ليفى : حتى بعد الصلح ؟

كوهينسون : حتى بعد الصلح إلا إذا كفلت لنا ضمانات كافية للحد من
الصناعة المصرية وحصرها فى نطاق ضيق .

كوهين : أو إذا قبلت مصر أن تقوم فيها فروع لمؤسساتنا الصناعية ستحد من
تلك القوة الضخمة التى يتيحها المشروع . (١)

ومن أكثر الوسائل التى تتبعها إسرائيل لإضعاف العرب فى هذا الصراع
اغراق البلاد العربية بالمخدرات حتى يظل شبابها فى نوم عميق ، ويكون
هذا التخطيط من مزايى بن غوريون كما يقول عنه كوهين :

كوهين : وجه همه الى تحطيم كيان العرب بوسائل مختلفة حتى يرضخوا للصلح .
ليفى : كيف ؟

كوهين أنشأ وزارة خاصة لتهرب الحشيش الى مصر .

كوهان : إنه أفعل فى تحطيم مصر من أى سلاح آخر .

كوهينسون : ونحن نرجح ماديا ومعنويا منه .

كوهين : ونظم شبكة هائلة للتجسس على مصر . (٢)

وعلى الرغم من أن إسرائيل لاتعد من الدول التى تزرع أو تنتج المواد
المخدرة إلا أنها " تعد معبرا تصل عن طريقه الى حدودنا كميات من
المخدرات قدرت خلال ١٩٦٤ بحوالى ٥ ر ١٩ طن من جملة الكميات المهرسة
- وذلك بهدف محاولة تعميق حركة النمو الشامل فى كافة المجالات ، ومن
ثم فإن إسرائيل تخطط سياستها على أساس بذل جميع الجهود وتقديم
المعاونة بكافة صورها للمهربى الحشيش حتى أصبحت مأوى لهم ومعبرا
لمسؤولهم . (٣)

(١) المسرحية ص ١٦

(٢) المسرحية ص ٥٨

(٣) المخدرات سلاح الاستعمار والرجعية ص ٨٠ حسن فتح الباب وسمر عياد
دار الكاتب العربى .

وضعف العرب هذا في صراعهم مع إسرائيل هو الذي يشجعها على التفكير في إقامة دولتها الكبرى من النيل الى الفرات ، وتتخذ الصهيونية من وعد التوراة (١) بذلك ذريعة ، ومن دعم الامبريالية وسيلة .

كوهان : ان إسرائيل لن تقف عند حدودها الحالية ولن تهدأ حتى تهيمن على سائر أرض الميعاد ، من النيل الى الفرات .

وتتكرر هذه المقولة مرات عديدة في المسرحية (٢) مما يؤكد نظرية الكاتب الشاملة الى الصراع على أنه صراع عرسي إسرائيلي لاتأمن منه أية دولة عربية مهما كان بعدها عن إسرائيل بل إن إسرائيل ذاتها - وبعد ثلاثين سنة من مسرحية باكثير - تسعى لتؤكد هذه الفكرة في أذهان العرب فقامت بضرب المفاعل النووي العراقي " اوزاريك " وضرب " حمام الشط " في تونس ، وهي تفكر - بصوت عال - في ضرب الصواريخ السعودية وكل هذه الأهداف على بعد مئات الأميال من إسرائيل .

ولا يغفل الكاتب التأكيد - وللمرة الثانية - على أن الصراع العرسي مع الصهيونية وليبر مع اليهود ، بل إنه يؤمل من اليهود اللاصهيونيين - كما سنرى - الشىء الكثير في عملية القضاء على إسرائيل . هذه النهاية - الأمنية - التي انتهت بها أيضا المسرحية السابقة ، وسبب انهيار إسرائيل كما يتنبأ باكثير - هذه المرة أن أمريكا قد توقفت عن امداد إسرائيل بالأموال اللازمة لاستمرارها بعد أن أدرك الشعب الأمريكى حقيقة الصراع واعتماد إسرائيل على المال الأمريكى في بقائها أمر معروف فقد " حذر الاقتصاديون الإسرائيليون والأجانب من اعتماد الاقتصاد الإسرائيلي - كلية - على رأس المال المستورد الذى لن يلبس معينته أن ينضب

(١) انظر التكوين ١٥ / ١٨

(٢) انظر المسرحية صفحات : ١٧ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٤٥

أو يشح ما سيؤدي الى كارثة اقتصادية " (١)

ويبدو أن أمنية باكثير - النبوءة - حول دافع الضرائب الأمريكي - لم تمتد
مستحيلة تماما هذه الأيام فقد نشرت الأوميزيرفر مقالا بعنوان " إسرائيليون
سيئو السمعة " تحدثت فيه عن أثر الثورة الشعبية الفلسطينية - الانتفاضة -
على المواطن الأمريكي ، وقالت " لقد ظل باب بريد القراء اليومي فسي
أكبر الجرائد الأمريكية وهي " نيويورك ديلي نيوز " يتلقى تيارا ثابتا من
الخطابات المضادة لإسرائيل . ولكن أغلبها كان يشير هذا التساؤل ، وهو
لماذا ينفق الأمريكيون ثلاثة مليارات دولار كل عام على إسرائيل في حين
تقوم الحكومة الأمريكية بإجراء خفض على نفقات دعم الإسكان للمواطن الأمريكي
وتعلق الأوميزيرفر على ذلك بقولها : إن ذلك قد يكون إشارة إلى أن التغيير
في الرأي العام قادم على الطريق " (٢)

وقد عبر البروفيسور الإسرائيلي يشعياغو ليوفيتش عن هذه الحقيقة بقوله
" إذا توقفت أمريكا عن تقديم المساعدات لإسرائيل فسوف نرى أبطال إسرائيل
يزحفون على أربع " (٣)

تفتقد مسرحية باكثير الثالثة " إله إسرائيل " ذلك التحديد في الصراع
الذي لمناه في المسرحيتين السابقتين ، فيعد أن كان الصراع عربيا -
إسرائيليا موجها للصهيونية فقط دون باقي اليهود ، نجده في " إله
إسرائيل " يتسم بالعموم والشمولية فهو صراع بين الخير المطلق والشر
المطلق ، صراع بين النور والظلام ، صراع بين اليهود عامة ومعهم إبليس
والشياطين ، وبين المسلمين والمسيحيين ومعهم كتبهم السماوية ، وظهر
الصراع العربي - الإسرائيلي صراعا جزئيا ومرحليا في ذلك الصراع
الشامل .

(١) التخطيط في إسرائيل ص ٥٣ بنيامين أكزن ويهتسكل درر ترجمة بسام أبوغزاله
دراسات فلسطينية - بيروت سنة ١٩٦٢ .
(٢) عن جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٨٨ .
(٣) عن الأخبار القاهرة ١٩٨٨/٤/٦

يبدأ هذا الصراع بتحالف وثيق بين بني إسرائيل وإبليس ، وهذا التحالف لا يختلف كثيرا عن التعاقد بين فاوست والشيطان ، الفرق الوحيد أن الشيطان كان الراجح في التعاقد مع فاوست ، بينما هذا التحالف ضد الكثير يقوم على التبادل والمصلحة المشتركة ، بل إننا نجد اليهود في النهاية يكسبون أكثر . إذن تم ذلك التحالف وكان في الهداية ضد أنبياء بني إسرائيل أنفسهم ، ثم ضد السيد المسيح والمسيحية ، ثم ضد الإسلام والمسلمين .

ويكون هذا التحالف في صورة " اصطفا " إبليس لليهود ووعده لهم أن يجعلهم سادة لكل الشعوب الأخرى ، " وهنا نجد تلك السمة المحورية في الشخصية اليهودية التي تجعل من الشعوب الأخرى " أغيارا " يناصرون اليهود العداء ويصبون عليهم سياط الاضطهاد . " (١)

ويبدأ الصراع بين اليهود وبين المسلمين بهذه الإشارة :
" يأتى صوت المسيح معلنا أن الله قد رفعه إليه وأنه لم يصلب :
إبليس : إن لم يصلبوك فقد صلبوا رسالتك .
الصوت : إن أعيتهم عن رسالتى فسيهتدى بنورها أقوام آخرون من غير بني إسرائيل .
إبليس : فلأقتنهم ببني إسرائيل ولأفسدنهم بشعبى المختار الذى سأبنى به ملكوتى على الأرض . " (٢)

ويقفز الكاتب بالصراع والأحداث تسعة عشر قرنا حيث المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ وفيه يخطط المجتمعون للاستيلاء على فلسطين ، " ثم تنمو دولتنا وتتسع حتى تشمل أرض الميعاد بأسرها من النيل الى الفرات ، ومن ثم ينهبط سلطاننا على العالم أجمع " (٣)
ويعود الكاتب الى طرح " المسألة اليهودية " التى تقدم الصهيونية

(١) د . عصام بهى . الشخصية الشريرة في الادب المسرحى ص ٢٥٥

(٢) إله إسرائيل ص ١٣٥

(٣) المسرحية ص ١٥٣

نفسها على أنها حل لها ، ويظهر أنها ليست سوى وسيلة
تتخذها الصهيونية للوصول الى هدفها ، يقول رئيس المؤتمر:
الرئيس: بحسبنا اليوم ان نعلن تأسيس هيئة تسمى بالوسائل السلمية
الى ان يكون لنا وطن قومي في فلسطين يثوب اليه اللاجئون
من اليهود الفارون من الظلم والاضطهاد .
صوت رابع : لكن هذا الاضطهاد قد قل اليوم بعدما أعلن تحرير اليهود في
معظم الدول الأوروبية .

الرئيس : ذلك ما يدعونا الى التعجيل بحركتنا هذه قبل ان يأتى يوم
لا يبقى فيه يهودى واحد مضطهد في الارض .
صوت رابع : أو تخشى ياسيدى الرئيس من زوال الاضطهاد عن اليهود ؟
الرئيس : نعم - إن زال الاضطهاد فبأى حجة نطالب بذلك الوطن
القومي في فلسطين ثم كيف نجد عددا كافيا من بنى جنسنا
يرغبون في الهجرة الى ذلك الوطن ، إن صحة الاضطهاد
دائما ترد الشيا الى الحظيرة (١)

واقتمال الاضطهاد هذا ، وتضخم الحوادث الفردية ضد اليهود في
دول العالم ظل سمة واضحة في السياسة الإسرائيلية لهذا رد هرتزل
مرارا أن اللامية خير حليف للصهيونية . (٢)

ولهذا قامت الصهيونية - فيما بعد - باستثمار اضطهاد النازى
لل يهود بأوسع صورة ممكنة ، ولا زالت الى يومنا هذا تشير الذكريات النازية
من حين لآخر لتذكر اليهود بأنه لا مأمن لهم إلا في إسرائيل . (٣)

أما عن تخطيط المؤتمر الاول للحرب فيظهر ذلك من خلال هذا
الحوار :

(١) المسرحية ص ١٥٥
(٢) انظر كلمة هرتزل امام المؤتمر الصهيونى الاول . الفكرة الصهيونية . النص ص
الاساسية . ص ١٢٤ .
(٣) من ذلك ما حدث عام ١٩٨٢ من محاكمة " شخص " تحت اسم " جون دميانيوك "
التي اخذت طابعا دعائيا بحثا ، وتم فيها استعراض " عذابات اليهود " على يمد
النازى .

الصوت هـ : إن الوطن القوي سيوردنا ثواب نحن في غنى عنها فهناك العرب أصحاب البلاد سيثرون في وجهنا وهم الشعب الوحيد الذي عاملنا معاملة كريهة يوم اضطرت الدنيا كلها نارا علينا .

الرئيس : وتريد منا أن نحفظ لهم هذا الجميل ؟

أصوات : نحفظ الجميل ؟ لمن ؟ لهؤلاء الجويم ؟

الرئيس : ماذا نقول إذن في الإصحاح العشرين من سفر التثنية الذي

يقول : " وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك ميراثا

فلا تستبق منها نسمة واحدة بل أبداها على بكرة أبيها . "

الخامس : اقتريدون أن تبيدوا العرب جميعا ؟ هذا محال اليوم ؟

الرئيس : محال ؟ لماذا ؟ ألاهم أمة كبيرة المدد ؟ لا تخف فالإصحاح

السابع من سفر التثنية يقول " لا تهرب وجوههم فإن الرب إلهك

معك إله عظيم رهيب وإن الرب إلهك سيطرده أولئك الشعوب

من أمامك قليلا قليلا . لا ينبغي أن تغنيهم سريعا فتكسر عليك

وحوش البرية ولكن الرب إلهك سيدفعهم إليك وينزل بهم قارعة

عظيمة حتى يقتلوا أو يدفع ملوكهم إلى يدك فتحو أسهم من

تحت قبة السماء . " (١)

وهكذا تشترك المسرحيات الثلاث في تأكيد الخطر الصهيوني على الأمة

العربية كلها ، وأن تفردت المسرحية الثالثة بإبراز الخطر اليهودي ككل

وليس الصهيوني فقط ، كما أنها رأت أن هذا الخطر موجه إلى العالم

كله وليس إلى العالم العربي فقط . ويكشف الكاتب عن جانب من التفكير

اليهودي للسيطرة على العالم العربي ثم العالم كله بعد ذلك :

الرئيس : اطمئنوا أيها الأخوة الأعزاء فلن يرحل اليهود جميعا إلى فلسطين

في خطوتنا الأولى ولا إلى أرض الميعاد في خطوتنا

الثانية ، بل ستبقى جاليات كبيرة منهم حيث كانت في مراكزها

بين شعوب الأرض لتكون ركائز لوطننا المحدود (فلسطين)

تجند لخدمته كل ماتملك الشعوب من قوى مادية وأدبية ،
وهكذا سيمير الوطنان المحدود وغير المحدود (العالم)
جنباً الى جنب حتى يتحقق الميثاق الإلهي بقيام دولة الدول
وتكون أورشليم كرمى هذه الدولة العالمية الكبرى ويقام فيها
ملك الملوك . (١)

ونلاحظ أن الكاتب يعرض لطرف واحد من طرفى الصراع أغلب فترات المسرحية
ومعنى ذلك وجود إرادة واحدة ، مع غياب الإرادة المقابلة فى الصراع ، مما
يجعله أقرب الى استعراض مخططات اليهود منه الى الصراع ، وهذا يفقد
القدرة على جذب القارئ فنياً ، وتبعه بلسقة لمعرفة النتيجة ، وتنحصر
قيمه فى التعليمية وذلك الوعى السياسى الذى يفوق بكثير الوعى الفنى
بتقنيات المسرح .

يستمر الكاتب فى استعراض مخططات اليهود للاستيلاء على فلسطين
ومن ثم العالم كله ، ويتضح أنه يقع تحت التأثير الكامل " لبروتوكولات
حكما صهيون " ، ويشير الرئيس الى حركتهم الماسونية التى كسبت الكثير من
الكبراء والزعماء تحت الستار الإنسانى " الذى لن تقتصر عليه وحده - يقول
الرئيس - لى اجتذاب المناصرين لحركتنا من الجوييم ، فنشتري لها ضمانات
كثير من زعمائهم ورؤسائهم بالإغداق عليهم من أموالنا السرية ، وأبالتهديد
بحرمانهم من المصالح التى نملك حرمانهم منها ، وأى شعب فى الدنيا لم
يصبح جل مصالحه اليوم فى أيدينا " .

وعن كيفية إنشاء الوطن القومى يرى الرئيس أن " علينا الحصول على
اعتراف رسمى بحق إنشاء هذا الوطن من الدولة التى لها حق التصرف

بفلسطين " (١) ، ولما يخبروه برفض الدولة العثمانية - الذى لم يكن قد حدث من الناحية التاريخية - لهذا الاعتراف يقول :

الرئيس : لامناص لنا حينئذ من تغيير خريطة العالم • لنثيرتها حرسا
طاحنة تسيل فيها دماء الجويم أنهارا • (٢)

ويكون ذلك من أجل " وضع " دولة تسيطر على فلسطين غير تركيا تعترف
لهم بحق إنشاء هذا الوطن ، ويكون هذا تفسير الكاتب للحرب العالمية
الأولى ، ويكون تأكيدا لوجهة نظره فى استئثار النفوذ اليهودى فى
دول العالم ، بل إن المجتمعين فى ذلك المؤتمر خير دليل على ذلك
فهم من ذوى المناصب الحساسة فى بلادهم ، وهذا يعنى أنهم سيتحكمون
فى هذه الحرب : بدايتها ونهايتها •

ويمزج الكاتب بطريقة فريدة بين الصراع من منظور قومى عبرى والصراع
من منظور دينى دون أن يجد ما يمنع من هذه الثنائية فى الصراع •

ابليس : " مشيرا الى مصر " هنا العقبة التى تضع أن ينهبط ملكوتى
كيف تحول هذا الشوك اليابس الميت الى اخضرار ووقف فى
وجه ابليس •

أحد الشياطين : إن الدولة التى زرعها (إسرائيل) هى السبب •

وهذا يعنى عودة الكاتب للفكرة التى طرحها فى نهاية مسرحية
شيلوك الجديد " من أن للصهيونية - على شروطها - فضل ايقاظ

(١) جاء فى كلمة هرتزل أمام هذا المؤتمر " هناك شئ واحد يجب
التمسك به ، ويجب أن تصاغ الاتفاقية (بشأن الوطن القومى) على
أساس الحقوق وليس على أساس التسامح " الفكرة الصهيونية • النصوص

الأساسية ص ١٢٥ •

(٢) المسرحية ص ١٦٧

العرب من سيئاتهم ، ولكن إبليس يرى أن " كتاب محمد " هو السبب .

الشیطان : هذا الكتاب قد ظل زمنا كالبركان الخامد حتى أقمت هذه الدولة في أرضه فانبعث وثار .^(١)

ويمضى الصراع أو الاستمرار حتى آخر المسرحية دون نهاية ، فهو صراع - كما أسلفنا - بين الخير والشر ليس له نهاية ، يحقق فيه اليهود وشياطينهم نصرا مرحليا بإقامة قاعدة لهم في فلسطين للوثوب منها على العالم كله . وينبه أحد الباحثين الى أن " هذه النظرة الجامدة لليهود تؤدي بدورها الى نتائج خطيرة ، أبسطها أن نهمل الشروط التاريخية لنشأة الحركة الصهيونية ، ثم ارتباطها بحركة الاستعمار العالمي ، وهى الظروف التى استغلت حقا للاستيلاء على فلسطين العربية والتى لا تزال تحفظ على إسرائيل حياتها الى اليوم ، ويؤدي هذا الى إهمال الشروط التاريخية أيضا لمقاومتها " .^(٢)

* * * *

في مسرحية " حدث في رفح " نجد أن الصراع عرس - إسرائيلي ومصري أيضا ، ولا يرى الكاتب نهاية لهذا الصراع سوى النصر النهائي أو الاستشهاد ، ولا يرى إمكانية للتعايش مع اليهود :

حسان : محال أن يخضع ويستسلم أى مصرى بل وأى عرسى الى الصهيونية ، انهم مصاصو دماء .^(٣)

وقد سيطر على هذا الصراع عيب أساسى وهو الحساس الشديد ، لذا وجدنا الصراع يقفز قفزا ولا يتسم بالمنطقية .
مسمود : يجب عليكم أن تشددوا النكير على العدو . . لاتدعوه يذوق طعم

(١) المسرحية ص ١٢٥
(٢) د . عصام بهى . الشخصية الشريرة في الأدب المسرحى ص ٢٥٨ - ٢٥٩
(٣) حدث في رفح ص ١١٥

الراحة لحظة واحدة - أجهزوا عليه فهو في دور الاحتضار . (١)
ويبدو واضحاً اختلال الصراع في المسرحية ، وذلك بتصوير العربى العملاق
القوى ، واليهودى الضعيف القزم الجبان بل والمغفل ، لذا لم يحدث
الصراع بين قوى متكافئة وهذا ما وجدناه عند باكثير الذى ركز على الجانب
الصهيونى أكثر من الجانب العربى . وكانت النتيجة أن عرضت مسرحية "حدث
في رفح " للعديد من الانتصارات العربية ، والعديد من صور القتل
بالجنود الإسرائيليين . وتجدر الإشارة الى أن الكاتب يستخدم الكلمات
إسرائيلى ، يهودى وصهيونى بنفس المعنى وكل ما تعيده كلمة صهيونى
عند استخدامها التوسيع والعدوانية وما الى ذلك من المعانى البغيضة
ولكنها لاتعنى التحديد أو التفريق .

وتتميز المسرحية بأنها تكشف الدعاية الصهيونية التى تعمل جاهداً
على تشويه صورة البلاد العربية فى أعين اليهود العرب ، وذلك فى صورة
فنية تعادل الواقع . حدث ذلك مع الضابط هليل ذى الأصل العربى
المصرى الذى حاول والده أن يشوه صورة أمه المصرية المسلمة ويوهمها
أنها فرت مع عشيقها الأول . والأم هنا تقابل الوطن ، وتشويه صورتها
تشويه لصورة الوطن الأصلى مصر . وعندما يكشف هليل زيف هذه الدعاية
يقف بجانب أمه فى وجه جنود الاحتلال ، ويدخل معهم فى معركة تنتهى
بمصرع جميع الشخصيات اليهودية .

والصراع عند رشاد رشدى فى " الزهور لاتذبل أبداً " محير ، فهو
صراع بين " قرية عربية " وإسرائيل ، ولا يعلم أحد - حتى رشدى نفسه -
أين تقع هذه القرية ، فهو يصفها بأنها قرية عربية تبعد عن الأردن بنفس
بمدها عن إسرائيل وهى قرية صحراوية وساحلية ، ولما كان الواقع
الجغرافى لا يحوى مثل هذه القرية ، فإن لنا أن نتخيل عن طريق الاستبعاد
موقع هذه القرية ، فهى ليست أردنية لأنها تبعد عن حدود الأردن ، وهى

وهى ليست مصرية لأن عمدتها يتحدث عن " طلب المعونة من مصر " ، ولا يظل أماننا سوى الاستنتاج بأنها قرية فلسطينية تقع وسط الضفة الغربية ولكي يستقيم هذا الاستنتاج يجب أن نغض النظر عن كونها تتصل بمصر عن طريق البحر وعن كونها قرية صحراوية " وأيضاً عن كون القوات الإسرائيلية تخطت عشرات المدن والقرى الفلسطينية لتحتل هذه القرية بالذات ولكن من أجل ماذا ؟ من أجل محصول مزعة برتقال يقول المؤلف كأن هذا الصراع الدامي ، فهل يكفى هذا الدافع لإيجاد صراع قوى ؟ ؟

ربما كان من المفيد أن نذكر أن الكاتب يقتبس رواية من عيون الأدب العالمي ، وقد قامت القوات النازية - فى القصة الأصلية - باحتلال هذه القرية لوجود مناجم الفحم المحيطة بها ، ولأهمية الفحم القصوى فى إدارة الصراع فى الحرب العالمية الثانية . إذن هناك دافع بل ودافع قوى أيضاً وراء الصراع ، ولكن لأن رشدى كان مترجماً أكثر منه مقتبساً اكتفى بتحويل مناجم الفحم الى مزعة برتقال ، ناسياً - وهو مدرس الدراما - أن قوة الدافع هى التى تعطى الصراع قيمته ومحتواه بل وقوة دفعه .

ولنعد الى طبيعة الصراع لنجد أنه صراع فلسطينى - إسرائيلى ، وعندما يرسل عمدة القرية الى مصر طالباً المساعدة لأن " على الأحرار أن يساعدوا الأحرار " (١) نفهم من هذا أن الخطر قاصر على فلسطين وأن المساعدة مصرية من باب " مساعدة الأحرار للأحرار " .

وبعد أن قامت إسرائيل باحتلال سيناء ، لم ينظر الكاتب لما حدث على أنه صراع بل هو مجرد اعتداء (محاكمة عم أحمد الفلاح) بل إن الكاتب لم يبحث عن دوافع هذا الاعتداء - أو الصراع المسرحى - وربما كان فى وصف الكاتب لإسرائيل بأنها " دولة عيال " وإصلاحية أحداث " الدافع من وراء هذا الاعتداء ، على أية حال لم يجد الكاتب دوافع أعنى

(١) الزهور لا تذبل أبداً ص ٤٤

من ذلك لهذا جاء الصراع - في المسرحية - فائرا لا هدف له ، وإن ظهر في " محاكمة عم أحمد الفلاح " أن هدف الكاتب الأساسي إظهار قسوة الجندي المصري العملاق في مقابل ضعف وجبن الجندي الإسرائيلي القزم ، لذا فإن الصراع - للمرة الثالثة - غير متكافئ .

تتشترك مسرحية " الكوميديا اليهودية " لمصطفى السعدنى مع مسرحية باكثير " إله إسرائيل " في كثير من خصائص الصراع ، فهي تقوم على الصراع بين الخير والشر ، وتشترك معها في إضفاء الطابع الدينى على الصراع فهو صراع بين اليهود من جهة وبين المسيحية والإسلام من جهة أخرى ، وتشترك معها أيضا في التأثير الكامل بـ " بروتوكولات حكما صهيون " وتشترك معها أخيرا في ذلك الخلل الفنى المتمثل فى عدم عرض طرفي الصراع والتركيز على جانب واحد هو الجانب اليهودى فجاءت المسرحية استعراضا لجوانب من حياة اليهود وتعاليم اليهودية وبالذات الفكرة الماشيكانية .

وتقوم المسرحية على تتبع حركة شبتاى تسيفى المسيح اليهودى والسذى يسمى من أجل خلاص اليهود وسيطرتهم على العالم ، وهذه الفكرة جوهرية فى العقيدة الماشيكانية ، ونادى بها كل المشحا اليهود الذين ادعى كل منهم أنه المسيح الحقيقى (١) وإذا نظرنا الى طرفى الصراع من وجهة النظر اليهودية ، نجد أن اليهود يسمون كل من هو غير يهودى جوييم ويقولون عنهم :

حاييم : هذه الحشرات البشرية خلقت لخدمتنا ، ولكن ثار العبيد على السادة وتحكم الجنود فى الملوك (٢)
ويوضح ايليا صورة العالم بعد أن يسيطر عليه اليهود :

(١) د . حسن ظاظا . الفكر الدينى الاسرائيلى ص ١٣٤ - ١٤٥

(٢) الكوميديا اليهودية ص ٢٧

إيليا : عالم من جنس واحد هو الجنس اليهودى على أن يضم الجوييم
الى الجنس الحيوانى - ومع ذلك فقد أكرمنا الجوييم فمن بين
الحيوانات ما هو أفضل منهم وأكثر منفعة وأقل ضررا سيحول المسيح
الجوييم الى نوع جديد من الجنس الحيوانى اسمه المبيد السائمة
تجمع بين صفات الحيوانات والمبيد ..

سارة : وهل يصير جوييم المستقبل على أربع ؟
إيليا : ليس من مصلحة اليهود ذلك إنما نريد أن نقضى على الصفات
التي اكتسبها الجوييم من انطلاقاته الأخيرة فنحدد من قواء العقلية
.. سوف نجرى عليه التجارب المختلفة سواء بالمعاشرية الجنسية
مع الحيوانات المناسبة أو بالتلقيح . (١)

هذا عن الطرف الأول فى الصراع ، الجوييم ، أما الطرف الثانى
فهو اليهود ، ولعل نظرتهم لأنفسهم وللجوييم - فى المرحلة -
هى التى تحدد طبيعة هذا الصراع - فكيف يرى اليهود
أنفسهم :

سارة : لماذا اختارنا الله لتكون شعبه دون بقية الشعوب ؟
حاييم : لأننا أول من اكتشفه واعترف وآمن به . ولأنه أودعنا صفات لم
يفر بها بقية البشر - ألا يكفى هذا بإسارة : نحن فوق البشر . (٢)
ويضيف فى موضع آخر " لو فتحت جمجمة يهودى فرأيت فيها مخا
أكبر من مخ الجوييم " (٣)

وهذا الموقف من النفس ومن الآخرين هو الذى حدا بشعوب العالم
المختلفة الى اضطهاد اليهود ومنع تداول كتبهم الدينية ،
وخاصة التلمود منها : (٤)

(١) المرحلة ص ٦٢ - ٦٣

(٢) المرحلة ص ١٨

(٣) المرحلة ص ٣٤

(٤) انظر . ظفر الاسلام خان . التلمود ص ٤٠ - ٤٣ حيث يستعرض كثيرا من
القرارات بإحراق التلمود ومنع تداوله عبر العصور .

حاييم : لقد حاول كثير من خصوصاً إجبارنا على التخلي عن الشريعة .
فقد منع الامبراطور أدريانوس أجدادك من قراءة التوراة كما أمرت
محاكم التفتيش بحرق التلمود . (١)

وهذا الموقف هو الذى دفع اليهود منذ القدم الى التفكير فى
السيادة على العالم وهذا التفكير الذى كان رد فعل سيكولوجى
جماعى وطبيعى لفترات الذل والعبودية التى مر بها اليهود فى
القديمة :

حاييم : اتخذ الحاخامات من القرارات الخطيرة التى لو نفذت لاستطاع
اليهود أن يحققوا سيادتهم على هذا العالم فى يسر وسهولة .
وإذا كان مارلو قد ربط بين يهودى مالطه وتعاليم ميكافيلسى
بصراحة ، فإن الكاتب هنا يربط بين اليهود والطريقة الميكافيلية
ضمنياً ، وذلك فى سبيل تحقيق أهدافهم :
حاييم : باختصار إننا نتبع أساليب الشيطان لنحقق بوسائله رغبة الله
فى سيادتنا (٢)

وطريقة السيطرة على العالم تبدأ دائماً بالسيطرة على العالم العربى والإسلامى يقول مسيحيهم :
شبتاي : ما أحلى العالم الإسلامى من لقمة سائغة لليهود - أكاد أتصور
الأماكن المقدسة التى وطئتها أقدام أنبياء إسرائيل من الفترات
الى النيل وقد وقعت فريسة فى قبضتنا .. إن هذه الأقاليم
العربية الشاسعة هى نواة مملكة إسرائيل - هى أول دولة لأن
شعوبها وحكامها قد أصبحوا بمرض النوم . (٣)

ومن الواضح أن الكاتب يترك التاريخ جانباً ليشير الى الواقع المعاصر
منهما ومحدراً ، ونحن نعلم أن حكام الأقاليم العربية فى تلك الفترة منتصف
القرن السابع عشر - لم يكونوا منها بل كانوا أتراكاً لذا فهو يشير صراحة
الى حكام الأقطار العربية اليوم .

(١) المسرحية ص ٢٣

(٢) المسرحية ص ٢٥

(٣) المسرحية ص ١٢٨

ويقدم المسيح اليهودى ، شبتاى تسمى ، الطريقة المثلى للسيطرة على العالم ، وتمهد هذه الطريقة مفتاح هذا الصراع الطويل بين اليهود والجويم :

شبتاى : لكى نسود العالم يجب أن نحطمه أولاً . . . سنلجأ الى كل أدوات التحطيم المادية والمعنوية ووسيلتنا الى هذا المياسة والعنف والإرهاب والتخريب والحرب والرشوة والوقيمة . وقانوننا الحق للقوة وبالذهب نشترى كل مايباع ويشترى .

سارة : إن تشجيع الرذيلة يؤدى الى انحلال مجتمع الجويم .
شبتاى : إن إفساد مجتمع الجويم واجب المرأة اليهودية فى المعركة القادمة . (١)

كما يقرر شبتاى أن من أهم وسائل السيطرة على العالم إغراق الحكومات فى الديون (اليهودية) وبالتالي يمكنهم التدخل فى التعيينات للمناصب الكبرى ويضمنوا تميمين العملاء .
وبالتالى جاء الصراع الدينى مع المسيحية والإسلام جزءاً من الصراع الأكبر من أجل تحطيم العالم ، ثم السيطرة عليه ، يقول حايسيم فى ذلك :

حايسيم : عطلنا عيسى بن مريم لذلك صلبناه - ثم جاء محمد وحاولنا القضاء عليه ، وسياستنا الآن الوقيمة بين المسلمين والمسيحيين ليقضى كل منهما على الآخر ، كانت الحروب الصليبية قسمة نجاحنا فقد استمرت متقطعة أكثر من أربعمئة عام (٢) كان أجدادك وراة جميع الأديان حتى أفسدوها وأفسدوا أصحابها أو كادوا . كانوا وراة جميع الحروب والمنازعات حتى نشروا العدواة والنار بين الجويم (٣) .

وهكذا تحول عملية إفساد "الجويم" الى طقوس دينية يهودية

(١) المسرحية ص ٩٥ ، قارن كلام شبتاى السابق مع بروتوكولات حكما صهيون

ص ٢٥ - ٣١ .

(٢) يخطئ الكاتب فى تحديد مدة هذه الحروب ، فهى لم تستمر أكثر من مائتى عام وذلك من عام ١٠٩٧ حتى عام ١٢٩٢ . انظر د . أحمد شلبى ، الحروب الصليبية ص ١٧ ويرى د . أحمد شلبى ما رآه الكاتب من أن اليهود كانوا وراة هذه الحروب ص ٩

(٣) المسرحية ص ٣٤

يرددونها بفشوع ، ويتخذ المسيح اليهودى من هذه الأمور منهجاً له
فى سياسته المستقبلية :

شبتاي : جئت للقضاء على دين عيسى ودين محمد ، جئت لأنتقم من
المسيحيين والمسلمين . . جئت لأنتقم من البابليين واليونانيين
والرومانيين .

جئت لأنتقم لموسى من فرعون وآل فرعون . (١)

وهكذا يتم استعراض الأفكار اليهودية عبر مئات السنين ، والتعاليم
التلمودية التى تتحد جميعاً عند شبتاي تسمى الذى سيقوم ملكوت
إسرائيل فى فلسطين والعالم العربى ثم العالم كله ، ولا يغفل الكاتب
بعض القضايا الجوهرية فى الصراع العربى - الإسرائيلى المعاصر ، حيث
تقوم فكرة أرض الميعاد والفكرة الصهيونية على صفاء الجنس اليهودى ، فيعرض
الكاتب لبعض الحقائق التى تهدم هذه الخرافة .

إيليا : أحب أن أذكركم وقد درست الشريعة وعرفت أسرارها أن هناك
ملايين من اليهود الحاليين لم تجر فى دماهم قطرة من دماء
نسل الاثنى عشر قبيلة .

بريمو : ومن أين أتوا إذن ؟

إيليا : لقد اضطر أجدادنا لمواجهة النقص المتزايد فى تعداد اليهود
بسبب المذابح والاضطهادات المسيحية الى أن يشجعوا الأسرى
والمبيد الذين كانوا يعدون أحط طبقات المجتمع ، على اعتناق
اليهودية .

كان المبيد يرحبون باعتناق اليهودية حتى يرتفعوا الى أعضاء
فى شعب الله المختار . (٢)

وهكذا يصبح من السخيفة أن يطالب كل شخص داخل اليهودية
بفلسطين أرضاً له لمجرد أنه أصبح يهودياً ويشير د . عبد الحميد

(١) المسرحية ص ٨٤

(٢) المسرحية ص ٣٤

متولى الى أن " إسرائيل قبلت أشخاصا اعتنقوا اليهودية حديثا وهم سكان قرية كاثوليكية إيطالية هي (San Nicandro Carganico) (١)
وهاجروا الى إسرائيل " (١) كما يربط المؤلف فى المسرحية بين الصهيونية والاستعمار ، وهو يعلم تمام العلم أن مصطلح الصهيونية لم يكن قـد وجد فى الفترة التاريخية التى يتحدث عنها ، وهى منتصف القرن السابع عشر :

شبتاي : إن سياسة الدول الاستعمارية تسير فى خطها العريض مع مخططات صهيون . . فطريقنا طريقهم وهدفنا هدفهم . . هم طلائعنا بجيوشهم وأجهزتهم ونحن معهم بذهبنا وهبرتنا .
إيليا : سوف يحارب اليهود بآخر جندي استعماري . . بآخر جندي غربي . (٢)

وسواء تعلق الأمر بمخططات اليهود قبل ألفى عام أو زمن شبتاي تسيفى أو العصر الحديث ، فإن السمة السائدة لبعض هذه المخططات والتعاليم أن الكاتب يسوقها بطريقة السرد والقص ولانجد شيئا منها عن طريق الحدث المباشر ، لهذا قلنا إن المسرحية أقرب الى استعراض حقائق وتواريخ وتعاليم يهودية ضد الإنسانية منها الى الصراع بمعناه الفنى ، وآية ذلك أن هذا الصراع لم ينته الى حل ، فقد أنهى الكاتب مسرحيته عند أول منحنى فى حياة شبتاي تسيفى وذلك عند محاكمته التى آثر فيها الدخول فى الإسلام - خوفا من الإعدام - على أمل أن يحدث فى الإسلام أمرا يقضى عليه ، وهذه النهاية التى اضطر اليها الكاتب ليست نهاية تاريخية ، فلقد استمر شبتاي - التاريخى - بمسيرة المحاكمة فى محاولات إفساد الدين

(١) نظام الحكم فى إسرائيل ص ٢٤٣ معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٦٣

(٢) المسرحية ص ١٢٧

الإسلامي ، وكون فرقة جديدة باسم الدونية كان لها آثارها في التاريخ ، بل إن الحركة الشبانية ظلت قوية وتفرعت حتى بعد مئات صاحبها (١) وهي كذلك ليست نهاية فنية لأنها لم تكن حلا لأية مشكلة أو حسا لصراع ، لقد أنهى الكاتب مسرحيته عند هذه النقطة لأن المسرحية قد طالت بشكل لم يكن من الممكن معه أن تطول أكثر من ذلك .

* * *

يعرض الشرقاوي في مسرحية " وطني عكا " للصراع بمستويات متعددة ، فهناك الصراع العربي - الإسرائيلي في صورته العسكرية ، والذي تحتل فيه المقاومة الفلسطينية الجزء الأكبر من المسرحية ، وهناك الصراع العربي - الإسرائيلي في صورته الشاملة ، وهناك الصراع الإعلامي ، وأخيرا صراع يهودي - يهودي .

يعرض الكاتب لبداية الصراع على لسان حازم الفهري الذي يروي كيف خرج من عكا :

ارهابي إسرائيلي : اخرجوا . عودوا إلى الصحراء عكا ملكنا .. إنها صارت لنا .

حازم : إنها صارت لكم ؟ إن عكا من فلسطين فمن أنتم إذن ؟ ؟

— لم يعد شي هنا يدعى فلسطين أنفهم ؟

هاهنا دولة إسرائيل تملن .

— أنت جاري جئت من عام فأكرمك لم أمدد يدى نحوك بالسـ

فماذا غيرك ؟

— هذه الدار لنا هي والبستان أيضا .

فإذا لم تمثل لي أقمعتك القنبلة . (٢)

(١) انظر : المسيح اليهودي ص ٢٠٥ وما بعدها . منى كاظم دار

الاتحاد . ابوظبي سنة ١٩٨٦ .

(٢) وطني عكا ص ٣٠

وإذا كانت الصهيونية قد ظنت أن إقامة إسرائيل في المنطقة العربية
يعنى نهاية لصراع دام خمسين عاما منذ المؤتمر الصهيوني الأول ، فقد
فوجئت أن اعلان قيام إسرائيل كان بداية صراع جديد طويل ومرير ، فقد
نظم الفلسطينيون صفوفهم وبدؤوا حركة مقاومة مسلحة قوية ومنظمة جعلت
الإسرائيليين بكل أسلحتهم المشطورة لا يشعرون بلحظة أمان واحدة ، تقول
مارجو عن الفدائيين الفلسطينيين :

مارجو : أنا لا آمن أن أمشي في الليل وحيدة .
انهم ينتشرون الآن في الليل كقطعان الذئاب .
أنت لا تعرف من هم من جموع السائرين .
أنت لا تعرف كيف انشقت الأرض لكى تخرجهم .
وإذا قبلة تنصف بخته ، وإذا أنت وقد نالتك ضربة (١)

وما يؤكد هذه الصورة التي رسمها الشرقاوى أن الصحف الإسرائيلية
قد ذكرت أن المتاجر والبنوك في مدينة بير السبع في جنوب إسرائيل قد
أغلقت أبوابها يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٤ عندما تجول ثلاثة من الفلسطينيين
فيها لمجرد أنهم كانوا يرتدون الكوفيات العربية على رؤوسهم (٢) هذا
النجاح الباهر للمقاومة الفلسطينية يفقد السلطة العسكرية في إسرائيل صوابها
فتحاول أن توقف هذه المقاومة بالبطش والتدمير وتعذيب الجميع ، فتقوم
بنسف قرى بأكملها لكن ذلك كله لا يزيد المقاومة إلا اشتعالا ، فيقوم الفدائيون
بنسف مصنع للقنابل في سيناء ، ونسف " المحطة " والقنايل على مراكز
تجمعات الجيش الإسرائيلي ، كما يقومون بنسف نادر للضباط الإسرائيليين .
ووسط مظاهر النضال الذى يخوضه الفدائيون تصلهم أنباء عن إغراق الزوارق
المصرية للمدمرة الإسرائيلية " إيلات " مما يرفع من معنوياتهم أكثر لشعورهم
أن العرب جميعا يشتركون في هذا الصراع ، وقد زاد من هذا التلاحم

(١) المسرحية ص ١٠٣
(٢) انظر : ش . ف . هل بدأت تتحقق نبوءة توينبى ص ١٧٣ محمد أحمد
رمضان ع ٤٩ سنة ١٩٧٥ .

العربى انخراط كثير من المصريين من أبناء سيناء فى صفوف المقاومة الفلسطينية

وينقل مارسيل هذا الاحساس بالخطر الدائم فى إسرائيل ، هذا الخطر الذى يعنى أن مخازن السلاح وحدها لا يمكن أن تبني دولة مالم يكن لهذه الدولة بقية المقومات الاساسية :

مارسيل : أفنحياً خلف أسوار من الألغام طول العمر : كلا كيف تحيا هكذا فى الذعر دولة

بينما يرى القائد الإسرائيلى يعقوب أن هذا الخوف والذعر يمكن إسكاته بمزيد من الإرهاب والعنف ضد الآخرين عموماً ومصر على وجه الخصوص : يعقوب : إنما تدفعهم مصر الى هذا وبعض الدول الأخرى التى من حولنا فليتكس رأس مصر .

إن هذا الرأس إن يرتفع اليوم فلن يخشع من بعد لنا " للآخرين بحدة " ستغفرون على غرب القتال فلندمر كل مانقوى على تدميره من منشآت فلنبعد كل الذى نلقاه منهم من نساء ورجال مارسيل : فإذا هم قابلوا الغارات بالمثل وجاءوا لضرب المنشآت واستباحوها قتل من يلقون منا هاهنا ؟ ؟

ويبرز الكاتب الضرور والاستعلاء الصهيونى ، والإحساس بالتفوق الذى يحكم العقلية الإسرائيلية ، يجيب يعقوب على هذا التساؤل لمارسيل : يعقوب : إنهم لن يقدروا (١)

ويفسر الاستاذ أمين هويدى هذا السلوك العدوانى بقوله " إن مصداقية

أى عقيدة عسكرية تتوقف على وسائل تنفيذها والعزيمة لاستخدام هذه الوسائل إذا دعت الظروف لذلك . إذن يحتاج الردع الى مزيج من العوامل الثلاثة الآتية : توفر القوة + الإرادة والعزيمة لاستخدامها + تصديق العدو لهذين العاملين .

الا أنه في الجانب العربى توجد فجوة كبيرة بين " امتلاك وتوفر القوة " وبين " العزيمة لاستخدامها " مما يؤدى الى إسقاط الطرف الثالث من المعادلة وهو تصديق العدو لهذين العاملين . والنتيجة الحتمية لهذه الفجوة الخطيرة تشجيع إسرائيل على ممارسة العدوان بصفة مستمرة لغياب " القدرة على العقاب " . (١)

وغياب " القدرة على العقاب " هذه تولد مزيدا من العدوان ، ومزيدا من الغرور والاحساس بالتفوق ، هذا مايلقنه القائد الإسرائيلى لجنسوده عام ١٩٦٢ :

يعقوب : إنما الواحد منا بالذى نملكه من علمنا يعدل منهم مائتين .
فلنباغت كل ما عندهم من طائرات . وهى فى جوف الحظائر .
اجعلوا سينا جحيما للجيوش الزاحفة .
املأوا بالرعب قلب الناس فى كل مكان فى المدن .
اسحقوا من غير رحمة . دمروا من غير رجعة . (٢)

ويدرك الكاتب بعمق ان الصراع العربى - إسرائيلى ، وأنه صراع بقسا ، وأن الخطر الصهيونى لا يقتصر على فلسطين التى اختفت عن الخريطة العربية ، ولكن الخطر يهدد الخريطة كلها بالاختفاء . وبينما كان الفدائيون يتسللون لمصنع القنابل لتفجيرها كان الحراس الإسرائيليون يبنون أنفسهم بهذه الأمان

(١) الصراع العربى الإسرائيلى بين الرادع التقليدى والرادع النووى ص ٢١ .
دار المستقبل العربى . القاهرة سنة ١٩٨٣ .

(٢) المسرحية ص ٤٠

التي يعيش بها الصهاينة "زنا رغدا" :
الحارس : متى نعبّر نحو الغرب . . متى نحتلك يا مصر - متى يتجمع كل
يهود الأرض ونخلق إسرائيل الكبرى .
الحارس ٢ : ومتى تخلفق رايقتنا فوق الأردن الموعود وسوريا .
الحارس ٣ : وفوق هضابك يا لبنان
الحارس ٢ : وفوق قبلك يا بغداد وفوق سمائك يا يثرب (١)

ويكون الانفجار الضخم الذي يأتي على مصنع القنابل بأكمله هو الرد الذي
يضعه الكاتب لهذه النوايا التوسعية ، التي يلقنونها أطفالهم دون أدنى
اعتبار لحق غيرهم في الحياة ، تقول مارجو لابنها الصغير وهي تلقنه أول دروس
الصهيونية :

مارجو : فمن شاطئ النيل حتى الفرات ستمتد دولتنا المقبلة .
على جيلكم عبء تحقيق هذا . تذكر من النيل حتى الفرات (٢)

وتقوم وزارة المعارف الإسرائيلية بدور كبير في زرع هذه النوايا العدوانية
التوسعية في عقول التلاميذ ، فقد قال النائب الإسرائيلي مئير فيلز (١٩٧٠)
في الكنيست منتقدا مواضيع التعليم التي تربي على الشوفونية والروح العسكرية
والتعصب القومي ، إنه يتوجب على ابنه وعمره ١٢ سنة دراسة وحفظ
الفقرة التالية في المدرسة : " كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من
البرية ولبنان من النهر نهر الفرات الى البحر الغدس يكون تخضمك . لا يقف
إنسان في وجهكم الرب إلهكم يجعل خشيتكم وروعكم على كل الأرض التي
تدوسونها كلما كلمكم " (٣) وسعبارة أخرى فإن " إسرائيل الكبرى " ليست
موجودة فقط في عقول غلاة الصهاينة بل إنها موجودة أيضا في برامج
تعليم الأولاد والتي تضعها وزارة المعارف الإسرائيلية (٤)

(١) المسرحية ص ٧٧

(٢) المسرحية ص ١٠١

(٣) سفر التثنية ١١ : ٢٤ - ٢٥

(٤) ش . ف . التربية القومية في المدارس اليهودية . يوسف حمدان ص ١٦٦

يجبروه على العودة الى إسرائيل لكن دون جدوى .

كما يردد القادة الإسرائيليون المقولة التي أعلنها هرتزل قبل قرابة قرن من الزمان ، من أن إسرائيل بمثابة " : حائط لحماية أوروبا . يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية " (١) فعندما يطلب مارسيل اليهود بأن يعودوا الى أوطانهم ويتركوا أرض الآخرين التي غصبوها :

سلامسكى : نحن نور هاهنا في ظلمة الشرق مضى .
روبرتو : فإذا نحن انسحبنا مثلما يطلب مارسيل انطفاً . (٢)

ويؤكد يعقوب هذه المقولة في موضع آخر ، والمفارقة أنه يردد هذه المقولة أثناء نفس بيوت الأبرياء وتعذيبهم :

يعقوب : أجل نحن تقدمنا وأصبحنا منارة هذه البقعة . (٣)

كما يبنى الكاتب المسرحية على صواع آخر ، صراع غير عسكري لكنه مواز له ، فهناك حرب المخدرات التي تشنها إسرائيل ضد مصر والدول العربية من أجل " تنويم " الشعب العربي ، ويعرض يعقوب - القائد الإسرائيلي - على أبي حمدان - المناضل المصري الذي يوهم اليهود أنه يعمل معهم ويحتفظ بعلاقة خاصة مع يعقوب لأنه أنقذ الأخير من التيه في سيناء - يعرض عليه أن يحمل كمية من المخدرات ويسلمها الى التجار في القنطرة لكي يبيعوها في مصر ، فيرد أبو حمدان إن الشعب المصري بدأ يصحو ولا يريد مخدرات ، فيخرج يعقوب صورا من جيبه للشباب في أماكن متفرقة من مصر (أغلبها دور اللهو والفنادق الكبرى) ويعرضها على أبي حمدان وفيها مناظر للفجور وشرب المخدرات ويعقب بقوله :

يعقوب : فليغرق كل شبابهم في الرقص وفي هذيان الجنس فلنشغلهم بالتحشيش ..

(١) الدولة اليهودية ص ١٢٠ الفكرة الصهيونية . النصوص الأساسية .

(٢) المسرحية ص ١٢٧

(٣) المسرحية ص ١٢٩

ابو حمدان : " يضحك مقاطعا " والا انشغلوا بالحرية والتحرير . (١)

ولا زالت إسرائيل تتبع هذا الأسلوب وغيره - في محاولة إغراق الشباب المصري في المخدرات الى اليوم . ومن الحروب غير العسكرية يركز الكاتب على الحرب الإعلامية ومحاولة كسب تأييد الرأي العام العالمي ، ويشير الى سيطرة الصهيونية على كثير من وسائل الإعلام في العالم وتحكمهم فسي المواد المنشورة ، " إذ يبلغ عدد المطبوعات اليهودية المنتظمة الى تصدر في العالم بشتى اللغات ٩٥٤ جريدة ومجلة وهي تصدر في ٧٧ بلدا ، هذا بخلاف الصحافة العامة التي يسيطر عليها اليهود بطرق مختلفة أولهم محررين فيها ، كذلك يستخدم سلاح الإعلانات للتروغيب والترهيب لكبريات صحف العالم ، ويملك اليهود معظم دور النشر الكبرى في الولايات المتحدة وقد أصبح معروفا في العالم الغربي أن كل من يكتب كتابا مناوئا لإسرائيل والصهيونية يجد صعوبة بالغة في نشره " . (٢) تبدأ الحروب الإعلامية إذن ولكن من جانب واحد هو الجانب الإسرائيلي الذي استطاع بذلك كسب الرأي العام العالمي في صفه :

حازم : متى يقتنع العالم ياسيدي قن لي كيف والعالم ملك لليهود (٣)
لكن الكاتب ينحى باللائمة على العرب لانهم لم يقوموا بمعرض قضيتهم على العالم كما فعل اليهود ، وتركوا هذه المساحة تماما للدعاية الصهيونية لتشكيل الرأي العام كما تريد ، تقول الصحفية :

ايي : أينما يعرف عنكم أنكم أصحاب حق قد سلب
ليح في العالم إنسان لديه الوقت كي يبحث عنكم

-
- (١) المسرحية ص ١٢٠
(٢) ش . ف . حول وسائل الإعلام الصهيونية وأساليبه . مروان كنعان ص ٨٠ ع ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .
(٣) المسرحية ص ٢٥

انكم لم تحسنوا عرض قضايكم علينا
فاتلوكم عكسوا وضع القضايا واكتفيتم بالسباب
قرعوا الأبواب حتى المغلقات • واعتزلتم انتم خلف مأسبكم وخلف
الكبرياء
انكم قد أغلقتم الباب عليكم واكتفيتم بالبكاء (١)

ولكن الدعاية العربية تأخذ في التحرك شيئاً فشيئاً ، ومع هذه البدايات
نجد تحولاً في آراء الصحفيين الأجانب ، وتعترف شخصية يهودية بأن
" كل شرقاً العالم " يتحولون لناصر القضية العربية وذلك على الرغم من
أن الاعلام العربي لم ينشط بما فيه الكفاية •

يتميز الصراع في هذه المسرحية بتوازن في الارادات المتصارعة مما أ طال
أمد هذا الصراع سواء كان ذلك على المستوى العسكري أو الصراع السياسي
والاعلامي ، وينبه الكاتب الى أهمية الصبر والصمود " في هذا الصراع
الذي يعتمد - كما يقول العسكريون - على (طول النفس) ويستغرق
لتأكيد هذه الفكرة صورة من صور الصراع عند العرب في الجاهلية تعرف
باسم " السابغة " وتعني أن يعض كل من الخصمين على أصبع
الآخر حتى يمزق أحدهما من الالم أولاً فيكون هو المهزوم (٢) والملاحظ
أن العرب - في كل " السابغات " مع إسرائيل - يصرخون أولاً •

على أية حال فإن سوق هذا المثال للصراع يعني التكافؤ في الصراع
الفني في المسرحية ، لكن شاب هذا الصراع آفة الحساس ما جعله يخرج
- في بعض الأحيان - عن الخط السليم ، برز ذلك الحساس في التحول
السريع في الشخصيات الأجنبية واليهودية الى جانب القضية العربية ،
حتى آمنت أغلبية الشخصيات اليهودية بعدم أحقية إسرائيل في الوجود
وهذا يعني أن الكاتب يعول على تحول اليهود عن الصهيونية أكثر مما

(١) المسرحية ص ٧٤

(٢) انظر المسرحية ص ١٠

يعمل على مقدرة العرب في هذا الصراع .

أما نهاية الصراع فقد ظلت مفتوحة ، وقد كانت إحدى عمليات المقاومة الفلسطينية نهاية للمسرحية مما يعنى أن النصر والفلبة في هذا الصراع ستكون للإرادة الفاعلة . كما تتجلى في هذه المسرحية جدلية الصراع من حيث علاقة الصراع العربى - الإسرائيلى بالصراع اليهودى - اليهودى وتأثير كل منهما في الآخر .

يستمر هذا التعدد في مستويات الصراع في مسرحية " النار والزيتون " لألفريد فيرج ويبدأ الكاتب بتوضيح أن هذا الصراع ضد الصهيونية وليس ضد اليهودية ، ويزيد الأمر وضوحاً مبيناً أن الصهيونية تضر بالإنسان اليهودى أيضاً ، ويركز على أن اليهودية دين وليست جنساً (١) ، ويستخدم الكاتب تقنيات المسرح التسجيلى لتقديم هذه الحقائق الجوهرية ، فيتقدم شخص باسم " باتاى " مدير معهد هرتزل بنيويورك :

باتاى : إن ما وصل إليه علم الأنثروبولوجيا الطبيعية يبين بعكس المعتقد الشائع أنه لا يوجد جنس يهودى . (٢)

فالصهيونية تنادى إذن بالجنس اليهودى النقى من أجل جمع أكبر عدد ممكن من اليهود للسيطرة على فلسطين . فكيف نجحت الصهيونية في مسعاها ، وكيف تمكن آلاف اليهود من هزيمة ملايين العرب في هذا الصراع ؟
لكنى يوضح الكاتب هذه الأشياء يقدم نظرة جديدة تصلح لأن تكون إطاراً لكل أنواع الصراع في المسرحية ، فالصراع بين العرب وإسرائيل . في مظهره فقط ، ولكنه في حقيقته أشمل من ذلك

Juan Comas,

(١) كتبت أبحاث قيمة حول هذا الموضوع . انظر :
"The Myth of the Jewish Race, " Issues ACJ, Winter 1965-1966
PP. 21-23.

وانظر د . جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا .
(٢) النار والزيتون ص ٢٠

بكتير ، فهو صراع المدل والحرية والسلام ضد الظلم والاستبداد ، " فمن خلال طرح مؤامرة الرأسمالية العالمية والامبريالية والصهيونية لاغتصاب فلسطين يتوصل الكاتب الى طرح القضية على مستوى كونى بحيث تصبح القضية الفلسطينية جزءاً من الثورة العالمية ، فى انجولا ، فيتنام ، بوليفيا وغيرها ضد الامبريالية فى كافة وجوها والتي اكتسبت فى مرحلتها الأخيرة ملامح الصهيونية العالمية " . (١) وتبدأ المسرحية بالمغنيين يرددون :

المغنون : المسألة تخصك

ان كنت فى لبنان فى ليبيا كنت فى المغرب
او فى تقول ما يهمنىش - المسألة تخصك - طشان عليك الدور ..
حييجى بعدنا دورك - طشان حياتك - طشان بلادك حريتك
دارك - مستقبل ولادك المسألة تخصك

فالخطر فى البداية مركز على العالم العربى الذى يحانى بصورة مباشرة من هذا الظلم ، لذلك يبدأ الكاتب بتعبئة العرب الى عدم الركون للطائفة او السلبية التى تهدد كل شىء ، ثم يعود الكاتب لطرح القضية على المستوى العالمى ، وهذا الطرح ليس بدعاً ، " قضية الانسان المعاصرة هى قضية الحرية والمسئولية ، وهى بطبيعة الحال ليست قضية جديدة فى حياة الانسان لانها قضية اليوم بل هى قضية قديمة عرفها الانسان وواجهها الفلاسفة والمفكرون منذ امد بعيد ، وكل ما فى الامر أنها صارت فى عصرنا الحاضر أكثر حدة وأشد بروزاً " . (٢) ونفس الطريقة التى تم عرضها على المستوى الإقليمى يتم عرضها على المستوى العالمى .

المغنون : ان كنت فى آسيا فى افريقيا فى أوروبا

-
- (١) د . أمين الميوطى . دراسات فى المسرح ص ١٦٦
(٢) د . عز الدين اسماعيل : قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر ص ٣١٤ دار الفكر العربى - القاهرة سنة ١٩٨٠

لو كنت ساكن ركن هادى فى بلد هاديه ، ولا فى بالك
او عنك تقول ما بهمنيش المسألة تخصك
علشان ضميرك حى بيغزك ... علشان شظايا الحرب تخصيك
وحتجرك

ثم يقدم تفسيره لهذه النظرة الشمولية للصراع الذى لا يتجزأ
سهما تجزأت مظاهره :

واعلم بأن الظلم واحد والمدو واحد
والعدل والحرية واحدة . والسلام واحد
والعالم الواسع ده واحد والظلام واحد
او عنك تقول ما بهمنيش - علشان حياتك - علشان بلادك
حريتك . دارك . ومستقبل ولادك
خذ بندقية أو علم أو ميكرفون .. وادخل معنا الصف صف
الناشرين (١)

ولأن الصراع عالمى فإن اسرائيل ليست سوى جزء من الامبريالية العالمية ،
وقد ارتبطت بها منذ ولادة الفكرة الصهيونية ، فقد أدرك هرتزل المنفعة
التي ستعود على الامبريالية الغربية من قيام هذه الدولة ، كما أدرك ان
الامبريالية هي التي " ستضمن وجودنا فى المقابل " (٢) وهكذا ترسست
المصالح المشتركة بين اسرائيل والامبريالية العالمية برباط وثيق :

الشاب : القيادة الحقيقية للحركة الصهيونية تعتبر نفسها جزءا من الاستعمار
الغربي ، ولا تسمى الا لمجرد التمييز فى داخله وذلك للاشتراك
كطرف مستقل فى اقتسام الكرة الأرضية . (٣)

وهذا ما نادى به هرتزل أيضا منذ البداية ، وقال إن " على اليهود

(١) المسرحية ص ٢٠

(٢) الدولة اليهودية ص ١٢٠ الفكرة الصهيونية . النصوص الاساسية .

(٣) المسرحية ص ٢٠

ان ينتهزوا الفرصة المواتية ليصبحوا (انجلترا صغيرة) - لنبدأ بالحصول على مستعمراتنا أولا ، ويقوة هذه المستعمرات سنقوم بغزو وطننا " (١)

ومن أجل تحقيق هذه الاهداف الصهيونية الاستعمارية ، تضخى الحركة الصهيونية بأرواح اليهود العاديين ، ومن أجل ذلك تنادى المسرحية بأن تحرير فلسطين يعنى فيما يعنى تحريراً للإنسان اليهودى من الصهيونية " فالصهاينة يتآمرون على العرب لكنهم فى الوقت نفسه يراهنون " بشعبهم " رهانا غير مأمون المواقب إذ يزرعون كيانا عدوانيا دمويا ، لابد أن تكون طبيعته كذلك واذ يجعلون منه مجرد مقلب لمطامع الاستعمار العالمى الجديد " (٢)

ويقوم أحد قادة المقاومة - فى المسرحية - بتوضيح هذه الفكرة بقوله : القائد : إسرائيل بلد علمانية لادينية ، والطبقة الحاكمة فى إسرائيل علمانية ولادينية ولها عقلية المستعمرين الأوروبيين وهى قد تستغل الحافز الدينى وحوافز أخرى أيضا لكى تدفع باليهودى العادى الى ارتكاب جريمة الاحتلال والحرب والقتل فى فلسطين لتدعيم مخططاتها فى الاستعمار الاستيطانى وتدعيم المصالح الامبريالية فى الشرق السرى استطاع هتلر أن يسوق ملايين الشباب الألمانى ضد الديمقراطية وضد الحضارة وضد الإنسانية بتزييف الحوافز لهم ، بينما الذين كانوا يمولون ويستثمرون عدة الحرب الألمانية كانوا أصحاب البلايين والاحتكاريين الألمان " (٣)

ويعود الكاتب لتأكيد الصفة العالمية للصراع ، ولكن بكثير من التحديد وقليل من الطوباوية هذه المرة ، فإذا كان قد بدأ المسرحية بمعرض الصراع بين العدل والحرية والسلام وبين الظلم والظلام ، فإنه يروى هنا

(١) عن : د . عبد الوهاب المسيرى ، الأيديولوجية الصهيونية قسم ١ ص ١٢٤ .

(٢) د . عصام بهى : الشخصية الشريرة فى الادب المسرحى ص ٢٢٤ .

(٣) المسرحية ص ٨٣ .

سبب صراع العرب مع إسرائيل على لسان أحد الفدائيين الفلسطينيين :

أبو عريف : لأنها انقضت أرضنا وميوتنا وطردتنا من بلادنا . لأنها تشغل
أخطر أنواع الاستعمار الإجلائي ولأنها قاعدة للإمبريالية الأمريكية
ولأنها كيان عوسمي فكرا وهلا ، ولأنها تمارس أبشع أنواع
التمييز العنصري .^(١)

كما أن قرار إنشاء إسرائيل في الأمم المتحدة يوضح انقضاء هذه
الدولة لأوروبا وأمريكا وليس للمنطقة المزورة فيها :

الشاب ٢ : أنشئت إسرائيل في ملتقى آسيا وأفريقيا بأصوات أوروبية وأمريكية
واسترالية ورغم أن كل دول آسيا وأفريقيا صوتت ضد التوصية
فيها عدا الفلبين وليبيريا وحكومة اتحاد جنوب أفريقيا العنصرية^(٢)

وعلى مدى أربعين عاما - هي عبر إسرائيل - " لم تنظر إسرائيل
لنفسها على أنها بلد آسيوي وإنما باعتبارها دولة غربية لهذا لم
تعر دول آسيا وأفريقيا بعض الاهتمام الذي أولته أوروبا وأمريكا الشمالية"^(٣)
وذلك بحكم المصالح المشتركة بينهما ، لهذا كله فإن إسرائيل لا تتصرف
وحيدة في الصراع العربي الإسرائيلي ، إنما يقف خلفها كل هذا الرصيد
الإمبريالي . ولهذا أيضا استطاع الآف من اليهود الانتصار على ملايين
العرب ، ذلك أن الآف اليهود هذه ليست سوى يد الإمبريالية العالمية
الطويلة في المنطقة .

وكان من الطبيعي أن تتكرر الاعتداءات العسكرية على السدول
العربية ، ومحاولة التوسع على حساب هذه الدول " فالقوة من طبيعتها

(١) المصروحية ص ٨٠

(٢) المصروحية ص ٧٧

(٣) ج . هـ . جانسن الصهيونية وإسرائيل وآسيا ص ١٩١ وما بعدها ترجمته
راشد حصه . مركز الأبحاث م . ت . ف . بيروت ١٩٧٢ .

الانتشار دون توقف إلا حينما تواجه بقوة أخرى تجبرها على التوقف ثم
الارتداد " (١) وكان من الطبيعي أن تظل إسرائيل حتى الآن دون حدود
رسمية ، وتقدم المرحية القادة الإسرائيليين بشهيتهم المفتوحة للاستيلاء
على أية أراض عربية جديدة :

رابين : إن إسرائيل ترتكب غلطة تاريخية لو تخلت عن المكاسب الإقليمية
التي حققتها في حرب يونيو ضد الدول العربية (سيناء وغزة
والضفة الغربية والجولان) فلقد وصلنا إلى خطوط عسكرية مثالية
تعتبر في الوقت الحاضر - أهم مآحقنا .
مناح بيجين : إسرائيل يجب أن تضم بقية أرض فلسطين والضفة الشرقية
للأردن .

ديان : لا نريد حدوداً نهائية الآن (٢)

وتنظر إسرائيل لعملية ضم الأراضي باعتبارها عملاً من حقوقها المشروعة ،
أما نظرتها للسلام فهي نظرة مرحلية موقدة عبر عن ذلك مناخ بيجين -
وهو الذي وقع على اتفاقية كامب ديفيد للسلام - حين كتب يقول " إن أي
اتفاق بين إسرائيل وأية دولة عربية غير ملزم للشعب اليهودي ما لم يحقق
دولته الكبرى من النهر إلى الفرات " (٣) فالسلام لا يخدم إسرائيل - كما
سنرى في الفصل الثاني - كما أنه لا يتفق وهدف الاستعمار العالمي من
زحف إسرائيل في المنطقة من استنزاف موارد البلاد العربية ومنعها من
التقدم نتيجة الحروب والاستعداد المستمر ما يجعلها مصدراً دائماً للمواد
الخام الرخيصة وسوقاً للمنتجات الصناعية الغربية .

ونفس القدر الذي يهتم به الكاتب بإبراز الطبيعة العالمية للصراع
يهتم كذلك بالصورة الإقليمية لهذا الصراع وذلك في جانبها العسكري .

(١) أمين هويدى : الصراع العربى الإسرائيلى ص ٦٨

(٢) المرحية ص ٧٠

(٣) مناخ بيجين . الثورة ص ٨٥ ترجمة سمير صابر . دار النشر
للجامعيين . بيروت سنة ١٩٥٧

وإن انحصر هذا الصراع في عمليات المقاومة الفلسطينية وتتبع حياة الفدائيين وأفكارهم ودوافعهم . على الجانب الآخر ، الجانب الإسرائيلي ، يعرض الكاتب للمذابح التي ارتكبتها إسرائيل ضد الفلسطينيين مثل مذبح دير ياسين وكفر قاسم وغيرها ، ويظهر من خلالها مزايم إسرائيل في الديمقراطية ونزاهة القضاء ، فقد حكمت المحكمة العسكرية على الجنرال شدي المسمول الأول عن مذبح كفر قاسم بتخريبه قرش صاغ واحد ، أما قائد الوحدة التي نفذت عمليات القتل فسوف تعرض له الفتاة الفلسطينية :

الفتاة : جبرائيل دهان . متهم بقتل ٤٧ مواطناً مع التردد . مذنب المجرم ١٥ سنة . يستأنف الحكم في المحكمة العسكرية العليا تخفضه إلى السجن ١٠ سنوات . رئيس أركان الجيش يخفضه إلى السجن ٨ سنوات . رئيس الدولة يخفضه إلى ٥ سنوات . لجنة إطلاق سراح المسجونين تخفض ثلث المدة . بلدية الرملة تعينه سنة ١٩٦٠ المسئول عن الشؤون العربية في المدينة (١)

هذا ما حدا بالكاتب - وغيره من الكتاب - إلى الربط الوثيق بين الصهيونية والنازية في الهدف النهائي والوسائل المتبعة للوصول إلى هذا الهدف . وتظل نهاية الصراع مفتوحة في المسرحية ، "فتارة الشرق" - كما يتفق نيكسون والصهاينة على تسميتها - ترفض الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في الحياة :

أبا إيمان : لن يكون للمعرب الذين يسمون أنفسهم بالفلسطينيين أي دور في

تسوية سلمية مستقلة .

بينما يعلن رئيس المحكمة العسكرية .

الضابط : ليس العرب الذين يسمون أنفسهم بالفلسطينيين طرفاً في النزاع

بين إسرائيل والدول العربية المحيطة بها .

أما ليفي أشكول فهو يتساءل بدهشة :

اشكول : من هم الفلسطينيون ؟

واخيرا تأتى جولدا مائير لتدلى بدلوها :

جولدا : كيف تستطيع إعادة الأرض المحتلة ، ليس هناك من نعيدها لهم (١)

ويكون الرد على ذلك الموقف مزيدا من العمليات الفدائية في قلب إسرائيل ، فقد آمن هؤلاء الفدائيون أن الحقوق لا تهدي أو تمنح وإنما تنتزع انتزاعا ، وأن صوت الضعيف لا يسمعه أحد بينما يهوى العالم كله لصوت القوى . لهذا تنتهى المسرحية بينما الصراع يظل مفتوحا مع مزيد من الإصرار والقوة ، وماتولده هذه القوة من أبل .

بقى أن نقول إن الكاتب قد اختزل مراحل كثيرة من الصراع العرسي-الإسرائيلي في جوانبه العسكرية والاجتماعية والنفسية في المشهد السدي يجمع بين الفتاة الإسرائيلية والفدائي الفلسطيني (أبوشريف) فكان هذا المشهد - الذي عرضنا له في حديثنا عن الشخصية المتطورة - على قصره أغنى من عشرات الصفحات التاريخية .

وتميز الصراع في هذه المسرحية عما سبقها من مسرحيات في استخدام العنصر التسجيلي والتعبيري والواقعي ، كما حافظ الكاتب على التوازن بين طرفي الصراع ، وكانت أهم ميزة في هذه المسرحية أن الصراع فيها جسا خاليا من الحساس الذي كثيرا ما يفسد على الكاتب أمره ، وقد ساعده على ذلك اللجوء إلى الوثائق والمستندات الرسمية . كما تميز الكاتب بالوعسى العميق بطبيعة الصراع الشمولية التي تشترك فيها كل شعوب الأرض ، حقا . هناك قضايا خاصة هي خاصة لكل شعب ولكنها - برغم هذا - متشابهة مع قضايا كل الشعوب الأخرى . وهناك قضايا كلية شاملة ومشارك واحسدة تخوضها مع الشعوب جميعا .

(١) المسرحية ص ٨٩ - وتتفق هذه النظرة العسكرية للقادة الإسرائيليين مع نظرة الكتابات الأدبية الصهيونية التي صورت العرب وبخاصة الفلسطينيين - على أنهم مخلوقات قبل تاريخية لا تستحق الحياة " انظر د. هاني الراهب الشخصية الصهيونية في الرواية الانجليزية ص ١٠٩ - ١١٨

إنها معركة العصر كله ضد عدو مشترك ، معركة الشعوب جميعا معركة
الإنسان في كل مكان ، من أجل الحرية والتقدم والسلام . (١)

* * *

في مسرحية " الثغرة " لفتحي محمد فضل يكون الصراع اليهودي -
اليهودي هو الأساس ، لكن مع تواجد خفي ودائم للصراع العربي -
الإسرائيلي ، حيث يفجر الأخير كل التناقضات التي يقوم عليها المجتمع
الإسرائيلي ، بل إنه نجح في نقل الصراع الى داخل اليهود أنفسهم ،
وتشكلت نتائجه في غلبة ميل الشخصيات اليهودية الى السلام والحيطة
الطبيعية هذه الرغبة التي نشأت عندما وجد الإسرائيليون أنفسهم - للمرة
الأولى - في الموقف الأضعف في الصراع .

اجنون : لقد دفعنا الثمن غاليا يا باروخ ، فوق مياه القناة طفت أسماك
إسرائيلية كثيرة . كان الجندي المصري مفاجأة في المعركة . (٢)

ونجد أن جميع التغيرات التي طرأت على الشخصيات كانت بفضل حرب
اكتوبر التي تمثل ضحى خطيرا من منحنيات الصراع العربي - الإسرائيلي ،
فهذا ايهجال يكشف التناقض بين أقوال القيادة الإسرائيلية وبين الواقع
الفعلي ما انعكست آثاره على الشخصيات :

ايغال : حينما جندت قال لنا القائد : أنتم محسودون . انتهت الحرب
بيننا وبين العرب . انظروا الى خط بارليف إنه بأس كامل
للمصريين . . ان الابطاء تحلوا حروبا كثيرة ليصنعوا إسرائيل -
انتهت الحرب تماما يا أولاد - نعم مازلت أذكر . . قالها بالحرف
الواحد تماما . (٣)

وإذا بخط بارليف الذي " لا يؤثر فيه سوى القنبلة الذرية " يصبح
قطعة جبن سويسرية ، يضيف ايهجال :

(١) محمود أمين العالم . الوجه والقناع في المسرح العربي المعاصر ص ٢٤٧

(٢) الثغرة ص ٦٦

(٣) المسرحية ص ٥٥

ايغال : لقد انهزمنا أمام انفسنا - وهذه اقصى انواع الهزيمة
أما عن سبب هذا الصراع طويل الأسد فيقول ايغال أيضا .
ايغال : العرب يكرهون اليهود . لأننا طردنا شعبا من أرضه . . . عرودناه
وحاربنا العرب ثلاث مرات . ماذا نتظر . . . الحب - محال -
محال . (١)

وتكون نهاية الصراع العربى - الإسرائيلى أكثر تحديدا من أية مسرحية
أخرى ، فقد تركت المسرحيات السابقة الصراع مفتوحا ، بينما انتهى الصراع فى
هذه المسرحية بالغبلة للعرب واستسلام من تبقى من الإسرائيليين الذين
دفعتهم هذه الهزيمة للتفكير من جديد :
أجنون : ولكن علينا أن نفكر فى هدوء - لنعرف أين نحن - وإلى أين
نسير

ثم يهبط العلم الإسرائيلى الممزق ويرتفع العلم الأبيض الناصع (١)
والفكرة الأساسية وراء المسرحية ، وهى أن التناقضات الحادة بين
اليهود ، وأصولهم المختلفة لاتسمح بإنشاء دولة ، هذه الفكرة تصب فى
الصراع العربى - الإسرائيلى ، على الرغم من أنها كانت التوتد القسوى
للصراع اليهودى - اليهودى ، وهذا يؤكد ما ذكرناه من قبل من جدلية
العلاقة بين هذين اللونين من الصراع .

تتشترك مسرحية " اليهودى التائه " ليسرى الجندى مع مسرحية " النار
والزيتون " فى النظرة للصراع إلى حد كبير ، ف يرى الكاتب أن الصراع العربى
- إسرائيلى فى صورته الظاهرة ، لكنه فى صورته الحقيقية صراع بين
العدل والحرية وبين الظلم والاستعمار ، إنه صراع بين الدول الضعيفة
التي تحمل من أجل التقدم والحرية وبين الولايات المتحدة وارتة الامبريالية
العالمية وما إسرائيل ، والحالة هذه ، سوى أداة أمريكية فى المنطقة العربية .
ولكى يكشف الكاتب هذه العلاقة التشابكة يعود إلى أصل الصهيونية ،

(١) المسرحية ص ١٠٠

(٢) الشفرة ص ٧٧

أو ما يعرف " بالمسألة اليهودية " وكيف طرحت الصهيونية نفسها كحل لها :

اسحق الثانى : الرب شاهد على هذه البشرية الخاطئة الذنبة التى أولت اليهود صنوفا من العذاب والعبودية - الرب الهى شاهد على أن البشرية لم تخجل بما يكفى لما اقترفته فى حقنا ، لم تتحسب بما يكفى من وطأة الذنب الفادح .

حاشية المسيح : (وهم يستدبرون كاشفين عن ظهورهم جاثين) إنا نخجل إنا ننحنى ... (١)

ويظل اسحق الثانى يلهب ظهورهم بسوطه وهو يروى قصص اضطهاد العالم لليهود عبر المصور ، ويبدأ بالأسر البابلى وينتهى بالنازية فى القرن العشرين مروراً بالدولة الرومانية ثم المصور الوسطى وروسيا القيصرية عام ١٨٨٠ . يسرد اسحق الثانى كل هذه الأحداث بتفصيلاتها وهو يجلد حاشية المسيح الأمريكى لكى " نخجل بما فيه الكفاية " وكانت النتيجة أن تردد حاشية المسيح " كان لابد أن تقوم إسرائيل " كانت هذه القصص إذن كما يروىها اسحق الثانى تمثل وجهة نظره فيما حدث لليهود ، أو هي بالأحرى تمثل الدعاية الصهيونية فى استفلال ما قبل لليهود من عذاب ، وواجب الإنسانية نحوهم فى تمويضهم عن كل هذه المذاباة ، وتكون هذه التمويضات من حق الصهيونية التى ادعت لنفسها حق تشييل يهود العالم وحق وراثتهم ماديا ومعنويا ، ومن ذلك المطالبة بالحركة الصهيونية لألمانيا بدفع تمويضات كبيرة لها عن اليهود الذين قتلهم النازى وبالفعل تدفع ألمانيا للحركة الصهيونية ثم لإسرائيل فيما بعد ، (٢) على الرغم من أن هؤلاء اليهود ماتوا قبل إنشاء إسرائيل وكانوا رعايا لدول أوربية ويحملون جنسياتها ، وكان الأولى أن تطالب هذه الدول بالتمويضات .

(١) اليهودى الثالث ص ١٠١ - ١٠٢

(٢) انظر : إسرائيل ويهود العالم ص ٢٣ مصطفى عبدالمعز .

” وهذه الصورة ، من تمثيل الصهيونية لجميع يهود العالم ، قد بلغت بلغت من الشيوع درجة كبيرة ، حتى أن الجميع - الصهاينة وأعدائهم - يتقبلونها وكأنها حقيقة بديهية ، ولكن الدارس الموضوعي والمدقق سيكتشف أن حقائق التاريخ لا تتفق البتة مع هذه الحقيقة البديهية ، وأن الأمور أكبر تركيها من ذلك “ (١)

وتقوم ذات الرداء ، ومعها أنصار العدل والحرية ، مع سرحان الطرف الثانى فى الصراع ، يقومون بإعادة عرض هذه القصص التى رواها اسحق الثانى ، ولكن من وجهة نظر التاريخ دون تزيف وهنا تكمن المسألة اليهودية الحقيقية . إنها مسألة الاستغلال التى يختبئ تحت قناع اسمها المسالمة الانسانية لليهود ، تتبين من العرض التاريخى للأحداث أن ظاهرة الغزو والسبى كانت معروفة فى الأزمان القديمة ، ولم تكن المشكلة فى السبى البابلى بقدر ما كانت فيما تلاه من أحداث ، فقد حاول بسطاء اليهود الاندماج فى المجتمع البابلى الجديد ، ولم يجدوا أية معارضة من هذا المجتمع ولكن المعارضة القوية جاثمهم من أغنياء اليهود جامعى الضرائب : بابلى : كانت هناك مصلحة متبادلة بين أغنياء اليهود وبين الطبقة الحاكمة المستغلة لكى تكون الصورة على ما يريدون . كان أغنياء اليهود يجبون الضرائب الوفيرة من كل فئات اليهود التى يسيطرون عليها ، وبالخبرة العالية كانوا منظمين لسير عملية الاستغلال وإحكام سيرها . (٢)

وعندما تتعارض المصلحتان - أغنياء اليهود مع الطبقة الحاكمة - وتهتز المنفعة المتبادلة بينهما ، يأخذ الأمر شكل معاداة السامية والإبادة والتشريد ونرى أن هذا التفكير الاستغلالي يحكم جل عمليات الاضطهاد التى تعرض لها اليهود ، والتى تبرزها الصهيونية من أجل ابتزاز الضمير العالمى ، ففى روسيا القيصرية كما فى بابل ، بدأ اليهود يندمجون فى المجتمع الروسى ،

(١) بعض كلاسيكيات الرقش اليهودى للصهيونية ص ١٤٦ هدى عبد السميع حجازى
عالم الفكر م ١٤ م ١ سنة ١٩٨٣
(٢) المصروفة ص ١٠٥

واخذوا معظم الحقوق المدنية وبلغ عدد العمال اليهود ٥٥٠ ألفا بعد ان كان ٥٠ ر ٨٦ % من اليهود يعملون في التجارة والزراعة وقد كانوا في ذلك متأثرين بحركة التنوير المعروفة باسم "الهكلاه" والسبب في قادها الفيلسوف اليهودي مندلسون منذ منتصف القرن الثامن عشر وكانت هذه الحركة تنادى بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة عن طريق الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها (١)

لكن هذا الاندماج تعارض مع مصلحة أغنياء اليهود ، هذه المصلحة التي اتفقت مع مصلحة الحكم القيصري في القضاء على الخطر الاشتراكي الوليد والذي كان العمال اليهود جزء منه ، وعلى اثر إعدام بعض العمال اليهود عام ١٨٨٠ هـ نصف ذات الرداء ما حدث :

ذات الرداء : ويتقدم جوراش جينسبورج اليهودي ابن ملك الحانات بروسيا ليقدم الهدايا الى عائلة القيصر امتنانا لإعدام العمال المتمردين (٢)

وتقدم المسرحية صورة من الفكر الاستغلالي الصهيوني الذي تجسده في التعاون مع النازية لإنقاذ اليهود الصهاينة والأغنياء ، وترك الفقراء والمجائز يلاقون المصير الأسود ، يشرح رودلف كاسنر أحد كبار المشتركين في هذه الجريمة يشرح ذلك بقوله :

كاسنر : المسألة هي الفكرة - من أجل الفكرة وحدها ضحيت بأشقائي البائسين من اليهود نصف المليون من أحيائي وأخواني قد ضحيت قربانا للفكرة ، أحيائي المساكين من المجائز والفقراء . ذلك أن ما كنا نحتاجه هم المصورون من اليهود وكذا الشباب أفضل مادة بيولوجية كما يقول صديقي إيهمان . كي تعملوا الفكرة ضحيت بأخواني وأحيائي (٣)

وقد وجدت الصهيونية أنه لا وجود لها دون تأييد من إحدى الدول الكبرى "تضمن وجودها" - كما قال هرتزل - فبدأت محاولاتها مع الامبراطورية العثمانية ثم الألمانية ، ولكن مؤشر المصالح المشتركة اتجه نحو بريطانيا ، فبهذا كاهيل بنهيمان رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٠٢ يستلهم

(١) د . عبد الوهاب المسيري . الأيديولوجية الصهيونية قسم ٢٨ - ٢٩

(٢) المسرحية ص ١٠٢

(٣) المسرحية ص ١١٥

تقريراً عن مؤتمر لندن لذلك العام ويعلن : (١)
كامبل برمان : بفضل ذكاء وحكمة السادة العلماء والمؤتمرين في لندن تمهيات
للأسد البريطاني زيجة سعيدة تملأ حدائقنا الشرقية بالأشجار ، سيكون
الوصل هنالك ما بين الشرق العربي ومغربه ، ولا يخفى عليكم أنه زواج
مصلحة ، إذ ستكون الزوجة الوفية هناك راسخة القدم ومثابة حاجز قوي
يفصل المنطقة هناك ، ويصل عالمنا الناهض بالعالم القديم - وستكون
شديدة المداوة لكل من حولها . . شديدة الإخلاص للزوج ومصالحة -
وبالتحية لكل العائلة الأوربية الكريمة .

هذا على الجانب البريطاني ، أما على الجانب الصهيوني فيخبرنا زعيم
صهيوني كبير عن مدى المصلحة المشتركة في هذه الزيجة :

ماكس نوردو : عند ذلك لم يبق للصهيونية سوى أن تظهر وإلا اضطرت
بريطانيا الى ابتداعها . (٢)

لكن الأسد البريطاني قد أدركه الشيخوخة ، وظهرت أمريكا كقوة عظمى
أو كما يصحبها اسحق الثاني : المسيح مخلص العصر ، لذا سارعت الصهيونية
بالارتباط بها ، وكان الارتباط اقتصادياً في بدايته ثم تحول الى ارتباط
وتحالف استراتيجي ، وذلك أن المصالح الأمريكية انتشرت في المنطقة ،
وارتفعت الأصوات في أمريكا لحماية إسرائيل التي خطط لها أن تكون حد
الموسى القاطع لحساب المصالح البريطانية في الشرق الأوسط ، ولقد
لمبت فعلاً هذا الدور ولكن لحساب الولايات المتحدة وبدلاً من بريطانيا (٣)
لهذا كانت حماية إسرائيل لحماية للمصالح الأمريكية في المنطقة :

واحد من المجموعة : ٦٣ شخصاً من مجلس الشيوخ و ١٨١ من

(١) حول هذا المؤتمر وتوصياته انظر : موسوعة القضية الفلسطينية ج ١ ص ٣١٥
مركز دراسات الشرق الأوسط القاهرة .

(٢) المسرحية ص ١١١ - ١١٢

(٣) انظر قضية حدود إسرائيل الآمنة - نيلز جونسون ص ١٠١ ترجمة بسمير
عبد الموجود عالم الفكر ١٤ ع . سنة ١٩٨٣ .

الكونجرس (١) يطالبون في عام ١٩٤٢ بإعادة بناء الوطن اليهودي .
آخر : وأغلبية المجلسين تتوجه في عام ١٩٤٥ الى ترومان بدفعونه لفتح
فلسطين امام هجرة اليهود . (٢)

فالصراع اذن عرسي - إسرائيل في صورته العسكرية الظاهرة فقط ، أما
في حقيقته فهو بين الامبريالية الأمريكية وبين الحرية العربية والرغبة في
التقدم . بل إن اسحق الثاني يعلن عن ذلك مباشرة بعد أن اكتشف
ضرورة ممارسة " اللعبة مكشوفة " .
اسحق الثاني : الأب (المسيح الأمريكي) يريد المنطقة على ما هي -
- لا تغير - وعلى التخصيص لا وحده .

البروفيسور : ذلك أن الوحدة سيئة كالمطاعون - الوحدة تعني السير على
قدمين في عالمنا العملاق وأهم ما يصنع اسحق أن يمشي
هذا .

اسحق الثاني : وهو ما يعلن عنه مباشرة في بعض الأحيان وكما ذكر السيد
اشكول أن سياستنا منع الوحدة منذ ١٩٤٨
مطالبة أكثر ما مضى أن نحول ولو بالقوة دون أي تغيير يحدث
في الوضع القائم (٣)

ولقد حدد الرئيس الأمريكي " ترومان " دور إسرائيل في المنطقة غريب
إعلانها في مايو ١٩٤٨ بقوله : " لقد قامت إسرائيل في منطقة الشرق
الأوسط لكي تتصدى لتيار النعرة الوطنية ، فإذا لم تستطع أن تحقق هذا
فلا أقل من أن تجتذبه بعيدا عن مصالح الهيول الأمريكي في الشرق
الأوسط (٤)

(١) يقصد الكاتب هنا مجلس النواب ، ذلك أن الكونجرس يتكون من مجلس للشيوخ
ومجلس للنواب . انظر : القاموس السياسي : احمد عطيه الله . مسادة
كونجرس .

(٢) المسرحية ص ١١٢

(٣) المسرحية ص ١٢٥

(٤) اعضاء حول جفودر معطيات الاستراتيجية العسكرية الصهيونية . محمود
عزمي ص ١٣٨ ش . ف . ع ٢١ سنة ١٩٧٣

ويصل الامر في التقاء المصالح ان تصف المسرحية امريكا واسرائيل بـ " حياة واحدة ومجد واحد " لكنها تعود فتؤكد ان المصالح الامريكية التي تحميها اسرائيل في المنطقة اقوى بكثير من مصلحة اسرائيل في حماية امريكا لها ، فيعلن المسيح الأمريكي كيف وجه درسا لمصر عبر اسحق الثاني (اسرائيل) لأنها حملت رداء الطاعون ، وهو في عرف المسيح الأمريكي واسحق الثاني يعني الثورة والحرية ، يقول عن مصر :

المسيح : احداها بائت درسا لرجال الطاعون بكل مكان .. قامت وتمطت وأطلت بالرأس ومدت قبضتها في وجهي رقصت برداء الثورة رقعا أوهمها ان العالم ينتظر إشارتها ليقرم ويصمت
لكن قررنا ان نعطيها الدرس .. درسا لكل .. حملنا لاسحق ليلفها اياه
درسا جلجل في اسماع العالم ... يونيو ٦٢ (١)

هذا هو الصراع الحقيقي ، ولم تكن المشكلة يوما ما مشكلة فلسطينية يتعاطف معها العرب مرة ، ويتناسوها مرات ، بل رما كانت المشكلة الحقيقية عكس ذلك تماما ، فلسطين قد ضاعت وعلى العرب ان يحافظوا على بقية اقطارهم من الضباع ، هذا ما يحمله الصراع في هذه المسرحية :

سرحان : من لم يدرك ابعاد الصورة بعد ؟
الام فلسطين علامة - محض علامة - تكشف ارض المعركة الحقيقية
للكل
من لم يعرف بعد حقيقة مايجري في الأرض العربية .
من لم يعرف بعد بان المعركة الكبرى في العالم تجري وكل ضواوتها في هذه الأرض

معركة الإنسان ليهذا فجر الإنسان . معركة لا تعرف وسطا طرفاها
اثنان في كل العالم
مع الإنسان أو ضد الإنسان . ولا وسط هناك الآن (١)

ويكون رد سرحان - بعدما تكشف له الحقيقة كاملة - أن يخرج مسدسه
ويطلقه على المسيح الأمريكي ، كخطوة في النضال الطويل ضد الامبريالية
الأمريكية .

ويتميز الصراع في هذه المسرحية بأنه صراع متنام ، ولكن ليس عسير
الأحداث المتصاعدة - كما هو الحال في المسرح التقليدي - بل عسير
الوعي المتنامي الذي يدفع سرحان - الطرف الأول في الصراع الى اطلاق
النار على كيندي الأمريكي - الطرف الثاني في الصراع . ويظل الصراع
مفتوحا حيث يدعو سرحان كل المناضلين من أجل الإنسان للوقوف معه
ضد أعداء الإنسان .

* * *

هناك قاسم مشترك بين الصراع في المسرحيات التي تناولناها في هذا
الفصل ، كما أن هناك عوامل اختلاف تنفرد بها كل مسرحية عما سواها .

فلقد اشتركت جميع المسرحيات في فكرة واحدة قام الصراع حولها وهي
ضرورة محاربة إسرائيل بكل السبل . وكان الصراع في أغلب المسرحيات صراعا
مصريا من أجل البقاء ، ولم تقدم إحدى المسرحيات إمكانية حل الصراع
عن طريق حل وسط أو عن طريق السلام وذلك لرفض وجود الطرف الآخر
لأن مجرد وجوده ، بالسلام أو بالحرب ، يعني انتقاصا للحق المرسى
والأرض العربية .

كما اشتركت المسرحيات في ربط إسرائيل بالامبريالية العالمية والولايات

المتحدة ، حتى نظرت بعض هذه المسرحيات (النار والزيتون - اليهودي
الثالث) الى أمريكا وإسرائيل على أنهما شيء واحد . شيء آخر اتفقت
حوله معظم المسرحيات وهو التفريق بين اليهودي والصهيوني في الصراع.
الدائر بل ان بعض هذه المسرحيات قد علقت آمالا عريضة على هؤلاء
اليهود اللاصهيونيين - كما سنتبين في الفصل القادم - في القضاء
على الدولة الصهيونية ، وذلك في إطار العلاقة الواضحة والجدلية بين
الصراع العربي - الإسرائيلي والصراع اليهودي - اليهودي .

وبينما عرضت مسرحيات للصراع في أوسع معانيه ، والذي لا يحدو الصراع
العربي - الإسرائيلي أن يكون وجها من وجوهه ، وجدنا مسرحيات أخرى
تعرض لبعض صور النضال والمقاومة ضد إسرائيل ، كما تفاوتت هذه المسرحيات
بين الحساس والخطابية الباشرة وبين الواقعية والتسجيلية .

الفصل الخامس

الصراع

صراع يهودى - يهودى

رأينا في الفصل الماضي أن الصراع المسرحي يعنى وجود إرادتين متضادتين ومتعادلتين فى آن معا . كما ذكرنا أن المسرحيات موضوع الدراسة مسرحيات سياسية بالدرجة الأولى ولذا كان الصراع فى هذه المسرحيات فى لونين : صراع عربى - إسرائيلى ، أى كان العرب طرفه الأول والإسرائيليون طرفه الثانى وصراع يهودى - يهودى ، أى أن اليهود هم الذين يشكلون الإرادتين المتناقضتين فى هذا الصراع .

وقد يكون هذا اللون من الصراع هو الصراع الأساسى فى المسرحية كما فى مسرحية " شعب الله المختار " و " الثغرة " وإلى حد كبير فى " وطنى عكا " ، ويكون الصراع العربى - الإسرائيلى فى هذه الحالة صراعا ثانويا . وقد يكون هذا اللون من الصراع ، اليهودى - اليهودى ، صراعا ثانويا موازيا للصراع الأول ، العربى - الإسرائيلى ، كما فى " شيلوك الجديد " و " النار والزيتون " وغيرها من المسرحيات .

والملاحظ أن طرفى الصراع اليهودى - اليهودى هما فى الغالب اليهود الشرقيون (السفارديم) كطرف أول ، واليهود الغربيون (الاشكنازيم) كطرف ثان ، وقد وجدت أنماط أخرى ولكنها - فى الغالب أيضا - جاءت متساوقة مع هذين الطرفين من ذلك مثلا الصراع بين اليهود الصهيونيين وبين اليهود اللاصهيونيين ، وصراع آخر بين أغنياء اليهود وبين فقرائهم وسنلاحظ أن كلا من الصهاينة وأغنياء اليهود - على المستوى المسرحى والواقعى أيضا - من الاشكنازيم ، كما أن كلا من اللاصهيونيين وفقراء اليهود من السفارديم ، وهذا يعنى أن النسق الأول من الصراع يشمل هذه الأنساق ، أو أنها تنفرع عنه .

ولكن لماذا شغل الكتاب المسرحيون أنفسهم بهذه الصراعات الداخلية فى المجتمع الإسرائيلى ؟؟

كتب المؤرخ البريطانى الشهير ارنولد توينبى فى رسالة بعث بها عام ١٩٦٤ الى مؤلف كتاب " لهذا أكره إسرائيل " يقول :

" بخصوص مشكلة فلسطين فإن الصواب والخطأ واضح بجلاء في ذهني . إن الفلسطينيين العرب الذين اغتصبوا ديارهم ، منازلهم وأرضهم وممتلكاتهم الأخرى في المنطقة التي يحكمها الإسرائيليون حالياً قد قاسوا ظلماً بينا ، وإن من الصعوبة أن نجد علاجاً عملياً لهذه المشكلة ، وإنني شخصياً أرى حركات ثلاث قد تكون إلى حد ما ذات فائدة

- ١ - قيام اتحاد أوثق بين الدول العربية .
- ٢ - زيادة عدد ونفوذ اليهود اللاصهيونيين في الولايات المتحدة .
- ٣ - زيادة نفوذ الإسرائيليين المتكلمين بالعربية والذين يكونون أغلبية هناك .

ولا ينتظر أن تنتج واحدة فقط من هذه الحركات الثلاث نتائج سريعة ولكن يجوز أن يتغير الحال إلى أحسن لو تحققت هذه الحركات الثلاث مجتمعة . (١)

وما ذكره توينبي في البندين الثاني والثالث أمر معروف في جميع الصراعات في العالم وهو استغلال نقاط ضعف الخصم وتمييزها ، ولعل من أهم نقاط الضعف عند إسرائيل ذلك التفاوت الإثنى الواضح بين طوائف اليهود ، وبالذات ذلك التفاوت الكبير بين الاشكازيم والسفارديم لهذا درج كتاب المسرحيات السياسية على استغلال هذه النقطة وتعليق الآمال الكبار عليها خاصة بعد استحالة تحقيق البند الأول - عند توينبي - في ظل الظروف القائمة حالياً وللكتاب العذر في ذلك ، فقد صرح " أيجال يادين نائب رئيس الوزراء الأسبق في إسرائيل معلناً على

(١) لهذا أكره إسرائيل : رسالة توينبي إلى المؤلف ، المقدمة : م . أمين سامي الخسراوي ، دار النهضة العربية ١٩٦٤ القاهرة .

خطورة المشكلة الطائفية بقوله : " أنا أعتقد أن (المشكلة الطائفية) هي الخطر الأعظم على الإسرائيليين ، فهي أكثر من خطر العرب مجتمعين . (١)

وقد ذكرنا آنفا أن ثمة علاقة جدلية واضحة بين الصراع العربي-الإسرائيلي والصراع اليهودي - اليهودي ، وقد لاحظ علماء الاجتماع الإسرائيليون هذه الظاهرة وأبرزوها في كتاباتهم ، فقد ذكر د. يوحنا بيرس الأستاذ في علم الاجتماع بجامعة تل أبيب أن من العوامل الخفية للنزاع العربي-الإسرائيلي " الرغبة في إبراز المشاركة اليهودية إزاء الظاهرة الاجتماعية المعروفة وهي ازدياد النزاعات الداخلية عندما يتلاشى الخطر الخارجي . (٢)

أما الكاتب الإسرائيلي آرييه إيليا فإنه يصوغ هذه الحقيقة بعبارة أكثر وضوحا إذ يقول في مقدمة كتاب " إسرائيل الثانية " " فقط حالة الحرب أو حالة الحصار أو التوتر الذي يسود بين مجاهدين حريتين يجعل منا شعبا موحدا ، إنه الأسمنت الوحيد في مجتمعنا ولولا هذه الظروف الخاصة لتفككتنا منذ زمن طويل وفق توزيع الطوائف والطبقات الاجتماعية ، ومثل هذا التفكير يؤدي بنا إلى الاقتناع بأن مثل هذا الوضع المتوتر ضروري ، فإما لم نندمج لنكون شعبا واحدا فمن الأفضل أن تستمر حالة الحصار والتوتر الحربي -والا فسوف يتفتت الاسمنت . (٣)

ويجدر بنا أن نتعرف هذا الصراع على أرض الواقع قبل تناوله في المسرح لنرى إلى أي مدى استطاع الكتاب المسرحيون تطويع هذا الصراع ومدى الصدق في تصويره .

-
- (١) الفجوة : الصراع الطائفي في التجمع الصهيوني ص ١٢٦ أشرف راضي ، دار البیادر ١٩٨٧ القاهرة .
(٢) هآرتس ١٩٧١/١١/١٧ (عن شلون فلسطين ع ١٤ أكتوبر ١٩٧٢ ص ٤١ .
(٣) انظر : الفجوة : أشرف راضي ص ١٢ .

لم يعرف يهود البلاد الإسلامية الاضطهاد أو التفرقة أو التمييز فى المعاملة كما عرفها يهود أوروبا ، ولهذا نشأت " المسألة اليهودية " بين يهود أوروبا ولم يعرفها يهود الشرق ، ولهذا أيضا نشأت الفكرة الصهيونية بين يهود أوروبا بينما واجهت مقاومة شديدة من يهود البلاد الإسلامية وظل ذلك حتى عام ١٩٤٨ ، ويتأكد ذلك من خلال استطلاع أرقام الهجرة اليهودية الى فلسطين منذ ١٨٨٢ الى ١٥ مايو ١٩٤٨ حيث لم يشكل المهاجرون السفارديم سوى ٤ ر ١٠ % من مجموع اليهود المهاجرين بينما كان ٦ ر ٨٩ % منهم من الاشكنازيم ، كما أن نسبة يهود البلاد العربية من هؤلاء المهاجرين ٧ ر ٥ % بينما ٧ ر ٤ % منهم كانوا من يهود إيران وتركيا وغيرها . (١)

وقد برزت أزمة الصهيونية واضحة فى قلة عدد اليهود الذين استجابوا للمخطط الصهيونى إذ لم يزد عدد اليهود فى فلسطين حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ عن ٢٥٨ ر ٤٥٢ يهوديا (٢) ، وهذا العدد - كما لا يخفى على أحد - لا يكفى لتكوين دولة معادية لكل من حولها . وفى حين تظاهرت الحكومات العربية بحاربة إسرائيل عام ١٩٤٨ كانت فى الواقع تعدها بالمادة الأساسية لوجودها وهى العنصر البشرى ، فصدت الدول العربية والإسلامية لإسرائيل أكثر من مليون ونصف المليون من اليهود (٣) ، مما أعطى إسرائيل وجودها الحقيقى وصار اليهود الشرقيون يشكلون أكثر من ٧٠ % من يهود إسرائيل بعد أن كانوا ٤ ر ١٠ % فقط ، كما أنهم يشكلون ٨٠ % من الجيش الإسرائيلى الذى عاد ليشتك بالعرب كيف أراد .

على أية حال فإن يهود البلاد الإسلامية قد هاجروا ، فى الأغلب الأعم ، بعد قيام دولة إسرائيل ، وكان إنشاء هذه الدولة على يد

(١) انظر وليم فهمى ، الهجرة اليهودية الى فلسطين ص ١٦١ معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة سنة ١٩٧١ .

(٢) السابق ص ١٦٣ .

(٣) انظر أشرف راضى . الفجوة ص ٢٧ .

الاشكنازيم ، كما أن هذه الدولة منذ كانت فكرة ، كانت فكرة اشكنازية ، لهذا كان الاشكنازيم ، مؤسسو الدولة ، هم المسيطرون على كل شئ ، كما كانوا يحملون الحضارة الغربية ، وعندما جاء السفارديم كانت قمة الهرم الاجتماعى قد شغلت ولم يكن أمامهم سوى قاعدة هذا الهرم ، كما أنهم جاءوا من بلدان متخلفة فحملوا معهم هذا التخلف . فكانت الهوية الاجتماعية بينهما كبيرة منذ اللقاء الأول ، بل إن هذه الهوية كانت موجودة بالقوة ، قبل أن توجد بالفعل .

كان الاشكنازيم قد احتلوا مدن الرفاء : تل أبيب ، القدس ، حيفا ، وعندما جاء السفارديم لم يكن أمامهم سوى قرى التطوير والقرى الحدودية والأحياء الفقيرة ، وبرز بعض الباحثين أن وضع اليهود الشرقيين على المناطق الحدودية كان مدبراً لكي يشكلوا ترساً يحمى خلفه اشكناز مثلث الرفاء (١)

كما أن نسب التعليم المتدنية بين اليهود الشرقيين جعلتهم يقتصرون على الأعمال الجسدية التى لا تحتاج لآى مجهود ذهنى ، فهم فى الغالب عمال غير مهرة أو مزارعين أو حرفيين مما جعلهم يحتلون قاع السلم الاجتماعى ويزدادون فقراً على فقر ، ومنعهم فقرهم هذا من إلحاق أولادهم بالمدارس الثانوية والجامعات التى تحتاج الى أقساط شهرية باهظة فتركز أولادهم أيضاً فى نفس المهن والطبقة الاجتماعية ، حيث يحصل ١٣ % من أبناء السفارديم على الدراسة الثانوية ، بينما يحصل ٨٥ % من أبناء الاشكنازيم على هذه الدراسة . كما يحصل ٥ % من أبناء السفارديم على التعليم الجامعى مقابل ٥ ر ٢٣ % من أبناء الاشكنازيم . (٢)

والملاحظ هنا التطابق الكبير بين التوزيع الإثنى للطائفتين (الاشكنازيم

(١) انظر وجيه حسن قاسم ، نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الامبريالى

ص ٨١ . دار البىادر سنة ١٩٨٢ القاهرة .

(٢) انظر د . قدرى حفى ، تجسيد الوهم ص ١٥٣ .

والسفارديم) وبين التوزيع الطبقي في المجتمع الإسرائيلي مما ضاعف من عملية الصدام بينهما ، حيث تتوزع الأكثرية الساحقة من أبناء الطائفة الأولى على مجموعة من الطبقات العليا في المجتمع ، بينما يتوزع سواد أبناء الطائفة الثانية على مجموعة الطبقات الدنيا . " ومن المؤكد أن عملية استقطاب وتجسيد الطبقات قد جرت على أساس طائفي إثنى لعب فيها العامل الإثنى دورا أساسيا ، ولذا فإن الهوية الاجتماعية القائمة هي بين أبناء الاشكنازيم كطبقة فوقية وبين أبناء الطوائف الشرقية كطبقة تحتية " . (١)

وقد رافق ذلك كله وجود تمييز أعمق على المستوى السياسي ، بحيث كان من الواضح ضرورة إبعاد السفارديم عن مراكز " صنع القرار " ، ففى الكنيسة الأولى ، على سبيل المثال ، كان عدد النواب عن السفارديم ٩ نواب مقابل ١١١ نائبا اشكنازيا . ورغم الزيادة الواضحة في أعداد السفارديم بحيث زادوا عن ٢٠ % من مجموع اليهود ، فإن التحسن الذي طرأ على مستوى تمثيلهم في الكنيسة كان طفيفا ، فقد كان تمثيلهم فى الكنيسة الحادى عشر عام ١٩٨٤ ، ٢٣ نائبا مقابل ٩٧ نائبا اشكنازيا ، وذلك بنسبة ١٤ ر ٤ % لكل الدورات . (٢)

ويعلق د . يوحنا بيرس على ذلك بقوله : " ان الاشكنازيم هم الذين يقررون من يمثل الطوائف الشرقية في الكنيسة والهستدروت وغيرها ، إنها عملية إشراك وليست عملية تمثيل ، فإذا مات جراً أحد وشق عصا الطاعة أمكن تغييره بسهولة " . (٣)

كما لم يسمح لهم بدخول الوزارات وذلك حتى عام ١٩٦١ حيث تم

(١) عبد الحفيظ محارب . الهوية الاجتماعية في إسرائيل ص ٣٩ ش . ف ع ١٥

نوفمبر ١٩٧٢ .

(٢) انظر : اليهود العرب في إسرائيل ص ٧٢ - ٧٤ وحيد محمد عبد المجيد ،

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الاهرام سنة ١٩٧٨ .

(٣) عبد الحفيظ محارب . الهوية الاجتماعية في إسرائيل ص ٤١ .

تعيين وزير شرقى واحد مقابل ١٥ وزيرا اشكنازيا ، واقتصر الأمر على وزير واحد فى أربع حكومات متعاقبة ، ثم تحسن الوضع فى الحكومة الرابعة عشرة (منذ قيام الدولة) حيث عين وزيران شرقيان (مقابل عشرين وزيرا غربيا) فى وزارتى البريد والأديان . (١)

أما على مستوى رئاسة الوزارة ، فهو المنصب الأكثر أهمية فى إسرائيل فإنه يبدو من المستحيل على يهودى شرقى الوصول إليه .

ومظاهر التفرقة والتمييز بين الطائفتين كثيرة وعميقة جدا فى المجتمع الإسرائيلى ، لهذا قامت بين اليهود السفارديم كثير من الحركات الاحتجاجية التى تفاوتت قوتها من الاحتجاج السلمى الى الاشتباك بالسلاح مع الاشكنازيم ، وكان تمرد وادى الصليب فى حيفا عام ١٩٥٩ أول هذه المظاهر وتلاه تمرد حى المضاربة فى القدس عام ١٩٦٥ ، ثم حركة الفهود السود ٧٠ / ١٩٧١ وغير ذلك من الحركات (٢) التى نظمها الشرقيون للمطالبة بالمساواة الاجتماعية بالاشكنازيم ، ولكن شيئا من مطالبهم لم يتحقق ، وظلت الأقلية الاشكنازية البيضاء تحكم الأغلبية السفاردية الملونة .

* * * *

مضى تنبه الكتاب المسرحيون لهذه التناقضات الإثنية والطبقية التى تحكم المجتمع الإسرائيلى ؟ وكيف حاولوا استغلالها ؟ ؟

مرة أخرى نجد وعيا سياسيا مبكرا وعميقا عند باكير فقد لاحظ هذه التناقضات حتى قبل قيام إسرائيل (١٩٤٥) وتنبأ أن تكون سببا فى القضاء عليها (١٩٥٦) ولكنه عاد ليتنكر لأفكاره هذه ويرى الشر يحكم

(١) انظر : أشرف راضى - الفجوة ص ١٠٩

(٢) حول هذه الحركات انظر : وجيه حسن قاسم . نظرة جديدة ص :

٧٧ - ٧٨ ، وعبد الحفيظ محارب ظاهرة الفهود السود ص ١٤٢ -

١٥٦ ش . ع ٢ سنة ١٩٧١ .

جميع اليهود دون فرق بينهم عام (١٩٦٣) . في " شيلوك الجديد " كان الصراع اليهودى - اليهودى ثانيا ، إلا أنه كان واضحا ومؤثرا ، وطرفا الصراع هما شيلوك ومساعدوه مثل الصهيونية ، الطرف الثانى ابراهيم اليهودى الشرقى اللاصهيونى ، ونلاحظ تحيز الكاتب الواضح والمقصود لابراهيم منذ اللحظات الأولى ، حتى فى رسم ملامحه ، فهو " رجل فى الخمسين من عمره ضخم الجثة قوى البنية ، هو الى الطول أقرب منه الى القصر تدل ملامحه وملابسه البسيطة على أنه من رجال الأعمال المعاصرين " (١) أما طرف الصراع الثانى (شيلوك) فإن وصف الكاتب له يظهر تحيزا ضده فهو رجل فى الستين من عمره قصير القامة كبير الرأس قد أكل الصلح وسطه من مقدمه الى مؤخره فتركه أملس لامعا وأبقى قزعتين من الشعر الأبيض على جانبيه ، وله عينا كبرتان يسطح منهما بريق عجيب كبير عيني البومة " (٢) ويكشف الكاتب عن الصدام بينهما منذ اللقاء الأول دونما تهديد أو تدريج ، فأتباع شيلوك كانوا قد اعتدوا على ابراهيم وعالمه من العرب لأنه خالف قوانين المنظمة الصهيونية التى تحرم استخدام العمال العرب ، وقد رافق هذا التحريم الفكرة الصهيونية منذ وقت مبكر ، حيث كتب هرتزل فى مذكراته " سنحاول أن نخرج السكان المعدمين عبر الحدود بأن نجد لهم عملا فى البلاد التى نطردهم إليها وننكر عليهم أى عمل فى بلدنا " (٣)

ابراهيم : لكنى لا أعترف بهذه القرارات لأنى لا أعترف بالصهيونية ذاتها .
شيلوك : قد كنت تؤمن بالصهيونية فيما مضى ولكنك ارتددت عنها إيثارا لمصلحتك الخاصة على المصلحة العامة للأمة اليهودية .
ابراهيم : ليس فى الدنيا شئ اسمه الأمة اليهودية - إن هذه إلا خرافة ، إن اليهود دين وليسوا أمة .

(١) شيلوك الجديد ص ٦٤

(٢) المسرحية ص ٤٥

(٣) مذكرات هرتزل ج ١ ص ٨٨ نيويورك (عن ش . ف ع ٢٥ سبتمبر سنة

١٩٧٣ ص ٣١) .

كوهين : قد كانوا كذلك ياسيدى حتى قامت الحركة الصهيونية لتجعلهم
أمة كالأم .

ابراهيم : إن هذه الحركة ستجر على اليهود أعظم النكبات .

كوهين : إن هذا ياسيدى يعد خيانة للقومية اليهودية .

ابراهيم : لكننى ياسيدى لا أعترف بهذه القومية المفتعلة ، فكيف تنسبون السن
خيانتها ، لا بل سأقارم هذه القومية المزعومة بكل قوى فانى أعداء
لعنة تصب على رؤوس اليهود دونها لعنات أنبياء بنى اسرائيل (١)

وموقف ابراهيم هذا يتفق مع موقف يهود مصر والمراق والمغرب الذين
عارضوا الصهيونية وشكلوا تنظيمات مختلفة لمحاربتها ورأوا فيها ضرا بالفسا
على اليهود . والهدا الأساس الذى يعلنه ابراهيم من " أن اليهود
دين وليسوا قومية " هو الهدا ذاته الذى تبنته جميع حركات الرفض
اليهودى للصهيونية يشترك فى ذلك الاندماجيون والاشتراكيون وغيرهم . (٢)

الى هنا صورة ابراهيم سوية ومتسقة مع الواقع ، ولكنها تبدأ بالانحراف
عن هذا السواء عندما تصبح قناعا للمؤلف ، أو ما يعرف بالتحديث باسم
المؤلف فى المسرحية . حيث يأخذ فى الدفاع عن العرب ومهاجرة الصهيونية
من " موقع عرس " :

ابراهيم : " محتدا " ما أوقحكم وأجراكم على الحق بأى لسان تتحدثون
أنتم عن الإنصاف انتظرون أن تنصفكم الأمم إذا انتهكم قوانين
الإنصاف والعدل ؟ أم هل تتوقعون أن ترفع عن ظهوركم سيطر
الاضطهاد إذا وضعتوها فى ظهور قوم لا ذنب لهم إلا أنهم
كانوا الشعب الوحيد الذى أنصفكم وطالمكم بالعدل والحسنى يوم
كانت الدنيا كلها تضطرم نارا ، فما ذقتم الأمن والدعة إلا فسى

(١) المسرحية ص ٦٦ - ٦٧

(٢) انظر : هدى عبد السميع حجازى ، بعض كلاسيكيات الرقص اليهودى

للصهيونية ص ١٦ عالم الفكر م ١٤ ع ١

(١) كيف هذا الشعب الكريم

ويستمر ابراهيم مدافعا عن العمال العرب الذين يعمل الصهاينة على طردهم من كل العمل اليهودي تمهيدا لطردهم من البلاد ليخلفهم هؤلاء " الأوزاع الذين تجلبونهم جلبا من شتى الشعوب ومختلف الأصناف " وهنا يتهمه شيلوك بالخيانة والعمل لصالح العرب ، وتتحدد نظرة الاشكنازيم لابراهيم (السفاردي) من خلال هذه التهمة ، فعندما تعلن دولة اسرائيل برفض شيلوك بقاء ابراهيم واتباعه في دولتهم الجديدة :

شيلوك : لسنا من الغياوة بحيث نرضى أن يبقى هذا الطابور الخامس في بلادنا ، سيكون هؤلاء الخونة أول من نستبعدهم من دولتنا المقدسة . (٢)

وقد برزت هذه التهمة بوضوح على أرض الواقع بعد قيام الدولة بسنوات ، فقد نظر الاشكنازيم لكل الشرقيين من هذه الزاوية خاصة بعد أن بدأ السفارديم ينظمون تمردا ضد التسلط الاشكنازي ، فتهمه " الخيانة " سيف مسلط على أعناق هؤلاء المتمردين " ليس منا من يتمرّد علينا ويخسب على نظامنا .. إنهم عملاء الآخريين .. " ولكن الأمر بالنسبة لليهودنا - يهود الحضارة العربية الإسلامية - أعمق من ذلك بكثير ، فتكذيب مثل تلك الدعاوى ليس بالأمر السهل ، والتهمة لا تخلو من قدر ما من الصحة فهم أبناء حضارتنا العربية الإسلامية شأرا هذا أم أبوا ، تفضحهم ملامحهم العربية ولهجاتهم العربية ، ومزاجهم العربي ، وعاداتهم العربية ، وأطعمتهم المفضلة ، وموسيقاهم المفضلة وأسرهم كبيرة العدد - إلى آخره - كل ذلك يجعلهم في عيون الاشكنازيم " عربا لا يفرقهم عن بقية العرب إلا الديانة وهو أمر لا يمكن تبيّنه إلا باستجواب العرب ، ومراجعة أوراقهم

(١) المسرحية ص ٦٨

(٢) المسرحية ص ٢٢١

ووثائقه ، إنهم إذن متهمون بالعروبة الى أن يثبتوا النقيض^(١) ولكن
إبراهيم - عند باكيير لم يثبت النقيض بل على العكس من ذلك ، إنه
أثبت " التهمة " على نفسه :

إبراهيم : فاعلموا إذن أنني عربى بالوطن ويهودى بالملة ، تسلسل آباءى
فى هذه البلاد منذ قرون ، ولولا سخرة الأيام لما استطاع
أمثالك يا شيلوك من الأجانب الدخلاء فى البلاد أن يتجسسوا
على مثلى من أبنائها الأصليين .^(٢)

ولعل هذا الإعلان من جانب إبراهيم يكون مقبولا فى ذلك الوقت
إذ أنه كان مساهرا لحركة رفض يهودية للصهيونية على مستوى يهود العالم
العربى ، وسنتبين فيما بعد أن مثل هذا الإعلان ، لم يكن معقبولا
بعد قيام الدولة ، حتى فى ظل ذلك التمييز الشديد ضد يهود الحضارة
الإسلامية ، وربما بسببه .

على أية حال فإن ذلك الصراع الفكرى تحول الى صراع دموى حيث
حاول شيلوك ومساعدوه ، الصاق تهمة الشرع فى القتل لإبراهيم بخية التخلص
منه ، ولكن ضابط الشرطة العربى يكشف ألاعيمهم وينجو إبراهيم ليزداد
نشاطه المعادى للصهيونية ، ولم يعد إبراهيم وحيدا فى نشاطه هذا بل
اتبعه كثير من اليهود اللاصهيونيين ، وقد قلدهم الجمعية اللاصهيونية
فى أمريكا رئاسة فرعها فى الشرق .

ويشير إبراهيم قضية جوهرية وهى مدى أحقية الصهيونية بتمثيل يهود
العالم ، هذه الفكرة التى صدقها كثير من أعداء الصهيونية من كثرة تكرارها .
يعلن شيلوك عن طلب الصهيونية إقامة الوطن القومى فى فلسطين - مع
السيطرة على العالم العربى كله :

شيلوك : إن اليهود جميعا يرون هذا الرأى وعندى تفويض تمام منهم

(١) انظر : د . قدرى حنفى ، الصراع الحضارى داخل التجمع اليهودى (مقدمة
لكتاب نظرة جديدة فى التحالف الصهيونى الامبريالى) .

(٢) المرحية ص ٧٠

قد أودعه عند كاتب الجلسة .
ابراهام : " ينهض " كلا أيها السادة إنه كاذب فيما يقول ، فعقلاء اليهود
لا يوافقونه بل يتبرأون من الصهيونية ويرونها خطرا على مستقبل
الشعب اليهودي . (١)

وقد رددت كثير من الجماعات اليهودية في مختلف بلاد العالم هذه
الفكرة وما زالت ترددها وهي أن الصهيونية ، وإسرائيل فيما بعد ، لا تشمل
إلا جماعة من المنتفعين من وراء هذا المشروع الامبريالي .

هذا الخلاف العميق بين اليهود الصهيونيين (الاشكنازيم) وبين
اليهود اللاصهيونيين (السفارديم) جعل الآخرين يقفون في صف العرب
في الصراع الشامل ضد الصهيونية :

ابراهام : لئن كان العرب يلعنون الصهيونية مرة فإننا معشر اللاصهيونيين
نلعنها ألف مرة ومرة لأن ضررها سيقع على رؤوس اليهود قبل
العرب .

وبين ابراهام أخطار الصهيونية على اليهود بصفة عامة ، وعلى يهود
الشرق بصفة خاصة ، ويفند اتهامات شيلوك له بخيانة الأمة اليهودية " لمصلحة
خاصة :

ابراهام : إنني لو لم اتحقق أن مصدرها (الصهيونية) هم اليهود أنفسهم
لقطعت بأنها أكبر مؤامرة سياسية دبرت للقضاء على الشعب
اليهودي بأسره - أما اتهام شيلوك إياي بأنني انقلبت على
الصهيونية لمصلحة خاصة اثرتها على المصلحة العامة للشعب
اليهودي فإنني لا أنكر - وأنا فلسطيني من أسرة عريقة في فلسطين

أن لى مصلحة خاصة فى مقاومة الصهيونية التى تجلب السى
بلادى شذاذ الافاق من المهاجرين البولونيين والألمان والهولنديين
وغيرهم من أم الأرض لينازعونا حقنا فى بلادنا ويستغلوا خيراتها
دوننا . (١)

ويقع باكثر - رغم وعيه الشديد - فى تناقض جوهرى ، فهو يردد طوال
المسرحية انعدام أية روابط بين يهود العالم سوى اليهودية التى هى
ديانة وليست قومية ، إلا أنه يردد أكثر من مرة مقولة " الشعب اليهودى "
ومقولة الشعب هذه تحتاج - كما نعلم - الى صفات وروابط خاصة ينفىها
باكثر - كما ينفىها الواقع - فكيف صار اليهود شعبا وهم يفقدون شروط
تحقق الشعب ؟ الى جانب هذا التناقض تسرب كثير من الحماس من
من الكاتب الى شخصية ابراهيم ، وقد صرفه هذا الحماس عن الانشغال
بقضية الأساسية - الصراع مع الصهيونية - الى الهتاف للعرب فى المحافل
الدولية :

ابراهيم : ليحيا العرب .. ليحيا العرب .. ليحيا العرب (٢)

وهذا ما أفقد الشخصية كثيرا من موضوعيتها السابقة ، وكان يمكن
للكاتب أن يقيم تعاوننا أوثق بين ابراهيم وحزبه وبين الشخصيات العربية
من أجل محاربة الصهيونية بعيدا عن الهتاف بحياة العرب .

يحتل الصراع الطائفى اليهودى القسم الأكبر من مسرحية باكثر الثانية
" شعب الله المختار " ، وهو وإن أخذ مظهرها جديدا فى معظمه ، هو
مظهر الصراع الدينى ، إلا أنه فى النهاية يصب فى الصراع الأساسى بين
الاشكنازيم وبين السفارديم ، وبجانب هذا المظهر الدينى سنجد الحفاظ

(١) المسرحية ص ١٧٧

(٢) المسرحية ص ٢٢٢

على المظهر الذى ورد فى المسرحية السابقة وهو الصراع بين الصهيونيين واليهود اللاصهيونيين ، وكثيرا ما تمتزج هذه المظاهر من الصراع لتكسبون فى النهاية صراعا واحدا أساسيا :

وقد تمثل هذا الرفض الدينى اللاصهيونى للحركة الصهيونية - على أرض الواقع - فى جماعة الناطورى كارتا التى رأت أن اليهود ليسوا شعبا بالمعنى المتعارف عليه وإنما هم جماعة دينية ، كما أنهم ليسوا عنصرا مستقلا بعكس ما تزعم الصهيونية . (١)

يمثل اليهود الصهاينة فى هذه المسرحية الكوهينات الأربعة ، ويجمع بينهم - بجانب صهيونيتهم - كونهم اشكنازيم ، فهم من فرنسا وبريطانيا وروسيا وأمريكا . كما يجمع بينهم أنهم جميعا من العلمانيين ، أما الطرف الآخر فى الصراع فيتمثل أكثر ما يتمثل فى اثنين : عزرا اليهودى السفاردى اليمنى المتدين ، ثم سيمون اليهودى السفاردى (المصرى الأصل) اللاصهيونى ثم هناك ليف اليهودى " المتحول " عن الصهيونية .

يبدأ الصراع بمشهد يجمع بين الصراع الدينى والإثنى حيث يتحشد الكوهينات الأربعة عن تعطيل الدوائر الرسمية يوم السبت :

كوهينون : الواقع أن هذا سخف لا يبرر له فى (دولة) فتية متمدنة .
كوهينسون : إننا دولة يهودية ويجب أن نحترم يوم السبت .
كوهينون : هذه رجعية سخيفة لا تليق (بدولتنا) المتحضرة .
كوهينسون : هذا لو كان يهود إسرائيل كلهم ملحدين مثلك . لكن فيهم المؤمنين المحافظين .

(١) انظر : هدى عبد السميع حجازى . بعض كلاسيكات الرفض اليهودى للصهيونية ص ١٤٨ عالم الفكر م - ١٤ ع ١ ، ود . عبد الوهاب المسيرى . الأيديولوجية الصهيونية . قسم ٢ ص ٦٢

كوهينوف : تعنى أولئك الرجعيين المنحطين من يهود العراق ويهود اليمن . هؤلاء يجب أن يكونوا أتباعا لنا لا أن نكون نحن تبعاً لهم .

كوهان : إنه من أسخف السخف أن تفرض علينا نحن يهود أوروبا وأمريكا بأن ننحط الى مستوى يهود اليمن . (١)

وهذه القضية التى أثارها بالكثير عام ١٩٥٦ لاتزال تشغل المجتمع الإسرائيلى الى اليوم ، ولاتزال قضية العمل يوم السبت تثير حفيظة المتدينين المتعصبين أو كما يلقبهم خصومهم سخرية منهم بلقب (حرس يهوا) "فأفراد هذا الحرس لا يتورعون يوم السبت من رجم سيارات الركوب بالأحجار سواء كانت هذه السيارات خاصة أو عامة " . (٢)

يصل عزرا اليمنى المتدين ويسمح لأحاديث الكوهينات فيثور ويسعد الصراع بينهم :

عزرا : إن السبت سيقى على رغم أنوفكم فإن لم تهجكم الحال فاخرجوا من إسرائيل (يتضاحك الجميع) ويلكم م تضحكون ؟ من زندقتم وإلحادكم ؟

كوهان : بل من تأخر (يضحكون) .
كوهين : إذا خرجنا من إسرائيل فلن نتركها ؟
كوهينوف : لمزرا وجماعته . . . للسفارديم .
كوهان : إذن تصبح إسرائيل أشد دول الأرض انحطاطا .

وهذا الخلاف الدينى / الإثنى قد أجمع عليه كثير من مؤرخى اليهود الذين قرروا أن الناحية الدينية أعمق وأشد عند اليهود الشرقيين منها عند الغربيين من اليهود أصحاب النظرة العلمانية الذين لا يهتمون بالنواحي الدينية ولا يشددون على الطقوس والتقاليد ولا يخلصون إلا للأساسية منها

(١) شعب الله المختار ص ١٢

(٢) د . فؤاد حسنين . الأدب اليهودى المعاصر ص ١٥

وهى الختان والزواج والدفن . وقد أدى كون معظم القائمين على الأعمال فى إسرائيل من اليهود الغربيين أن تعرض اليهود الشرقيون ومعظمهم من المتدينين الى أن يكون مؤوسهم غير متدينين ، مما أدى بدوره الى نزاعات وخصام كانت وما تزال تقوم بينهما .^(١) وهذا يعطى الغربيين الفرصة لاتهام الشرقيين " بالتأخر والتمسك بالتقاليد القديمة الرجعية والخوف من أن تصبح إسرائيل بلدا متخلفا نتيجة زيادة أعداد السفارديم بدرجة ملحوظة فى المجتمع الإسرائيلى " ^(٢) وهذا ما لاحظته باكشير فى فترة مبكرة ، بل إنه رأى فيه سببا من أسباب انهيار إسرائيل من الداخل نتيجة هذا التضاد الكامن فى المجتمع الإسرائيلى ، وإذا كانت الصورة السابقة تحدد نظرة الاشكنازيم للسفارديم ، فما صورة الاشكنازيم لدى السفارديم :

عزرا : بل أنتم سبب الانحطاط يا اشكنازيم . مادمت فى إسرائيل فلن يتم لها مجدها الموعود أبدا . . لأنكم لستم من شعب الله المختار . . . أنتم دخلاء من نطف السلاف والصقالبة واللاتين والجرمان ومن شتمت من الأمم .

كوهينوف : ومن شعب الله المختار إذن - أنتم ؟
عزرا : (محتدا) نعم نحن .
كوهينسون : هذه دولة متحضرة لا مكان فيها لأمثالك ^(٣)

فعلى حين ينظر الاشكنازيم للسفارديم على أنهم متخلفون وبدائيون وخونة ينظر هؤلاء الى الاشكنازيم بمنظار ديني حيث يخلعون عنهم صفة القداسة التى " تخص شعب الله المختار " لأنهم ليسوا يهودا خلصا .

وهكذا يكون الارتباط الكامل بين الصراع بالمفهوم الإثنى والصراع

(١) انظر، هلدا شعبان صايغ ، التمييز ضد اليهود الشرقيين ص ٥٩ دراسات

فلسطينية سنة ١٩٧١ بيروت .

(٢) د . قدرى حنفى . تجسيد الوهم ص ١١٥

(٣) المسرحية ص ١٩

التي سببت كل هذه المشاكل :

حاتم : لم لا تكافحون للقضاء على هذه الدولة (إسرائيل) فتريحونا منها
فإننا جميعا فى بؤس وشقاء .

سيمون : هذا ما ينادى به الفرد ليلنتال وجماعته المعادية للصهيونية
فى أمريكا .

حاتم : أجل هؤلاء الذين يعملون حقا لخير اليهود فى العالم . (١)

والفريد ليلنتال " وجماعته " يشكلون ما يعرف " بالمجلس الأمريكى
للإيهودية " الذى تأسس عام ١٩٤٣ لمحاربة الصهيونية ، وقد جاء فى
البيان الأول للمجلس " نحن نعارض الجهود الرامية الى إقامة دولة يهودية
قومية فى فلسطين أو غيرها من أنحاء العالم باعتبارها تنم عن فلسفة
انهزامية ولا تقدم حلا عمليا للمشكلة اليهودية ، وتخالف جميع العقائد
المتصلة بذلك فى تشديدها على عنصرية اليهود وقوميتهم وتشردهم النظرى
إننا نعارض تلك العقائد لضررها بمصلحة اليهود فى فلسطين وفى أمريكا
وحيثما يقيم اليهود " (٢)

يتبنى سيمون هذا الفكر ، ويتخذ قراره المصيرى لحل مشكلة الولا :
سيمون : إنها ليست مشكلتى بل مشكلة ألوف من اليهود من مختلف بلاد
العالم يقاسون هذه المحنة النفسية القاسية ولا خلاص لهم منها
إلا بزوال هذه الدولة المشؤومة . (٣)

فياخذ مكانه فى صفوف المناضلين لإنهاء " هذه الدولة " ، وتكون
طبيعة هذا الصراع بين الصهيونية وبين اللاصهيونية ، وينجح سيمون
ورفاقه فى القضاء على حكومة إسرائيل الصهيونية ويحضر الى الفندق

-
- (١) انظر المسرحية ص ٢٩
(٢) المجلس الأمريكى للإيهودية ، دراسة فى البديل اليهودى للصهيونية
ص ٢١ ، د . أسعد رزوق ، دراسات فلسطينية سنة ١٩٧٠ بيروت .
(٣) المسرحية ص ٧٤

الذى يقيم فيه الكوهينات الأربعة ، ومعه مجموعة من الضباط ويقبضون عليهم
(الطرف الثانى فى الصراع) لإعادتهم الى بلدانهم الأصلية ، ويكـون
أن ينضم ليفى اليهودى الأمريكى الذى حضر لاستثمار أمواله ، ينضم الى
جانب اللاصهيونيين ويتم تعيينه رئيسا للحكومة المؤقتة (بدلا من بن جوريون)
وسط هتافات الجماهير اليهودية بسقوط بن جوريون والصهيونية . وهكذا
يغلب الحماس على الكاتب مرة أخرى ويغلب عليه التمنى حيث يجمع
الغالبية العظمى من اليهود لاصهيونيين ، وتكون تهمة الخيانة أخـر
ما يردده الاشكنازيم للسفارديم :

كوهين : " لعزرا " ثبرات يا خائن من ملتك
عزرا : من الصهيونية ياملعون لا من اليهودية . منكم ياملعون ومن عصابت
النصابين الشحاذين (١)

ونهاية المسرحية التى تتمثل فى رحيل الاشكنازيم الى بلادهم الأصلية والعناق
الحاربين عزرا وسيمون السفارديم يعنى أن الصراع الاشكنازى السفاردى كان
الإطار الذى ضم الأنواع الأخرى من الصراع . ولا يخفى الكاتب فكرته التى
كررها فى المسرحية الأولى وهى أن اليهود السفارديم أقرب الى
العرب منهم الى الاشكنازيم ، ويؤكد سيمون على المعاملة الطيبة
التي سيلقاها اليهود الشرقيون الذين سيظلون فى فلسطين بعد
عودة أهلها اليها ، ودليله على ذلك تاريخ طويل من المعاملة
الطيبة لليهود فى البلاد العربية .

تركز مسرحيتا باكير اذن على الصراع الداخلى فى المجتمع الإسرائيلى .
وتكون النتيجة فيهما واحدة وهى انهيار إسرائيل من الداخل . . . فهل
يعنى ذلك تضخيما من الكاتب لهذه التناقضات الداخلية ؟ أم يعنى بأسا
كاملا من مقدرة العرب - الذين اختفوا من الصراع فى المسرحيتين - على
الانتصار فى هذا الصراع وبالتالي البحث عن مصدر آخر للأمل والتمنى ؟ . .

فى مسرحية باكتير الثالثة " إله إسرائيل " يأخذ الصراع اليهودى - اليهودى طابعا دينيا بحثا ، حيث يدور فى مجمله بين اليهود وبين أنبيائهم ، وبين بعضهم البعض كذلك ، ولذا يصدر باكتير مسرحيته بالآيئة القرآنية " وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة " ، وتبدأ المسرحية بإله بنى إسرائيل (إبليس) يدعوهم لمحاربة موسى الذى يطمع كما يقول إبليس - فى العرش فقط ، ولا يعمل لصالح اليهود ، كما أنه سبب اضطهاد المصريين لهم ، وينساق اليهود وراء إبليس ويشنون الحرب على موسى وهرون وعندما يأمرهم موسى أن يجمعوا الذهب الذى سرقوه من المصريين ، ليعيده لأصحابه نجدهم يرفضون ذلك ، ويجمعون هذا الذهب ليصنعوا منه عجلا ذهبيا ثم يعبدون هذا العجل مخالفين شريعة موسى ، مهددين هرون بالقتل إن لم يتركهم وشأنهم فى عبادة عجلهم . ويظل الصراع يدور حول هذا المحور من دعوة موسى لهم الى الدين القويم وخروجهم المستمر عن هذه الدعوة ومحاربتهم لأنبياء الله ، حتى أن موسى يتبرأ منهم ويدعو عليهم بالهلاك :

موسى : لا أريد أن يقف على قبرى أحد منهم .

ابن هرون : قوماً يا عم .

موسى : كلا لست منهم وليسوا منى .. اشهد يا بنى ، انى منهم بى - اللهم إنى برئ من بنى إسرائيل وكفر بنى إسرائيل - اللهم أنزل عليهم صواعق لعنتك وسلط عليهم الجوارين يسومونهم سوء العذاب واضرب عليهم الذلة والمسكنة والخزى الى الأبد - الى الأبد ... آمين .. آمين (١)

أما عن غرض باكتير من وراء هذا الصراع الدينى التاريخى فهو إثبات خروج اليهود عن جوهر الديانات السماوية ، ولهذا فهم أعداء لكل البشرية ، وأتباع لإبليس الذى اصطفاهم لإقامة ملكته على الأرض .

فى مسرحية " حدث فى ربح " يحتل الصراع اليهودى - اليهودى حيزا ضئيلا فى نهاية المسرحية ، وكان من الممكن توظيف هذا الصراع بصورة أفضل بكثير ما جاء عليه ، فلقد اكتشف الضابط اليهودى ، المصرى الأصل سامى هليل أن أمه ضمن مجموعة المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلى ، وكشفت له أمه حقيقة علاقتها مع والده الذى تزوجها طمعا فى ثروة أبيها ، ودخل الإسلام لهذا الغرض . ولما ضاعت ثروة أبيها ارتد الزوج عن الإسلام وهجر زوجته وهجر وطنه مصر الى إسرائيل مصطحبا ابنهما معه ، وهذا الابن هو " سامى هليل " . يكشف " سامى " إذن براءة أمه ، والأم هنا رمز الوطن الأصلى مصر ، واكتشف أيضا زيف الدعاية الصهيونية ، لهذا وقف بجانب أمه وجماعة الفدائيين ضد زملائه فى الجيش ، بل إنه دخل مع زملائه فى معركة انتهت بموتهم جميعا . وإن كان طرف الصراع الأول ، وهو سامى هليل ، قد تحدد بوضوح ، فإن الطرف الثانى ، وهم زملاؤه فى الجيش ، لم تتحدد هويته ، فلم نعرف إذا كانوا شرقيين أم غربيين ولم نعرف إذا كانوا صهاينة أم لا ، كل ما يصفهم به الكاتب به أنهم أفراد فى الجيش ، وبالتالي لم نستطع تحديد طبيعة الصراع ، وإن خرجنا فى النهاية برأى الكاتب من أن اليهودى العريس قد ينحاز فى أية لحظة لبلده الأصلى ، خاصة إذا اكتشف زيف الدعاية الصهيونية ، ولعل هذا ما يفسر لنا عدم وصول اليهود العرب - على أرض الواقع - إلى مناصب رفيعة فى الجيش الإسرائيلى ، " حيث تسير عملية الاستقطاب فى سلم الرتب العسكرية نتيجة للهوة الاجتماعية ، فى مسار إثنى ، فعند العسكريين الشرقيين يأخذ دائما فى الهبوط كلما تسلقنا الرتب العسكرية بينما يأخذ عددهم فى الازدياد فى حالة الهبوط فى سلم الرتب " (١) وكثيرا ما ترددت عبارة عدم الثقة فى اليهود الشرقيين حتى النهاية بين كبار المسئولين فى الحكومة الإسرائيلية .

تشارك مسرحية " الكوميديا اليهودية " مع مسرحية " إله إسرائيل " فى

(١) عبد الحفيظ محارب ، الهوة الاجتماعية فى إسرائيل ص ٥٤ ش . ف ع ١٥ نوفمبر ١٩٧٢

الشاهد : لا

ابن آشير : هل نعيد في أعيادهم أو يعيدون في أعيادنا ؟ هل يدخلون معابدنا أو نصلى في معابدهم

الشاهد : لا

ابن آشير : هل يؤمنون بالتوراة أو التلمود أو الزبور ؟ هل نتزوج منهم أو يتزوجون منا ؟

الشاهد : لا

ابن آشير : هل مثل هؤلاء تعدهم يهودا ؟ (١)

ويأخذ ابن آشير في تلقين الشاهد دروسا فيما تجيزه الشريعة من شهادة الزور و " باب النفاق " حيث يجوز لليهودي أن يقسم للمسيحي بالعدراة والمسلم بمحمد والحسين والسيدة زينب فيقول ابن فيروز ، حاخام القرائين :

ابن فيروز : يارجل حرام عليك تعليم اليهود شهادة الزور والنفاق .

ابن آشير : أنا لا أرد على الكافرين .

ابن فيروز : لقد أفسدتم شريعة الله فأفسدتكم ولوثتم العقيدة فأصابتكم باللوثة وجعلتم من أنفسكم شعبا بغيضا كريها بين كل الأمم والشعوب . (٢)

ومن الواضح أن الكاتب يتعاطف مع طائفة القرائين ضد الربانيين ، بل إنه يتخذ من ابن فيروز ستارا يقول من خلاله ما يريد من نقد لليهود . ومرجع هذا التعاطف الى مواقف القرائين من التوراة والتلمود ، وهذا الموقف الذي يشتركون فيه مع المسلمين . يشرح ابن فيروز لشبتاي هذا الموقف بقوله :

(١) الكوميديا اليهودية ص ١٠٦

(٢) المسرحية ص ١٠٧

ولكن في العصر الحديث ، من ذلك مثلا أن اليهود البيض يتكون على
اليهود السود والملونين يهوديتهم :

إيليا : أزعجني أن أعرف أن هناك يهودا ملونين ..
شبتاي : ليس يهوديا من جرت في دمائه قطرة واحدة من الدم الملون (١)

ولأن اليهود السود أو الملونين ليسوا يهودا " خلعا " فإن شبتاي
لا يمنحهم ثقته ، وهذا ما تفعله القيادة الاشتراكية تجاه السفارديم :

شبتاي : أما بالنسبة للجيش وللجنود المرتزقة فيجب أن يكون كل ذلك تحت
قيادة يهودية لحما ودما ، يهودية صافية ليس فيها دما ملون
أو مشكوك في أصلها . (٢)

وينشئ شبتاي لجنة لتقصي الأنساب للتعرف على اليهودي الأصلي من
اليهودي الدخيل ، إلا أن هذه اللجنة لا تستطيع التوصل لشيء ، أو كما
يقول حاخام القدس : " بعد أكثر من ثلاثة آلاف عام من اليهود
يستطيع أن يتحرى عن نسبه " (٣)

وهدف الكاتب واضح من سوق هذه القضية فهو يريد القضاء على فكرة
" الجنس اليهودي " هذه الفكرة التي روجت لها الصهيونية في العصر
الحديث وأقامت بنا عليها ، حقوقها المزعومة في فلسطين ، يقول إيليا :

إيليا : أحب أن أذكركم وقد درست الشريعة وعرفت أسرارها أن هناك
ملايين من اليهود الحاليين ليسوا من نسل داود ولم تجسر
في دمائهم قطرة من دما نسل الاثنتي عشرة قبيلة .

(١) المشرحة ص ١٢٦

(٢) المشرحة ص ١٤٢

(٣) المشرحة ص ١٤٦

شبتاي : ليس هؤلاء من شعبي المختار ، وعلينا تطهير اليهودية من هؤلاء المبيد والأمرى والمطونيين ، وشعورى كاله ، وإلا لا يخطئ أن أغلب الحاخامات الحاليين من نسل الأسرى والمبيد^(١)

ويهدف الكاتب من عرض نظرية الحركة الشبائية لليهودى الأبيض ، تقديم نظرة الصهيونية إذ لم يذكر مؤرخو الشبائية شيئاً من المنصرية فى هذه الحركة ، ولكن الكاتب - كمادته - يعرض للصهيونية الحديثة ، فقد انتسب الصهاينة للجنس الأبيض حتى يتمكنوا من المشاركة فى المزايا والحقوق التى منحها الرجل الأبيض لنفسه ، وحتى يسهلوا فى " حمل " العبء الحضارى الكبير ، ذلك أن من مقولات الرجل الأبيض نقل الحضارة بغطاء استعماري للأماكن المختلفة رغم أنف أصحابها ، وقد أبد عالم الاجتماع الصهيونى آرثر روبين (١٨٧٦ - ١٩٤٣) انتفاء اليهود للجنس الأبيض ، إذ أنه يفضل - على حد قوله - أن يرى اليهود أعضاء فى الجنس الأبيض ويرحب بأية محاولات نظرية ترمى الى توجيه الضربات للنظرية السامية (أى انتفاء اليهود للمرق السامى) . وثمة اتجاه فى الفكر الصهيونى يقصر لفظ " يهودى " على اليهود البيض وحدهم ، أى الاشكاز ، وقد افصح روبين عن هذه الفكرة بصراحة فى كتابه " يهود اليوم " وسين أن محاولات الشيطان كانت تستهدف - أساساً - تجنيد اليهود الأوروبيين لا اليهود الشرقيين .^(٢)

وقد آمن هرتزل بنظرية الرجل الأبيض منذ البداية ، وكان يروج لها ، وقد قرر قبل أن يجتمع بتشامبرلين أن من الضرورى قبل مناقشة الخطة الصهيونية أن يبين لوزير المستعمرات البريطانى أن هناك " بقعة ما فىمتلكات الانجليزية ليس بها حتى الآن أناس بيض " .^(٣)

(١) المسرحية ص ١٣٤ - ١٣٥

(٢) انظر د . عبد الوهاب السيرى . الايدولوجية الصهيونية قسم ١ ص ١٨١

(٣) السابق ص ١٨٤

وهكذا اتخذ الكاتب من الصراعات اليهودية - اليهودية ، في إطارها
الدينى التاريخى مشجبا - كما يقول الكسندر دumas - ليهلق عليه كثيرا
من قضايا الصهيونية المعاصرة .

* * *

فى " وطنى عكا " أيضا نجد الصراع اليهودى - اليهودى على ضريبتين ،
الأول بين اليهود اللاصهيونيين وبين اليهود الصهاينة ، والثانى بين
اليهود السفارديم وبين اليهود الاشكنازيم . يلتقى هذان الضريان - من
الصراع عند شخصية سعد هرون " اليهودى السفاردى المعادى للصهيونية
والذى يناضل على " الجبهتين " السابقتين .

من الملاحظ فى الصراع بين الصهيونيين وبين اللاصهيونيين أن جميع
الشخصيات اللاصهيونية كانت فى بداية أمرها صهيونية متعصبة إلا أنها
" تحولت " عن صهيونيتها لأسباب أفضنا فى ذكرها عند الحديث عن
الشخصية المتحولة ، كما تميزت اللاصهيونية فى المسرحية بالقاومة السلبية
وذلك مثل " النزوح " والعودة الى البلد الاصلى ، أو التردد على
الخدمة العسكرية ، وكان هذا أقرب الى الواقع من تصوير باكثير " للشورى " .
السلطة التى قام بها اليهود اللاصهيونيين ، والتى أدت الى خلع
الحكومة " وإزالة " اسرائيل . يقود اللاصهيونيين فى هذه المسرحية
يهودى فرنسى الأصل يدعى مارسيل ، كان داعية صهيونيا لكنه تحول
عنها الى صف معاداة الصهيونية ، ويظل يحاربها بنشر افكاره فى كل
النوادى والمجتمعات الاسرائيلية حتى تأثر به الكثيرون واتبعوه فى عدائهم
للصهيونية ، وقد كان مارسيل بالنسبة لهم - كما تصور المسرحية - سداة
القمقم ، فما إن انخلعت هذه السداة حتى انطلق المارد اليهودى
المعادى للصهيونية .

ويكون صدام مارسيل الأول مع زوجته مارجو التى تلقت طفلهما أول درس

مارجو : من شاطئ النيل حتى الغرات ستمد دولتنا المقبلة

على جيلكم عبء تحقيق هذا

مارسيل : لا تفسدى طفلنا يا امرأة

(ثم لايته) قف هاهنا واسمع وفكر

لا تغرس الكلمات فى أعماق نفسك دون إعمال لفكر (١)

ويظل بزوجه حتى تكفر هى الأخرى بالصهيونية وتتحول الى معاداتها
كما يظل مارسيل يرسل سهامه ضد الصهيونية بين أفراد الجيش الإسرائيلى
ويحاول أن يحرك فيهم إنسانيتهم التى وارثها الصهيونية :

مارسيل : إننا نحرق ما أخضر من الأرض نجث المدن

إننا نلقى من الجو لهبها فوق هامات الوجود المطمئن

إننا نشحن فى الدنيا لتذعن

كيف تقوى بعد أن تنظر فى عين صغير

أنت يامن تطفى الوضوء فى عين الصغار

أنت يامن يقذف النار لكى يشوى أجساد البشر (٢)

وإذا كان من المعقول - واقميا وفتيا - أن يتسم موقف اللاصهيونيين
بهذه السلبية النعالة ، فإنه من غير المعقول ، واقميا وفتيا أيضا ،
أن يتسم رد الصهيونيين بكل هذه السلبية التى جاء عليها ، من ذلك
مثلا أن القائد الصهيونى المتمصب بحقوق يرد على هجوم مارسيل على
الصهيونية بقوله :

بحقوب : أنت يا مارسيل أصبحت انهزاميا خطيرا خائرا لا قلب له . (٣)

وعندما ينفذ مارسيل مقولة " الشعب اليهودى " ، ويكشف متاجرة " ملوك

(١) وطنى عكا ص ١٠٧

(٢) المسرحية ص ١٢٢

(٣) المسرحية ص ١١٦

الجيش بأرواح اليهود لكي يصرفوا قناطير الذهب " يكون رد يعقوب أكثر
سلابية :

يعقوب : (يصفق في سخرية) أنت أصبحت خطيها فجأة تتفنن القاء
الخطب . (١)

وكان الأقرب للواقعية والفنية أن يقوم الصهاينة بنج مارسيل في السجن
أو أن يدفعوا له ثمن سكوتة ، كما يفعلون مع قادة المتمردين منذ قيام
الدولة ، إلا إذا كان الشرفاوى يفترض في إسرائيل ديمقراطية تفوق خيال
أفلاطون نفسه .

لكن الكاتب يعود ليتدارك هذا الخطأ - الواقعي والفني - وذلك عندما
جعل الصهاينة يلاحقون مارسيل بعد عودته إلى وطنه الأصلي فرنسا ليستقر
هناك :

روبرتو : أمهلوه .. نسياتى خائبا عما قريب
سمد : إنهم قد حاصروه - طاردوه - أغلقوا في وجهه كل السبل
روبرتو : لهم المذد .. ففى عودة مارسيل لباريس اتهم بل إدانة (٢)

أما أتباع مارسيل الذين تحولوا عن الصهيونية إلى محاربتها فهم : زوجته
مارجو ، والجندى سلامكى وسعد هرون الذين يعتبرون امتدادا لمارسيل
عدا سمد هرون الذى حمل عبء الصراع الشرق - الغربى ، ولانجسد
رد فعل منطلق من الصهيونيين تجاه مارجو ، أما سلامكى فإنهم يتركونه
يردد كل أفكاره اللاصهيونية وعند نهاية المسرحية يقدم للمحاكمة .

وقد أبرز الكاتب ظاهرتين من ظواهر معاداة الصهيونية ، تمثلت

(١) المسرحية ص ١٢٦

(٢) المسرحية ص ١٦٤

الأولى فى النزوح عن إسرائيل الى البلدان الأصلية ، فقد نزع كل من مارسيل ومارجو وابنهما الى فرنسا ، بينما كان مارسيل يدعو الجميع الى العودة الى أوطانهم الأصلية التى جاءوا منها ، وظاهرة النزوح عن إسرائيل كما هو معروف ، تمتد من الظواهر الخطيرة التى تهدد صميم الكيان الصهيونى بالخطر ، وتبذل الدولة جهودا مضنية لوقف هذا النزيف الإسرائيلى . صحيح أن هناك عوامل كثيرة وراء هذا النزوح على رأسها العامل الاقتصادى والاجتماعى والأمنى وغير ذلك إلا أن هذه العوامل لم تكن لتؤثر دون أن يفقد الشخص اليهودى إيمانه بالصهيونية .

الظاهرة الثانية من ظواهر معاداة الصهيونية التى برزت فى السرحية ، ظاهرة التمرد على الخدمة العسكرية ، حيث رفض أحد الجنود الفكرة الصهيونية وما يتبعها من بطش وتنكيل بالأبرياء ، فيخلع الملابس العسكرية ويلبس ملابس عربية ويهرب الى الأردن رافضا إسرائيل والصهيونية والخدمة العسكرية وقد أخذت هذه الظاهرة تبرز شيئا فشيئا فى الجيش الإسرائيلى ، بسبب إن بعضا من الكتاب الإسرائيليين أخذوا يدعون الشباب صراحة الى عدم الانخراط فى صفوف الجيش الإسرائيلى ومنهم الكاتب عاموس كينان والبروفيسور يشعياهو ليهوفيتش الذى قال بعد الثورة الشعبية الفلسطينية (الانتفاضة) فى تبرير موقفه من تحريض الشباب الإسرائيلى للتمرد على الخدمة العسكرية : " إن استمرار محاولتنا السيطرة على الشعب الفلسطينى سيؤدى الى أمرين لا بد من وقوعهما ، أولهما داخلى وهو تحول إسرائيل الى دولة يحكمها المتطرفون (كاهانا وشارون وايتان ودوكان) الذين سيقبضون معسكرات إبادة يحشرون فيها الفلسطينيين أولا ثم اليهود المعارضين ثانيا ، وتحول إسرائيل كلها الى دولة فاشية ، الأمر الثانى الذى لا بد من وقوعه خارجى حيث ستخوض حكومة كاهانا - شارون - ايتان - دوكان - حربا ضد العالم العربى من أقصاه الى أقصاه " (١)

ومن الجدير بالذكر أن الشرفاوى هو الكاتب المسرحى الوحيد الذى أشار الى هاتين الظاهرتين فى المجتمع الإسرائيلى ، بينما اهتم بقيسمة الكتاب بالصراع الإثنى والطبقى فى هذا المجتمع .

والضرب الثانى من الصراع الذى أداره الكاتب فى المسرحية كان الصراع الإثنى بين الاشتكازيم وبين السفارديم ، ويتفق هذا الضرب مع الضرب الأول - الى حد كبير - فى طرفيه ، كان سعد هرون مثل السفارديم لاصهيونيا فى الوقت ذاته ، وكان القائد يعقوب متبعا للتمييز المنصرى وتمتعصبا للصهيونية أيضا . أما اللاصهيونيون من الاشتكاز فانهم وقفوا موقفا مؤيدا لسعد هرون ، وهذا ما جعل الكاتب يعتمد عن الواقع فى هذا التصوير ، وما دفع الكاتب لذلك نظرتة المثالية للأمور ، فالأشياء فى نظره إما سوداء شديدة السواد ، وإما بيضاء ناصعة البياض ولا وسط هناك ، والشخصيات إما خيرة تماما أو شريرة تماما ، ونحن نعلم أن مثل هذا التقسيم لا وجود له على أرض الواقع .

ويقوم الكاتب بإظهار التمييز الإثنى دفعة واحدة دون تمهيد أو تدريج ، فعندما يفتد مارسيل مزاعم الصهيونية على مسع من الضباط والجنود ، يأخذ سعد هرون فى التقرب اليه لأنه قال ما يطمئنى سعد قوله منذ زمن ولكنه لا يستطيع :

سعد : سيدى مارسيل .. انى من فلسطين القديمة .

مارسيل : عربى أنت ؟

سعد : عربى دون رب غير أنى ها هنا لا أرفع الصوت لأنى - (يسكت)

مارسيل : لم لاترفع صوتك ؟ ؟

سعد : لست مثلك .. نحن شىء غيركم .. اننا أدنى مقاما

نحن لانملك حرياتكم .. من ترى يحكم إسرائيل ؟ أنتم

أنتم يا من أتيتكم من وراء البحر رهرا للتقدم ، اننى أعجب بكم . (١)

ويشير هذا الحوار المديد من القضايا لعل أولها إحساس سعد بأنه عيسى ، ونظرة مارسيل له على أنه كذلك ، وهنا يعتمد الكاتب عن الواقع مرة أخرى ليدخل باب التمني ، فعلى الرغم من أن يهود البلاد العربية قد حطوا حضارة البلاد التي جاؤا منها ولغتها العربية وعاداتها وتقاليدها بل ولون البشرة العربية ، إلا أنهم لا يعترفون بعروبتهم ، ولا يكون انتسابهم الإسرائيلي ، ذلك أن مجرد شبههم بالمعرب يسبب لهم عنتا بالغا ، ويذكر الباحثون أن من أسباب التفرقة العنصرية التي يمارسها الاشكنازيم ضد السفارديم " ذلك الاقتران الذهني عند الغربيين لليهود الشرقيين بالمعرب وقد أعلن بن جوريون تشاؤمه من تحسن هؤلاء الشرقيين لأن " عاداتهم هي عادات المعرب " ، وكره بن جوريون للمعرب ولغتهم وكل ما يتعلق بهم معروف لا يحتاج لتفصيل " (١)

ولكى يتخلص الشرقيون من هذه التهمة يظهرون عداً أكبر نحو المعرب ، في محاولة للوصول الى حقوق المواطنة الإسرائيلية .

واحساس الشرقيين بالدونية (إننا أدنى مقاماً) أمر زرع الاشكنازيم في عقول السفارديم من كثرة ترديدهم له ، بل إنهم حطوا السفارديم مسئولية تدنى أوضاعهم فقد كتب مراسل صحيفة هآرتس (٢٢ ابريل ١٩٤٩) يصف يهود شمال افريقيا " المستوى العلمي لهم مساو للجهل التام ، وتسيطر عليهم جميعا الأهواء الوحشية والبدائية . وفي الأقسام التي يعيشون فيها تتم القذارة والأمراض المختلفة ، هذا بخلاف المروقة والأمراض الخلقية . ومن بينهم جنود أقموا بأنهم سيقاتلون الاشكنازيم بعد انتهاء الحرب مع العرب ، إنهم كسالى ويهفون العمل وكلهم تقريبا يفتقدون أية مهارة .. هل وضع في الاعتبار مصير هذا البلد إذا أصبح سكانه من أمثال هؤلاء " (٢)

وكان لذلك آثار واضحة على حياة هؤلاء الاجتاعية ، فضعف طائفة حاولوا

(١) هذا شعبان صايغ ، التمييز ضد اليهود الشرقيين ص ٤٨

(٢) اشرف راضي ، الفجوة ص ١٢٢

تقليد الأوروبيين في مظاهر حياتهم لكي لا يتهموا بشبهة التخلف ، وتمسكت طائفة أخرى بشريعتها أكثر واتخذت منها حصنا ضد الاشتكازيم ، مع ما نرى ذلك من ضرورة التصادم بينهما ، فقد خرج من هذه الطائفة العديد من الحركات الشرقية المتمردة على التسلط الاشتكازي ، فهؤلاء الذين "جاءوا من وراء البحار هم الذين يحكمون إسرائيل" ، ففهم رئيس الوزراء والوزراء وأعضاء الكنيست والمهندسون وغير ذلك من المراكز الحساسة في الدولة الصهيونية . (١)

وبشير الحوار أخيرا إلى الديمقراطية الرائدة في إسرائيل (نحن لانملك حرياتكم) فهي ديمقراطية عنصرية بيضاء تجوز للاشتكازي مالا تجوز للمفارقة هذه الحقائق تصدم مارجو الاشتكازي ، ولأنها تحولت عن الصهيونية فهي تتعاطف مع سعد هرون ، فالصهيونية - كما يرى الكاتب ، وكما أقبرت الأمم المتحدة - حركة عنصرية حتى بين اليهود أنفسهم :

مارجو : مستحيل ذلك التمييز .. لا ..

نحن حقا في بلاد عنصرية

سعد : أبلغ العالم عنا أننا مضطهدون .. إننا مختلفون

إننا من هذه الأرض ولم نشعر هنا من قبل أن تأتوا لنا

بالعنصرية . الديانات جميعا قد تمايشت هنا .. فلماذا ينبغي

أن تصبح القدس لنا

مارجو : نحن لسنا بعد شعبا واحدا

نحن حقا أم مختلفة (٢)

(١) حول نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المناصب الحكومية الحساسة

انظر : وحيد محمد عبد المجيد ، اليهود العرب في إسرائيل -

ص ٧٢ - ٧٩ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام

سنة ١٩٧٨

(٢) المسرحية ص ١٣١

وهذا ما أعلنه اليهود الشرقيون أكثر من مرة في الصحف والمجسلات ،
إنهم لم يشهدوا هذا التمييز العنصرى في البلاد العربية التى جاءوا
منها . (١) وكانت مظاهر التمييز متعددة في المرحية ، فقد لاحظنا الرد
الصهيونى الفاتر عندما ثار مارسيل على الصهيونية ، ولكن عندما ثار عليها
سعد هرون ، وعلى السيطرة الاشكنازية كان الضحية التى تكالب عليها
الصهاينة :

روبرتو : لقد جئنا لننقذكم فهل تجحدنا الآن
سعد : لقد جئتم لتلحقنا اللعنة .. كى نصبح فى ارض فلسطين وعياكم
ونشقى فى نواحيها .

روبرتو : ما أنتم يهود الشرق الا كاليهود الحمر .
مجندة : ما أنتم سوى كزتوج أمريكا جحدتم نعمة السادة
روبرتو : ولا مجد لإسرائيل منذ اليوم الا أن إبادتكم (٢)

أما القائد الصهيونى يعقوب فهو لا يكتفى بتذكير سعد بالفروق الحضارية
بين الاشكنازيم وبين السفارديم ، وفضل الأولين على الآخرين ، ولكنه يتجاوز
ذلك الى اتهام سعد بالخيانة العظمى لإسرائيل :

يعقوب : أنت لن تنجو يا سعد بما قلت هنا
أنت يا سعد عدو النظام
رسمًا كنت سهلا عربيا .. أنت مأجور لمصر
روبرتو : قل لنا يا سعد كم تأخذ من مصر لكى تنشر أفكارك فيما بيننا ؟ (٣)

وتهمة الخيانة - كما أسلفنا - دائرة الالتحاق باليهود الشرقيين ،

(١) انظر عبد الحفيظ محارب ، الهوة الاجتماعية فى اسرائيل ص ٤٣

(٢) المرحية ص ١٦٧

(٣) المرحية ص ١٦٥

يقول الكاتب الاسرائيلي اسحق دويتشر في احدى مقالاته : " ان اليهود الغربيين دائرو التخوف من اليهود الشرقيين ، ويعرفون ان هؤلاء يكرهونهم ، وكثيرا ما تسمع اقوالا مفادها انهم يشكون في اخلاصهم لإسرائيل مثل قولهم " من يعلم قد يأتي اليوم الذي يتحازون فيه مع العرب ، إذ ليس هناك كبير فرق بينهم وبين العرب " (١)

وهذا ما يعني عليه الكتاب المسرحيون كثيرا من آمالهم منذ باكثير حتى الشرقاوى ، ولم يقتصر الأمر على الكتاب المسرحيين بل إنه تجاوزهم الى كثير من الكتاب السياسيين . (٢)

* * *

تركز مسرحية " النار والزيتون " على الصراع العربى - الإسرائيلى ، ولكنها لا تنفلق الصراع اليهودى - اليهودى ، وتتطرق اليه فى أكثر من موضع ، ولكن الهدف من هذا التناول يختلف عن هدف المسرحيات السابقة التى لاحظنا أنها تضع الكثير من الآمال على اليهود الشرقيين المضطهدين بل إن باكثير جعل هؤلاء اليهود هم الذين يقضون على إسرائيل ويعيدون فلسطين الى أهلها العرب .

أما مسرحية " النار والزيتون " فإنها تبرز التفرقة العنصرية لإثبات أن الديمقراطية فى إسرائيل مجرد وهم ، وأنها حكومة صهيونية عنصرية لا تختلف عن حكومة جنوب افريقيا العنصرية :

القائد الفلسطينى : التمييز العنصرى بين اليهود الشرقيين وبين اليهود الغربيين هناك يدحض هذه اللافتة الديمقراطية

(١) هلدا شيمان صايغ ، التمييز ضد اليهود الشرقيين فى إسرائيل -

ص ٤٨ - ٤٩

(٢) انظر على سبيل المثال : أشرف راضى : الفجوة ، ووجيه قاسم : نظرة جديدة .

المزفة . (١)

وهذا التمييز المنصرى الذى يمارسه الصهاينة ضد اليهود الشرقيين
يشمل العرب أيضا وإن كان بشكل أكثر حدة وعنفا .

ولكن هذا لا يعنى أن الكاتب لا يحرض اليهود الشرقيين ضد الصهيونية ،
إن الأمر بخلاف ذلك فهو يرى أن ضرر الصهيونية لا يقع على العرب وحدهم
وإنما يقع على اليهود أيضا " إن الصهيونية كما هى حرب على العرب
فهى حرب على اليهود " ويضيف القائد الفلسطينى :

القائد : نحن نعتبر أن تحرير الأرض الفلسطينية لا ينطوى فقط على تحرير
الإنسان الفلسطينى وإنما ينطوى أيضا على تحرير الإنسان اليهودى
من المدوان ومن الصهيونية ، وإعادة إنسانيته له ؟

القائد : ماذا تعنى بإعادة إنسانيته له ؟
القائد : الصهيونية تمثل انحرافا عن الجوهر بالنسبة للإنسان اليهودى ،
فقد ظل اليهودى يكافح فى صفوف الثورات الديمقراطية والتقدمية
لإنال حقه الكامل فى وطنه كموطن ولكن الصهيونية اليوم تحرفه
عن المكاسب التى أحرزها فى وطنه كموطن ، وتغذى غريزته
وتريد أن تضى عليه صفة الأجنبى فى وطنه (٢)

يقدم الكاتب صورة جديدة من صور الصراع هى صورة الصراع الطبقي ،
وقد ذكرنا أننا أن هذا اللون من الصراع يصب فى الصراع الأكبر ،
الاشكنازى - السفاردى ، حيث تشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى ذلك
التفاوت الطبقي الشاسع وإلى انتشار الفقر بين كثير من العائلات ، فكل
عائلة خامسة وكل شخص رابع فى إسرائيل يعانى من الفقر (٣) . كما

(١) النار والزيتون ص ٨٣

(٢) المسرحية ص ٨١ - ٨٢

(٣) انظر اشرف راضى ، الفجوة ص ٦٠

تشير تلك المصادر الى أن ٩٠ % من هؤلاء الفقراء من اليهود الشرقيين
وأن هناك استقطابا حادا لليهود يتطابق مع الخطوط العرقية التي تفصل
فيما بينهم ، حيث تتجمع الأغلبية اليهودية من الأصول الشرقية في الطبقات
الدنيا ، بينما تتجمع غالبية اليهود الغربيين في الطبقات العليا . (١)

هذا التناقض الطبقي القائم على تناقض إثني هو ما يركز عليه الكاتب ،
فيرسم صورة فنية غنية بالتعبير من خلال هذا المشهد :

(شحاذ يهودي يستند الى ستارة الخلف التي تمكس صورة أحد المحلات
الاسرائيلية ، يدخل المليونير وابنته ودليله يتحدثون وهم يتجولون ، الدليل
وحده يلحظ وجود الشحاذ ويشير له خفية لينصرف)

الدليل : (يواصل الإشارة للشحاذ الذي لا يلتفت له) شش
الابنة : سألتقط بعض الصور يا بابا ...
المليونير : لا تبتمدى (يستدير لها فيراها تستمد لالتقاط صورة الشحاذ
يفاجأ) ليس هذا ياسمى أوه ... يا الهى
الابنة : (تمود لأبيها والدليل يلكز الشحاذ بغضب) ماذا يا بابا
المليونير : ألف مرة أقول لك لا تلتقطى صورا للفقراء ... أتشائم منهم ...
الابنة : ولكنه عربى يا بابا ...
المليونير : بل يهودى يا غمبة
الابنة : لا تنفعل يا بابا ... ها هو ينهض ليذهب ... سألتقط أنا صوري ...
(تبتمد بينما المليونير يختلس النظر فى حذر للشحاذ الذى
يجمع أشياء والدليل يشرف على انصرافه ، ما إن ينهض الشحاذ
لينصرف حتى نرى صورته ماثلة على الجدار)
المليونير : (يده على رأسه وقد أفزعته انصراف الشحاذ وبقا صورته

مع ذلك (أوه ... (١)

ويحمل هذا المشهد ، رغم خلوه من الصراع الصاعد ، أبعاد التناقض الطبقي الحادة في المجتمع الإسرائيلي ، وما يزيد من خطورة هذا التناقض أنه يقوم على تناقض إثنى عميق . يستمر مشهد التناقض الطبقي / الإثني عندما يذهب " المليونير عند حائط الهيكل المصور فوق ستارة الخلف وقد جلس عنده بعض فقراء اليهود ، المليونير يتجنب النظر إليهم بطريقة ملحوظة "

فقراء اليهود : " يرتلون " يارب جينا بالميعاد وما لقينا الموعد
وركبا قطروبحر ودموعنا فوق الخد
ما في جيونا والحقائب غير وصايا الرب
حرب وحاربنا مثل ما أمرونا دقنا الحرب
برضك هنا غربي يلاقى وشرقي ما يلقى
شغل اشتغلنا ولقينا أبيض يحتكم في الشرقي
يارب داخنا في إسرائيل ليش ذلنا ها القد
يارب جينا في الميعاد وعشرين سنة ننتظر ها الوعد (٢)

والوعد الذي جاء من أجله هؤلاء الفقراء هو وعد التوراة بأن يعطيهم الرب الأرض التي تفيض لبنا وعسلا ، لكن هذا الوعد لم يتحقق لهؤلاء الفقراء ، وإن كان قد تحقق لكثير من الاثكنازيم بأكثر من " اللبن والعسل " .

وهناك مسؤولون إسرائيليون يرون أن هذه الهوة ناجمة عن الميسوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة ، وذلك مثل سكرتير الهستدروت يتسحاق بن أهاريون الذي يقول " إن المجتمع الإسرائيلي

(١) المسرحية ص ٨٣

(٢) المسرحية ص ٨٤ - ٨٥

يكشف اليوم عن نقاط ضعف خطيرة للغاية ، وانحرافات خطيرة عن الأهداف الأساسية للدولة التي من شأنها - لاسمح الله - أن تعرضها للخطر وتدمرها .. إن المسؤول عن المكاسب والانتصارات والاحتلال ينبغي عليه أن يكون مسؤولاً عن الفشل الاجتماعي ، صحيح أن معظم المضررين من الفقر والاستقطاب الاجتماعي هم من أبناء الطوائف الشرقية ، بيد أن ذلك ليس ناجماً عن تميز بل عن عيوب اقتصادية واجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة منذ حرب الأيام الستة تفجرت هوة اجتماعية مؤشراتنا الأساسية تتمثل في توزيع غير عادل للكمكة القومية " (١)

ويجمل الدليل - عند الفريد فرج - وظيفة اليهود الشرقيين في إسرائيل بقوله " نريد ملايين العمال والجنود من اليهود الطونيين والشرقيين ومئات الألوف البيض المهنين المتعلمين " فالشرقيون إذن ضروريون لتكوين البنية التحتية للمجتمع الإسرائيلي ومن أجل أن يهاجر هؤلاء إلى إسرائيل تستخدم الصهيونية كافة السبل ، ويلخصها الدليل في ضرورة شعور اليهود في العالم بالاضطهاد ، وأنه لا مأمّن لهم إلا في إسرائيل لذلك فهو يعترض عندما يقترح المليونير أن يدفع للعمال اليهود في مصانعه وشركاته خارج إسرائيل علاوة امتياز ، ويرى الدليل أن يهود " الدياسورا " يجب أن يشعروا بالاضطهاد الكامل " ليفقدوا الأمل في مستقبلهم هناك " .

المليونير : سأضطهدهم .. سأعذبهم رحمة بهم .. الملاعين اليهود أفادت النازية قضيتهم والأغبياء يلحون في رفع أجورهم ، المشروع كله والوطن نفسه في مأزق وهم يريدون الاستقرار في العالم بيش .
الابنة : (تدخل عند صباح أبيها) لاتصرخ يا بابا - الطبيب أمرك .
المليونير : يسقط الأطباء .. يسقط العرب - يسقط اليهود المتأقلمون (٢)

(١) معارف ١٩٧١/٣/٣١ (عن شئون فلسطينية : عبد الحفيظ محارب ،
الهوة الاجتماعية في إسرائيل ص ٤٥ ع ١٥ نوفمبر ١٩٧٢)

(٢) المسرحية ص ٨٤

لهذا كانت الصهيونية تستخدم التهديد بالإبادة ضد اليهود في مختلف بلاد العالم ، ولم تنجح في استخدام اليهود وتهجيرهم إلا بعد أن نظمت ضدهم المجازر البشرية لإجبارهم على الهجرة " (١) وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا الموقف من الصهاينة إلى اعتبار اللاساميين حلفاء طبيعيين وقوة ايجابية في نضالهم القوي من أجل تحرير يهود الشتات " من عهود يتهم المزعومة وكان هرتزل أول من أشار إلى ذلك التحالف بين الصهيونية واللاسامية (٢) .

وتمثل مهمة تجميع يهود المنفى مكانة بارزة في المخططات الإسرائيلية الرسمية ذلك أن مأزق إسرائيل الأكبر هو المأزق البشري ، ويتضح ذلك من خلال سلوك القادة الإسرائيليين الذين لا يتوقفون لحظة عن دعوة يهود العالم " للعودة إلى أرض الصياد " ، " ويعطون هذه المسألة اهتماما بالغا لإحساسهم بأن عدد السكان الحاليين في إسرائيل يشكل نقطة ضعف خطيرة بالنسبة للكيان الإسرائيلي فيها يتعلق بقدرته على البقاء والتوسع . كما أن عدم استجابة يهود العالم للدعوة الإسرائيلية بالهجرة يمثل انتكاسة للحركة الصهيونية " (٣)

على أية حال فإن الفريد فرج في تقديمه للصراع الإثنى / الطبقي في المجتمع الإسرائيلي لم يكن " ليحلم " أو يقتنى أن يؤدي هذا الصراع إلى القضاء على إسرائيل كما فعل سابقوه ، فهو مؤمن - كما مر بنا - بأن الحقوق العربية لا يمكن أن تسترد إلا بالقوة الحربية ، وليس بالصراعات الإسرائيلية الداخلية ، لهذا لم نجد اليهودي الشرقي الذي يهتف بحماس بحياة العرب أو ينضم إلى صفوفهم ، بل وجدنا ذلك اليهودي الشرقي الطيار الذي يلقي قنابل النابالم على السكان العرب المدنيين بانضباط وطلاء عسكرية كاملة للأوامر . وإن كانت شوقيته قد حالت بينه وبين الإحساس

-
- (١) وجيه حسن قاسم ، نظرة جديدة ص ٤٣
(٢) انظر د . عبد الوهاب المصري ، الايديولوجية الصهيونية ص ٢٨٤
(٣) مصطفى عبد العزيز ، إسرائيل ويهود العالم ص ٥٤

بشعة عليه كما كان الحال مع الطيار الاشكازى الذى شعر بشعة بالغة وهو يقوم بهذا العمل .

* * *

تقوم مسرحية " الثغرة " على مجموعة من التناقضات التى تكون الصراعات فى المجتمع الإسرائيلى ، فالمسرحية تقوم على ست شخصيات تختلف كل منها عن الأخرى لتمثل نمطا مستقلا وممزولا ، بل ومناقضا للأنماط الأخرى :

اجنون : شئ لطيف أن نجتمع هنا رغم التناقض - إننا مجتمع غريب .
موردخاى : ولكن علينا أن نصنع دولة .
يائيل : إنها المرة الأولى التى أرى فيها هذا التمزق .
موردخاى : نحن ممزقون حتى فى اللغة . (١)

ويكون التناقض الأول بين أفراد هذه المجموعة التى تمثل المجتمع الإسرائيلى خير تمثيل ، هو التناقض / الصراع بين المتدينين وبين الملحدين .
يكون الصراع فى المسرحية مثل المتدينين بينما بقية المجموعة من الملحدين ونرى الصراع منذ البداية يعلو ويطلب الرحمة لنفسه فقط ، فيشارك الخمسة فى الهجوم عليه :

يائيل : (تقصد الصراع) منظر هذا الرجل يثيرنى
موردخاى : ثقوا أنه لم يعرف الله إلا هنا .. حتى الانانية فى الصلاة (٢)

وتعود يائيل لتسخر منه حين تطلب منه أن يراقصها ما يثير سخريته الآخرين ويضيف أحدهم :

موردخاى : حين تصعد للسما ، لا تنسى أن تأخذ لحيتك (٣)

(١) الثغرة ص ٦٥

(٢) المسرحية ص ٥٥

(٣) المسرحية ص ٦٢

وتتمثل قبة الصدام بين البعازر المتدين وبين باروخ اللحد السدى
بهاجم الدين والبعازر رمز هذا الدين :

بائيل : حين عبر المصريون . كان الإسرائيليون في خط بارليف يصلون
ليوم الكيبور .

باروخ : نعم سمعت هذا . لو كانوا مثلي ملحدين لما حدثت الكارثة (ساخرا)
أعياد دينية .. صلاة .. إنى أتشائم من كل إنسان يعلى (لالبعازر)
انهض (سارخا) انهض

البعازر : (مغروظ) هه ... ماذا حدث ؟

باروخ : لاتصل

البعازر : ابتعد عني أيها الملحد

باروخ : قلت لك لاتصل .. إن صلاتك معناها الموت

البعازر : (بإصرار) سأصلى

باروخ : لا لن يعلى . إذا أصر على الصلاة فليخرج من هنا وليعلى بعيدا

وتشترك بقية الجموعة مع باروخ في طرد البعازر ليعلى بعيدا عنهم
حتى لو كان في ذلك موته برصاص الجنود المصريين :

موردخاي : صل بالخارج يا البعازر .. مادمت تؤمن بالله

البعازر : الاضطهاد . هذه هي العقدة . الاضطهاد .. إننى أحس

بالاضطهاد بينكم لأننى متدين وأنتم لاتؤمنون الى الدين بعلمة

أيها الملحدون يفضلكم أن تتروا بينكم مؤثما .. أنتم قتلة

باروخ : اخرج من هنا والا صنعت لك صليها طقتك فوقه (١)

ويتناول باروخ بندقيته لقتل البعازر ، ولكن هذا يخرج من الموضع

فينهال عليه رصاص الجنود المصريين ويلقى مصرعه . يفسر باروخ ذلك بالكراهة الشديدة الذي يشعر به تجاه اليعازر المتدين . وكراهية المتدينين أمر منتشر في المجتمع الإسرائيلي ، فهذا المجتمع يسمى للتشبه بالمجتمعات الأوروبية من حيث التحضر والتدين ، وما يستتبع ذلك من تحلل ديني وخلق وأسرى ، بينما المتدينون يعرفون بالتزمّت الشديد ويريدون العودة بالحياة ثلاثة آلاف سنة الى الوراء . وهذا التناقض لا يقوم فقط بين الأفراد بل إنه موجود في الدولة ذاتها ، فهي دولة ملحدة لكنها تركز على الدين ، كما يقول ايجال .

وقد أشار الكاتب الإسرائيلي شموئيل شتاينر الى خطورة هذا الصراع قائلاً :

" لقد أظهرت أكثر من مرة اعتقادي أنه لن يكون لدولتنا أي أمل إلا إذا وجدنا أساليب لضمان التعايش السلمي بين المتدينين وغير المتدينين ، كما أنني أوضحت أكثر من مرة بأنه لأجل إيجاد هذا الانسجام توجد ضرورة للتسامح وفي بعض الأحيان القيام بتنازلات مؤلمة " (١)

والتناقض الآخر في المسرحية كان بين الشرقيين وبين الغربيين ، وهو يشمل تناقضاً آخر بين أبناء الكيبوتس وأبناء المدن ، فباروخ من أبناء الكيبوتس وهو شرقي أيضاً ، ويقف على الطرف الآخر ايجال الاشتكازي ابن المدينة ، الذي يصخر من أبناء الكيبوتس وحياتهم الناذة ومعدتهم عن الإنسانية ، ويظهر باروخ كراهية وعداء تجاه الاشتكازم أبناء المدن :

باروخ : حدث مرة أنني ذهبت الى تل أبيب . رأيت هناك الاشتكازيم كانوا يضحكون والنساء جميلات ومثيرات . . . حياة مختلفة جداً عن حياة المستعمرة . كان عندي رغبة أن أحصى إحداهن

(١) معارف ١٦/١١/١٩٨١ من مقال بعنوان : انحلال الشركة (عن : اتجاهات الصحافة الإسرائيلية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام سنة ١٩٨٢ ص ٢٦٣ - ٢٦٤

وامزق ثيابها . هذا الشعور لا يتقاسم مع نشأة المستعمرة (١)
وهذا الشعور يعنى الرغبة فى تحطيم حياة المدنية التى حسم منها ،
والسبب تجمدت فى هذه النساء الجميلات . ويحود باروخ لتأكيد
هذه الرغبة الهدامة تجاه الحياة المدنية :
باروخ : عندما ذهبت الى تل أبيب . رأيت هناك أشيا عجيبة رأيت الناس
يضحكون . والأطفال تبسم . أنتم تمشون حياة رغدة . تركبون
السيارات ولكل واحد منكم بيت وأسرة (صائحا) أنا أكره كل هذا .
أكره البيت والأسرة (٢)

ويصل هذا الصراع ذروته عندما يفسر ايجال المسألة اليهودية تفسيراً
يهدم كل ما تعلمه باروخ فى المستعمرة ، ولكن هذا التفسير يلتقى مع الواقع
الذى اتفق حوله كثير من الباحثين من أن اليهود بأسلوب معيشتهم وطريقة
حياتهم " أسهموا فى خلق ذلك الجو العام المشوب بالحذر منهم ،
إن لم يكن العداء " نحوهم مغلقد كان اليهود حريصين دائماً على الاحتفاظ
بتميزهم كجماعة عرقية أو ثقافية لها كيانها الخاص المستقل عن بقية المجتمع
الذى يعيشون فيه " (٣)

هذا التفسير الذى يقدمه ايجال يحدث صدمة عميقة لباروخ ، وعندها
يأخذ الصراع الحضارى بينهما شكلاً أكثر حدة وخطورة .

ايجال : ما السبب يا باروخ . ما العلة وراء الحدث . شئ واحد يا صديقى
الإنسان : اليهود فى كل بلد يتعاملون بقوة سياسية لا قوة
دينية . لذلك فهم لا يذوبون ويخونون الشعوب التى يقيمون فيها .
المرب يكرهون اليهود لأننا طردنا شعباً من أرضه . . . شردنا
شعباً

-
- (١) المسرحية ص ٦٤
(٢) د . أحمد أبوزيد . الصهيونية هل هى حركة احبائية ص ٦ عالم الفكر
م ١٤ ع ١
(٣) المسرحية ص ٦٨

وحاربنا العرب ثلاث مرات ٠٠ ماذا ننتظر ؟ الحب - محال -
محال (باروخ أثناء الحوار يرفع الهندقية وكل الأنظار متجهة اليه
في صمت . يطلق النار على ايجال فيسقط) (١)

ولا يمسى باروخ السبب المباشر الذي دفعه لقتل ايجال ، ولكنه يمسى
بقوة ذلك التناقض الصارخ بينهما في كل شيء ، هذا التناقض الذي جعل
حتمًا على أحدهما أن يقضى على الآخر بهذه الصورة التي تمت بالفعل .
وحادثة القتل هذه بقدر ما هي حادثة فردية على المستوى المسرحي إلا
أنها تعبر عن الضمير الجمعي لليهود الشرقيين وأبناء الكيبوتزات تجاء
اليهود الاشكنازيم ، يتضح ذلك من تعقيب باروخ على عملية القتل هذه :

باروخ : لقد قتلت ايجال ولكن لم ؟ ربما لأنه من الاشكنازيم وأنا من
السفارديم ؟ ربما للجفاف الذي تسببت فيه والليونة التي يعيش فيها
ايجال ربما لأنه يقول كلاما غير الذي تملناه (٢)

ثم تناقض آخر يقترن مع المسرحية بحدّة ، لكنه لا يتحول الى صراع ، إنه
ذلك التناقض بين ما تملنه الدولة الصهيونية وبين الواقع ، هذا التناقض
الذي لمنا أثره الواضح على جميع الشخصيات اليهودية ، فالدولة تعلن
أن خط بارليف لا يمكن اقتحامه إلا " بالقنابل الذرية " ، وأنه يأمن كامل
للمصريين " وأن الحرب قد انتهت تماما مع العرب " بينما الواقع عكس
ذلك تماما ، فقد اقتحم الجنود المصريون خط بارليف وحطموه ، والحروب
مع العرب تتوالى مما يجعل أمن إسرائيل شبه مستحيل ، وسبب ذلك
كله - كما ترى الشخصيات - حكام إسرائيل :

ايجال : الحكام يخططون ونحن ندفع الثمن . (٣)

(١) المسرحية ص ٢٠

(٢) المسرحية ص ٢١

(٣) المسرحية ص ٥٦

هذا التناقض يدفع اجنود الى البحث عن البداية الصحيحة ، فعلى مدى أربعين عاما هي عبر إسرائيل لم تكن الصهيونية على اليهود غير أنفاج من القتلى والجرحى والأسرى ، وتحت لهم مدرا من الرعب لا ينتهي حتى وإن كانت إسرائيل في حالة انتصار ، فإنهم ينتظرون انتقام العرب بين لحظة وأخرى ، فالحكام الصهيونية - كما يقول مورديخاي - ينامون ولكن يخسرون دائما ، ويطلق اجنود على ذلك كله عندما يتزل العلم الاسرائيلي الممزق ويرتفع بدلا منه العلم الأبيض الناصع :

اجنود : علينا أن نفكر .. ونفكر في هدوء لنعرف أين نحن .. وإلى أين نسير .. (١)

وقد انتشرت الرغبة في الحياة بسلام والكراهية الشديدة للحرب بعد هزيمة إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ في الفكر والأدب الإسرائيلي بشكل واضح وقد قام النقاد الاسرائيليون بدراسة هذا الأدب بعد أكتوبر ١٩٧٣ ، فوجدوا أنه ينطلق من وجدان الإنسان اليهودي الذي يعاني أزمة التآكل الذاتي بسبب الحرب ، ولا بد للإسرائيليين من اللجوء الى الظلال (الأمان) كحل حتى لاحتواء الذات اليهودية التي تعاني حالة حرب . وقد أطلق ديفيد لازار كلمته المشهورة أمام جمع من الأدباء الإسرائيليين وهي أن الحروف المرسمة (العبرية) لم تعد تتسع لحمل السمات . (٢)

* * *

تطرح مسرحية "اليهودي التائه" الصراع الطبقي بين اليهود كصراع جوهرى يفسر " التاريخ اليهودي " منذ أقدم المصور الى يومنا هذا ، وترى الصراعات الحالية في المجتمع الإسرائيلي في إطار هذا الصراع الشامل الذي يفسر أيضا ما عرف بالسألة اليهودية .

(١) المسرحية ص ٧٧
(٢) انظر شفيق محمود عبد اللطيف ملاح السلام في الأدب الإسرائيلي
مجلة الثقافة ص ٨٣ ع ٢٤ سنة ١٩٧٩

تكون البداية عندما يأخذ اسحق الثانى (رمز الصهيونية الحديثة) فى ابتزاز العالم باسم اضطهاد اليهود قديما وحديثا ، ويسرد اسحق قصص هذا الاضطهاد منذ السبي البابلى حتى النازية ، ويكشف أفراد حاشية المسيح الأمريكى عن ظهورهم ليلهبها اسحق بسوطه تكفيرا عما ارتكبته الإنسانية فى حق اليهود .

ومع التسليم بوجود التفرقة فى المعاملة ويتمرض اليهود للذى والاضطهاد والتعذيب والقتل ، فالأغلب أن اليهود كانوا ولا يزالون يبالغون فى إبراز وتضخيم النزعات المعادية للسامية ، وإعطائها حجما أكبر من حجمها الحقيقى ، واتخذوا من ذلك وسيلة لابتزاز الضائر والمواطنين لتحقيق مكاسب ومنافع لهم . (١)

تقوم ذات الرداء (رمز الثورة فى المسرحية) بتقديم التفسير الحقيقى لهذه الاضطهادات المتتالية " التى يقف خلفها جميعا وجه واحد " ، فملكة بابل لم تكن متفردة فى عملية الغزو أو السبي فقد كانت هذه سنة كل الممالك فى ذلك العصر ، والمشكلة لا تكمن هنا بل تكمن فيما بعد السبي فقد حاول فقراء اليهود الاندماج فى المجتمع البابلى بما فى ذلك من تزواج وحياة عادية ، ولكن مصلحة أغنياء اليهود كانت تتعارض مع هذا الاندماج :

مجموعة ١ : ليدعونا نمر .. أغنيائنا اليهود يقفون فى طريقنا .. كبار التجار والمرابين . إنهم يحولون دون اندماجنا بالمجموع الذى يمدنا بالخبز .. دعونا أيها الأغنياء نمر ..
بابلى ١ : ولذلك استمات أغنياء لليهود فى إحكام العزلة .. إحكام السيطرة وفرض العزلة على فئات اليهود ، وبذلك تستمر الصورة كما يريدونها . كما تتفق وتصور بالغ الدهاء .

(١) د . أحمد أبوزيد . الصهيونية هل هى حركة إحيائية ص ٦ عالم الفكر .

بابلى ٢ : لذلك كانت هناك مصلحة متبادلة بين أغنياء اليهود وبين الطبقة الحاكمة المستغلة كان أغنياء اليهود يجنون لهم الضرائب الوفيرة من كل قطرات اليهود التى يسيطرون عليها بالخبيرة المالية كانوا منظمين لسير عملية الاستغلال وإحكام مسيرها . ذات الرداء : هذه هى العلاقة التى حافظ عليها أغنياء اليهود فى أى مكان حلوا به ، أغنياء اليهود هم من أرادوا المزاولة لجموع اليهود . ومن هنا تتكشف لنا حقيقة الاضطهاد ومعددها ، ذلك أنه لم يكن سوى صراع المستغلين ليس إلا (١)

وعندما تتعارض مصلحة أغنياء اليهود مع مصلحة الطبقة الحاكمة المستغلة يحدث الاضطهاد والتشريد الذى يعانى منه فقراء اليهود ، وهذا جوهر كل الحكايات القديمة - كما تقول ذات الرداء - من سرجون الاشورى حتى هتلر النازى .

وشمرض المسرحية مثالا آخر لهذا الصراع الطبقي الذى يثبت أن العذاب اليهودى صناعة يهودية بحتة ، وهذا المثال من روسيا القيصرية هذه المرة ، فقد كان أغنياء اليهود يملكون الدور الفخمة فى موسكو وبترسبورج فى حين كان مئات الألوف من العمال اليهود فى فقر وظلم ، وحين كان يتحرك هؤلاء الفقراء من أجل حقوقهم ، يتحرك كبار اليهود ضدهم مع الحاكم المستغل :

ذات الرداء : فحينما أطلقت ندائى وسط الفقراء من أجل العدل كان الكادحون من اليهود فى روسيا يحاولون الإفلات من الحصار معلنين " إننا نندمج فى جيش الاشتراكية " ولكن الرأسمالى اليهودى كان يتحرك .

(يتقدم من خلف الدمية رجل فى زى روسى بقناع)

الرجل : لابد من أن يتدخل البوليس فورا لقمع هذه الاضطرابات . (١)

وسهرع الحاخام لمساعدة الرأسماليين داعيا اليهود الى التزام "عزلتهم
المجيدة" ، ويتقدم الأغنياء منهم الى عائلة القيصر لتقديم الهدايا امتنانا
لإعدام العمال المتمردين ، وتبدو الحادثة في النهاية على أنها اضطهاد
لل يهود ، وضمن هذا التصور أيضا قامت الحركة الصهيونية كحركة استعمارية
رأسمالية مستغلة . "وقد كان انخراط فقراء اليهود في صفوف الحركات
الثورية في شرق أوروبا وروسيا سببا في فزع أثرياء اليهود في الغرب
أمثال روتشيلد ، الذين سارعوا بتمويل الحركة الصهيونية ليحولوا الشهاب
والعمال عن طريق الثورة" . (٢)

واحد من مجموعة ٢ : كانت قد بدأت بالفعل اول خطوات الوصل بين
كبار المستغلين اليهود والامبراطوريات الاستعمارية ، وتتأسس المنظمة
الصهيونية العالمية باسم انقاذ اليهود مدعين أنها ولابد قوى عام
في الوقت الذي هي فيه تروست استعماري يتدافع نحوه كبار رجال
المال اليهود في العالم . (٣)

ولتحقيق هذا المشروع الرأسمالي كان لابد من وجود بضعة ملايين من
فقراء اليهود لتزويد هذا المشروع بالوقود اللازم ، لهذا طارت الصهيونية
الاندماج اليهودي وروجت للاسامية لاجار أكبر عدد ممكن من اليهود
على اتباعهم :

حايم وايزمان : إن الاسامية جرثومة يحملها في كل مكان كل إنسان
كواحدة من ظواهر الطبيعة ، كقانون علمي . إنها الكراهية ورائدكم

(١) المسرحية ص ١٠٧

(٢) د . عبد الوهاب المسيري . الايديولوجية الصهيونية قسم ٢ ص ٦٣

(٣) المسرحية ص ١١٣

معشر اليهود يورث الناس هذه الكراهية جيلا عن جيل ، كما يتوارثون الأمراض
ذات الرداء : كان رهانا عليها على الخوف . كان رهانا عليها يقدم الكثير
لأصحاب اللعبة .
هرتزل : وهذا ليس بسر . . ذلك أن توسيع الحركة الصهيونية لا يكاد يتطلب
الآن بذل جهد كبير - ذلك أن اللساميين يقومون عوضا عنا
بذلك (١)

من هذا المنطلق تفسر المسرحية رفض زعماء الصهيونية للاشتراكية لأنها
تعنى الذوبان والاندماج الكامل في صفوف العمال والفلاحين ، وعلى هذا
الأساس أيضا تفسر ذلك التحالف غير المعلن والمصلحة المشتركة بين النازية
وبين الصهيونية ، ويوضح الزعم الصهيوني د . نوسيك اللقاء المشترك
بين النازية وبين الصهيونية من أجل خدمة الأخيرة :

د . نوسيك : كان ضروريا أن أنجز بيدي ما فكرت فيه برأسي ورغم ما في
ذلك من ألم لا يطاق لكن في سبيل المستقبل تمت الخطة على
مرحلتين : أولهما القضاء على عجائز اليهود الألمان وفقرائهم ،
ثم تبع ذلك ترحيل الشباب إلى فلسطين كي يصبحوا روادا محاربين
وكما قلت كانت المرحلة الأولى مريعة ولكن من أجل المستقبل تهون
التضحية (٢)

وهذا ما رددته زعماء صهيانية آخرون حول التضحية بفقراء اليهود من
أجل المشروع الصهيوني وهذا ما حدث أيضا مع السفينة " باتريه " التي
كانت تحمل ٢٠٢ من اليهود المهاجرين إلى فلسطين إضافة إلى ٥٠
شخصا هم طاقمها ، فقد رفضت السلطات البريطانية استقبال السفينة

(١) المسرحية ص ١١٤

(٢) المسرحية ص ١١٥

لخلاف مع الصهاينة ، وعندها قررت الحركة الصهيونية نسف السفينة ، وقد تم ذلك بالفعل ومات كل من على السفينة لكن تخلق الصهيونية جسرا دعائيا يجعل من اليهود ابطالا يفضلون الموت على ترك اورشليم ، يعتمد ان ادعت الحركة ان يهود السفينة انفسهم هو الذين نسفوها ، أما على الجانب الواقعي فان وايزمان يقرر بهدوء :

حايم وايزمان : المسألة بسيطة لا تحتمل الغضب الزائف .. القديما .. الفقراء .. عن هذا العالم يرحلون ويقتل الشباب كي يصبحوا روادا محاربين (١)

هذا المفهوم يطبق للصراع اليهودي - اليهودي الذي قدمه الكاتب مفسرا اضطهاد اليهود ونشأة الصهيونية ، ظل سائدا حتى بعد قيام اسرائيل ، فقد أرسل مجموعة من الشباب الاسرائيليين المتمردون على الخدمة العسكرية برفقة الى موسى ديان ونسخا اخرى عنها الى كبار المسؤولين والى مندوب الأمم المتحدة في اسرائيل ، جاء فيها :

"إننا لسنا على استعداد للخدمة في قوات الدفاع .. ان شبابا يفقدون ارواحهم في هذه الدولة من أجل صراعات داخلية . وليس من أجل قيم عليا ، مقابل كل قتيل في القناة يثرى رجل في تل أبيب " (٢)

ولا يعيب هذا الصراع الطبقي الذي يقدمه الكاتب بوحي عبق ، سوى الاختصار فيه على جانب واحد من جانبي الصراع ، فالأغنياء - الطرف الأول - يستغلون الفقراء - الطرف الثاني - ويسخرونهم كما يريدون دون إرادة حقيقية للفقراء كما لو كانوا مجرد دمي ما يفقد هذا الصراع حيويته ، ويفقده أيضا شيئا غير قليل من مصداقيته ، فقد شهد التاريخ

(١) المسرحية ص ١١٦

(٢) مجلة متسبين ١٩٧١/٨/١٠ (عن شؤون فلسطينية : عبد الحفيظ

محارب ، المتمردون على الخدمة العسكرية في اسرائيل ص ٤٤ ع ١٦

ديسمبر ١٩٧٢)

الحديث الكثير من حركات التمرد والرفض اليهودي للصهيونية ، وبالذات من المنظور الاشتراكي الذي يلح عليه الكاتب ، " وقد كان الرفض الاشتراكي للصهيونية أكثر أنواع الرفض شيوعاً بين صفوف الشباب اليهودي في روسيا وبولندا ، وبين صفوف العمال اليهود ، وقد انضم الى هذا التيار - عبر السنون - عدد كبير من المفكرين اليهود البارزين مثل روزا لوكسمبورج وليون تروتسكي وماكسيم رودنسون وروجيه جاردى واسحق دويشسر " (١)

وقد وضع الكثير من الكتب والدراسات حول اشكال الرفض اليهودي للصهيونية بصورة عامة ، والرفض الاشتراكي لها بصورة خاصة ، ويعتبر كتاب ابراهام ليون " المفهوم المادي للمسألة اليهودية " (٢) من أهم وثائق الرفض اليهودية الاشتراكية للصهيونية أما أنواع الرفض الأخرى ، فإن بعضها قام على أسس دينية بحتة وخير من يظلمهم جماعة الناطوري كارثا ، بينما قام البعض الآخر على أسس اندماجية واعية ترفض النظرية الى اليهود باعتبارهم " جنساً " من الأجناس بل باعتبارهم جماعة دينية تجمع - كأي جماعة دينية أخرى - كثيراً من الأجناس تحت لواء الدين . (٣)

* * * * *

هذه هي أهم أنماط الصراع اليهودي - اليهودي التي عرضت لها المسرحيات المدروسة ، وقد لاحظنا أن هذه الأنماط تندرج تحت نمط واحد يشملها جميعاً وهو الصراع بين الاشكنازيم وبين السفارديم ، كما

-
- (١) د . عبد الوهاب المسيري . الأيديولوجية الصهيونية قسم ٢ ص ٦٣ - ٦٤
 (٢) ابراهام ليون ، المفهوم المادي للمسألة اليهودية ، ترجمة عماد نويهض ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٩ .
 (٣) انظر : هدى عبد السميع حجازي : بعض كلاسيكات الرفض اليهودي للصهيونية ص ١٤٢ - ١٦٠

لاحظنا أن كثيرا من الكتاب قد تعرضوا لهذا الصراع الداخلى وعلقوا عليه كثيرا من الآمال التى ترجح كفة العرب فى الصراع العربى - الإسرائيلى بينما ركز بعض الكتاب على الصراع الطبقي من منظور اشتراكى دون نظـر إلى الأصول الاثنية لأغنياء اليهود أو فقرائهم . لكن الأمر الذى اتفقت حوله جميع المسرحيات المدروسة هو اهتمامها البالغ بأمر الصراعات الداخلية فى التجمع الصهيونى وكيفية الاستفادة منها .

الخاتمة

مقدمة

فقد حاولنا فيما مضى القاء الضوء على الشخصية اليهودية كما رسمها الكتاب المسرحيون في مصر وذلك من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٨٢ ، ولما كانت المسرحيات المدروسة مسرحيات تاريخية سياسية كان لابد لنا من الاستعانة بالمراجع التاريخية والسياسية للتعرف على الحقبة التاريخية والملابسات السياسية التي تتناولها المسرحيات . وفى المقابل كان لابد من الاستعانة بالدراسات المسرحية والفنية لتوضيح مدى نجاح الكتاب في رسم شخصياتهم اليهودية .

وكانت الملاحظة الجوهرية التي خرجنا بها من خلال هذه الدراسة ، أن هزيمة ١٩٦٧ كانت فيصلا — يكاد يكون حاسما — فى الوعي السياسى والفنى لدى الكتاب المسرحيين مع استثناءات قليلة وعليه فإنه يمكننا أن نقسم المسرحيات المدروسة الى قسمين أساسيين :

الأول : مسرحيات ما قبل ١٩٦٧ وتشمل : شيلوك الجديد (١٩٤٥) وشعب الله المختار (١٩٥٦) ، إله إسرائيل (١٩٦٣) ، حدث فى رفح (١٩٦١) ، الكوميديا اليهودية (١٩٦٧) الزهور لاتذبل أبدا (١٩٦٧) .

وهناك مسرحيات كتبت بعد هذا التاريخ لكنها تلحق بهذه المجموعة من المسرحيات من حيث نمط التفكير وطريقة التصوير ، مثل محاكمة عم أحمد الفلاح (١٩٧٤) ، ثقب فى حائط المبكى (١٩٧١) .

القسم الثانى : مسرحيات ما بعد ١٩٦٧ وتنحصر فى ثلاث مسرحيات أساسية : النار والزيتون (١٩٧٠) واليهودى التائه (١٩٨٢) ، والثغرة (١٩٧٥) .

بينما توسطت مسرحية وطنى عكا (١٩٧٠) هاتين الفترتين من حيث التفكير والتصوير ، فقد حملت خصائص وسمات كلتا الفترتين وإن جاءت تاريخيا فى الفترة الثانية .

وناء على هذا التقسيم يمكن أن نستعرض النتائج والملاحظات الأساسية التي خرجت بها الدراسة ، وتنقسم أيضا الى قسمين :

الأول : ملاحظات حول المضمون :

أ - اتفقت معظم المسرحيات المدروسة في التفريق بين اليمهودى والصهيونى ، وكان الاختلاف في تصوير الصهيونى ، فقد صورته مسرحيات الفترة الأولى على أنه الشرير العدوانى الذى يشتهى منظر الدماء ، فظلت بذلك أسيرة الصورة الشائعة عنه ، وبينما صورته مسرحيات الفترة الثانية على أنه ممثل الامبريالية العالمية في المنطقة العربية والاختلاف في النظرة الى الصهيونى أدى الى اختلاف في تحديد خطره ، فبينما رأّت مسرحيات الفترة الأولى — في معظمها — أن الخطر الصهيونى ينحصر في فلسطين وأن على العرب نجدة هذا القطر الشقيق ، رأّت مسرحيات الفترة الثانية أن الخطر الصهيونى يشمل المنطقة العربية بأسرها وما فلسطين سوى محض علامة ، وأن على العرب التحرك بسرعة لانقاذ أنفسهم وبلادهم من هذا الخطر .

ب - الفرق الجوهرى الثانى بين مسرحيات الفترتين كان في النظرة الى الذات والآخر ، فقد صورت مسرحيات الفترة الأولى اليمهودى الإسرائيلى على أنه ذلك القزم الجبان المغفل في مواجهته العربى العملاق البطل الذكى ، أما المرأة اليهودية فهى — دائما — تحترف الدعارة ، أما مسرحيات الفترة الثانية ، فقد نظرت الى العربى على أنه صاحب الحق لكن أدواته الحضارية (الوعى — الدعاية — السلاح) أقل بكثير مما ينبغى ، وبينما كانت أدوات الآخر (العدو) متقدمة جدا ، مع ارتباط وثيق بالامبريالية العالمية ، لهذا تحققت له الغلبة العسكرية ، وبهذا المفهوم قدمت هذه المسرحيات الايديولوجية الصهيونية ، وليس

باعتبارها حلاً للمسألة اليهودية ، ولكن باعتبارها حلاً للمسألة الأوروبية / الأمريكية - إذا جاز لنا هذا التعبير - ذلك أن الاستعمار التقليدي المعتمد على الاحتلال العسكري فقد مشروعيته الزائفة ولفظته الشعوب ، فلجأ الاستعمار الحديث الى تغيير مظهره بإحلال الاستعمار الاقتصادي محل الاستعمار العسكري ، وكان لابد من وجود حارس قوى يكفل حماية المصالح الاقتصادية في الدول المتخلفة ، لهذا كان الحل في استنزاع دول - غريبة عن المنطقة تقوم بحماية هذه المصالح ، دون أن يكلف ذلك الدول الاستعمارية سوى جزء بسيط من عائداتها الاقتصادية في البلدان المتخلفة .

ج - تشابهت مضامين المسرحيات المدروسة الى حد كبير ، ذلك أنها تدور حول قضية واحدة ، وكان مناط الاختلاف في طريقة تناول ، فقد تناولت مسرحيات الفترة الأولى هذه القضية بشيء غير قليل من المباشرة والتسطيح الذي وصل في بعض الأحيان الى حد السذاجة .

بينما تناولت مسرحيات الفترة الثانية هذه القضية بطريقة واقعية وتابعتها بالتحليل بل واستخدام الوثائق لإثبات الحجة ودفع الشبهة ، فكان تأثيرها أبلغ ، ومنطقها محكم .

د - وقعت معظم المسرحيات المدروسة موقفا متعاطفا مع اليهود - الشرقيين في صراعهم مع اليهود الغربيين ، وعلقت هـ - هذه المسرحيات الكثير من الآمال على الصراع الإثنى والاجتماعي في إسرائيل بل إن بعض هذه المسرحيات رأى في هذا الصراع نهاية دولة إسرائيل ، وتفسير ذلك - في رأينا - أن الحكومات العربية قد حطمت آمال الكتاب في حسم الصراع لصالح الشعوب العربية ، لذا بحث الكتاب عن مصدر آخر للآمال .

هـ - ربطت جميع المسرحيات المدروسة بين الصهيونية والنازية من حيث الغايات والوسائل التي اتبعتها النازية ولاتزال تتبعها الصهيونية .

الضرب الثاني : ملاحظات حول الشكل :

أ - اتبع كتاب مسرحيات الفترة الأولى الشكل التقليدي في بناء مسرحياتهم ، بينما ظهرت الاستفادة الواضحة بتقنيات المسرح الحديث في مسرحيات المرحلة الثانية ، وخاصة مسرحيات " النار والزيتون " و " اليهودي التائه " حيث استفاد الكاتبان من مسرح بريخت الملحمي وماتلاه من مسرح سياسي وتسجيلي هذا المسرح الذي بدأه الألمانى هو ضهوت وتابعه بيترفايس وبيتربروك ويسكاتور ، وقد استطاع الكاتبان تلطيف جفاف الحقائق التاريخية بما استعانا به من وسائل فنية متعددة عرفت في المسرح الشامل وكان نتيجة ذلك أن " شخصية اليهودي " لم تعد بطل المسرحية " بل كانت القضية هي بطل المسرحية الأول .

ب - تفردت مسرحية الشجرة ببناءً فني جديد على قالب المسرحى وإن كان هذا البناء قد عرف في الرواية (انظر خريف البطريق - ماركيز) وهو الوقوف عند لحظة زمنية واحدة ثم الغوص داخل عقلية الشخصيات ، واستبطان نفسياتهم والكشف عن دوافعها ، فكانت بذلك من أكثر المسرحيات اقتراباً من هذه الشخصيات .

ج - صنف كثير من الباحثين (د . حسن محسن ، د . أمين العيوطى ، د . سامى منير ، كمال اسماعيل) مسرحية وطنية عكا على أنها من المسرح التسجيلي Documentary بينما لم نجد فيها أية سمة من سمات التسجيلية ، فهذه الكلمة مشتقة

من كلمة document أى وثيقة ، ولهذا فإن المسرح التسجيلى هو ذلك المعتمد على الوثائق والمستندات التاريخية أو السياسية ، وخلاف ذلك ، وليس فى المسرحية شىء من هذا القبيل ، وإنما هى مسرحية واقعية ، يغلب فيها الحماس على التحليل الموضوعى الهادئ .

د - تميزت شخصيات مسرحيات المرحلة الأولى بالنمطية ، والجمود وما طرأ عليها من تطور - فى حالات قليلة - أسيناه تحولاً لأنه جاء دون تدريج أو تبرير فكان مجافياً لمنطق الفن ومنطق الواقع .

بينما برزت سمة التطور فى الشخصيات المسرحية للمرحلة الثانية ، ذلك أن الكتاب اقتربوا من الواقع فى نظرتهم إلى هذه الشخصيات ، ولعل مرد هذا التطور السليم كان فى الكشف عن الدوافع النفسية للشخصيات ، فجاءت بالتالى ضمن التصوير الفردى لا التصوير النوعى الذى ساد المرحلة الأولى .

هـ - كانت السمة الغالبة على مسرحيات المرحلة الأولى ضعف البناء الدرامى ، وعدم تماسكه ، وذلك نتيجة غلبة الفكرة على الكاتب وحماسه لها مما جعله يعمل على إفراغها دون مراعاة للأصول الفنية لهذا الجنس الأدبى ، وكان الحوار - نتيجة لذلك - بطل المسرحية الأول ، بينما استطاع كتاب مسرحيات الفترة الثانية الموازنة بين الفكرة والأدوات الفنية التى تقوم بإيصال هذه الفكرة للمتلقى .

هذه هى أهم النتائج والملاحظات التى خلصت إليها الدراسة بقى أن نقول - كنتيجة عامة - أن اليهود فى مصر لم يتعرضوا للاضطهاد أو التفرقة فى المعاملة حتى منتصف الأربعينات وكان وضعهم الاقتصادى والاجتماعى فى مصر طيب للغاية ، وكانت الصهيونية والاستيلاء على فلسطين ، السبب الأساسى فى تغيير نظرة المصريين إلى اليهود .

وقد ساعدت الحكومات العربية - بدوافع معتدة ومتشابهة -
فى إقامة دولة إسرائيل مساعدة فعالة ، وذلك بإمداد إسرائيل بأكثر
من ٧٠% من سكانها الحاليين ، وهذا ما جعل الكتاب المسرحيين يأملون
فى عودة هؤلاء اليهود الى بلادهم العربية وعودة الانتماء الى العروسة
فى نفوسهم ، لذا كانوا فى أغلب المسرحيات من غير الصهاينة ، وكانت
مواضع الالتقاء بينهم وبين العرب أكثر من مواضع الاختلاف . أما اليهود
الغربيون ، فهم دائما - فى المسرحيات - صهاينة متعصبون ، ولم
يطرح أى كاتب إمكانية للتعايش معهم ، بل أجمع الكتاب على ضرورة
محاربتهم دون هوادة ، أو يرجعوا الى بلادهم الأصلية التى جاءوا
منها . والأمر الذى أجمع عليه كتاب المسرحيات المدروسة هو الأمل
والعمل من أجل تحرير فلسطين ، وأن الإنسان العربى سيخرج حتما من
طور الكمون الذى لازمه - ومازال - منذ أربعمئة عام .

معجم بالمصطلحات اليهودية والصهيونية

السّاردة بالبحث

(٥)

Eretz Israel

* اרתس يسرائيل

عبارة عبرية ذات دلالة دينية تعنى حرفيا "أرض يسرائيل" وهى تستخدم للإشارة لأرض فلسطين وماحولها قبل وبعد الهجرة الصهيونية وحدود الأرض أو اרתس يسرائيل غير معروفة على وجه الدقة لأنهم مقولة دينية ثابتة وليست مقولة جغرافية متغيرة . ومع هذا حولت الحركة الصهيونية هذه المقولة الدينية الى مفهوم سياسى .

* الأرجون Irgun

منظمة يهودية سرية مسلحة قامت عام ١٩٣١ ، وكان جابوتسكى الزعيم الروحى لها ، وقد برز دور زعيمها الجديد مناحيم بيجين فى منتصف الأربعينات ، حيث كانت تتولى عمليات الارهاب ضد المزارعين العرب ، واشتركت المنظمة فى مذبحه ديرياسين الشهيرة ، وبعد انشاء الدولة ادمجت الأرجون فى الجيش الاسرائيلى ، وأسس بيجين وآخرون حزب حירות للدفاع عن أيديولوجية المنظمة الإرهابية العنصرية .

* ازدواج الولاء Double Loyalty

يقوم بعض المعادين للسامية اليهود بأنهم ليس لهم جذور ولا انتماء وأنه حتى بعد أن يفرض عليهم مثل هذا الانتماء ، فإن ولاهم لوطانهم يكون ظاهريا فحسب ، أما ولاؤهم الحقيقى فينتجه لمصالحهم كجماعة دينية / قومية مستقلة ، وبعد ظهور إسرائيل أصبح الانتماء يوجه لليهود بأنهم يدينون بالولاء لإسرائيل بالدرجة الأولى ، ويؤيد الصهاينة والإسرائيليون مقولة " ازدواج الولاء " هذه لصالح الدولة الصهيونية .

(٥) سنكتفى هنا بذكر أهم المصادر التى قام عليها المعجم وهى بحسب أهميتها : موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية . د . عبد الوهاب المسيرى ، دائرة المعارف البريطانية ، الفكر الدينى الاسرائيلى . د . حسن ظاظا .

اسباط اسرائيل الاثنا عشر The Twelve Tribes of israel

كان العبريون القدامى خاصة فى العصور الأولى من تاريخهم ينقسمون الى اثني عشرة قبيلة أو سبطا ، وتسمى هذه الأسباط بأسماء أبناء يعقوب : روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبلن ويوسف وبنيامين ودان ونفتالى وجاد وأشير .

الاستنارة اليهودية Haskalah

بالعبرية الهسكلاه ، أى التنوير أو الاستنارة ، وقد أطلقت هذه الكلمة على الحركة التى ظهرت بين يهود أوروبا فى منتصف القرن الثامن عشر (١٧٥٠) واستمرت حتى عام ١٨٨٠ تقريبا ، والتى كانت تنادى بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة عن طريق الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون بين ظهرانيها وأن يكسبون ولائهم الأول والأخير للبلاد التى ينتمون اليها وليس الى قوميتهم الدينية التى لا تستند الى سند عقلى أو موضوعى . ولكن هذه الحركة رغم عقلانياتها وإنسانياتها - لم تتجح للظروف الاجتماعية والتاريخية لليهود .

اسرائيل Israel

كلمة عبرية تنطق "يسرائيل" وتعنى المتصارع مع الرب "أى أنها كلمة ذات دلالة دينية خاصة ، وقد استخدمت الكلمة للإشارة لمملكة اسرائيل القديمة ، أما فى العصر الحديث فقد استخدمها الصهاينة للإشارة للدولة الصهيونية فى فلسطين باعتبار أنها استمرار للتاريخ اليهودى " وقد سعى سكان هذه الدولة "بالاسرائيليين" باعتبار أنهم امتداد ونسل اليسرائيليين القدامى ، وحيث أن أى دارس للواقع الاستيطاني الصهيونى فى فلسطين يعرف أنه لا علاقة له من قريب أو بعيد بدولة اسرائيل القديمة لذلك فإن استخدام نفس الكلمة للإشارة لظاهرتين

مختلفتين تمام الاختلاف فيه كثير من التعمية الايديولوجية •

الاشكناز Ashkenazim

الاشكنازيون (الاشكنازيم بالعبرية) هم أساسا يهود شرق أوروبا الذين يتحدثون اليديشية ، وقد اتسعت دلالة المصطلح بحيث أصبح يتضمن كل يهود الغرب بما في ذلك يهود الولايات المتحدة وبريطانيا التي ينحدر يهودها من أصول سفاردية ويشكل الاشكناز غالبية يهود العالم أى حوالي ٨٨% من مجموع اليهود • وقد كان التفكير الرئيسى فى إقامة إسرائيل أن يكون اليهود الاشكنازيم هم فقط أبناء هذه الدولة لكن هجرة اليهود الشرقيين اليها غير من طبيعة هذه الفكرة ، لذا قال ليفى اشكول عن هجرة اليهود الشرقيين بأنها " هجرة غير مقصودة " •

الأغيار Gentiles

بالعبرية " جوييم " وهى صيغة الجمع للكلمة " جوى " والتي تعنى " شعب " أو " قوم " وقد كانت الكلمة تطلق فى بادى الأمر على اليهود وغير اليهود ، ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة للأمم غير اليهودية دون سواها ، وقد اكتسبت الكلمة فيما بعد إحياءات بالذم والقدح وأصبح معناها " الغريب " وقد ساعد حاخامات اليهود فى تسيق هذا الاتجاه الانفصالى فنجدهم قد حظروا الزواج من الأغيار واستد هذا الحظر ليشمل تناول الطعام مع الأغيار أو الجويم وأيدت الصهيونية الحديثة هذا التفكير الانعزالى لتفصل اليهود عن مجتمعاتهم الأصلية وتجعل ولاهم نحوها •

Alliance Israelite Univerelle

الآليانس

كلمة فرنسية تعنى " التحالف " وهى تنظيم تأسس فى باريس عام ١٨٦٠ بهدف الدفاع عن الحريات المدنية والدينية لليهود ، وتتمسك المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني •

يقوم النظام الإقطاعي على الفصل بين الطبقات والفئات والأقليات بعضها عن بعض فصلا كاملا مما يجعلها تتمتع بدرجة عالية من الاستقلال وقد تميز اليهود عن غيرهم من الفئات في المجتمع الإقطاعي بأنهم كانوا لا يشكلون فئة اجتماعية وحسب وإنما كانوا يشكلون أقلية دينية أيضا وسقوط النظام الإقطاعي عملت الدول على الدمج بين جميع المواطنين الذين يدينون لها بالولاء ، ولأقت عملية الاندماج هذه قبولاً في أوساط اليهود ، وقد حاربت الحركة الصهيونية وما تزال هذه الفكرة بحجة أنها تؤدي في النهاية إلى إبادة اليهود من الناحية الروحية / النفسية .

يترجم المعادون للسامية أن هذه البروتوكولات قد كتبت عام ١٨٩٧ بإازل بسويسرا أي في نفس العام الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول ، وتذكر البروتوكولات (البالغ عددها أربعة وعشرين) أن حاخامات اليهود وقادتهم قد عقدوا مؤتمرا سريا بهدف وضع خطة محكمة بالتعاون مع الماسونيين لإقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة يهودية عالمية يكون مقرها القدس ، وسيتم تنفيذ ذلك عن طريق الغش والخداع وتكوين دعائم الأسرة والإيقاع بالدول الأوروبية وإفساد أخلاق العالم المسيحي الأوربي .

التصريح الشهير الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩١٧ تعلن فيه عن تعاطفها مع الأمنى اليهودية في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، وقد أخذ الوعد شكل رسالة بعث بها لورد بلفور في ٨ نوفمبر ١٩١٧ إلى اللورد روتشيلد أحد زعماء الحركة الصهيونية آنذاك وفيها يقول :

عزيزى اللورد روتشيلد :

يسعدنى كثيرا أن أنهى إليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك
التصريح التالى تعاطفا مع أمانى اليهود الصهيونيين التى قدموها
ووافق عليها مجلس الوزراء ، إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف
الى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وسوف تبذل
ما فى وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف وليكن مفهومنا بجلاء أنه لن
يتم شئ من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية
المقيمة فى فلسطين أو بالحقوق والأوضاع القانونية التى يتمتع بها اليهود
فى أية دولة ، إننى أكون مدينا لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح
الى الاتحاد الصهيونى .

Talmud

■ التلمود

كلمة مشتقة من كلمة " لوميد " العبرية التى تعنى دراسة ، والتلمود
أحد كتب اليهود الدينية وهو عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشرعة
والتأملات الميتافيزيقية والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية ، كما يتضمن
علاوة على ذلك فصولا فى الزراعة والصناعة والمهن والتجارة والرسالة
والضرائب وقوانين الملكية والرق والميراث والفلك والتنجيم والقصص الشعبى
وهو مكون من " المشنا " و" الجمارة " .

Blood libel

■ تهمة الدم

هى اتهام اليهود بالقتل واستعمال الدماء فى طقوسهم الدينية
وأعيادهم وخصوصا عيد الفصح الذى يقال إن خبزه المقدس يعجن
بدماء الضحايا وتمتد جذور تهمة الدم الى عصر الإغريق والرومان
ولكنها لم تأخذ بعد هذا الجاد إلا فى العصور الوسطى ، وأدت هذه
التهمة الى محاكمات ومذابح لليهود على مر العصور ، ويرى البعض
أنها تهمة لفقها المعادون للسامية بينما يرى البعض الآخر أنها حقيقة
مادية تدل عليها شواهد تاريخية .

✻ التوراة Torah

أحد الكتب الدينية اليهودية وقد تغيرت معانيها عبر العصور ولكنها تشير الآن لمخطوط أسفار موسى الخمسة ، ولا تشمل التوراة على التعاليم والأحكام الدينية فحسب بل تشمل أيضا على قواعد السلوك بين الناس وعلى مجموعة من القوانين والعادات والتقاليد وأنماط الحياة ، كما أنها كتاب تاريخ وتشريع وإنشاد واتسعت دلالة الكلمة لتعني العهد القديم .

✻ الجيتو Ghetto

حي مقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية ، ولكن كلمة جيتو تستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا وقد أقيم أول حي يهودي يطلق عليه كلمة جيتو في البندقية عام ١٥١٦ ، وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة ولعل أكثر الافتراضات قربا من الواقع هو ذلك الذي يعود بالكلمة الى لفظة "بورجيتو" الإيطالية التي تعني "قسما صغيرا من المدينة" .

✻ حائط المبكى Wailing Wall

وهو حائط البراق ، ويعتبر من أقدس الأماكن الدينية اليهودية ويحج اليه اليهود من كل أنحاء العالم ، وقد سعى حائط المبكى لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح ، بل لقد جاء في الأساطير اليهودية أن الحائط نفسه يذرف الدموع ، وقد حاول اليهود السيطرة عليه عن طريق الشراء لكنهم فشلوا فحاولوا عن طريق العنف واحتج العرب لأن الحائط يشكل الجانب الغربي من المسجد الأقصى وتصادعت الحوادث عام ١٩٢٨ حول هذا الحائط فشككت الحكومة الانجليزية لجنة تحقيق ، وقررت هذه اللجنة أن المسلمين هم المالكون الوحيدون للحائط وللمناطق المجاورة ، وأن اليهود يمكنهم الوصول للحائط لأغراض دينية فقط على ألا ينفخوا في البوق ، ويقع الحائط ضمن الأراضي الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٦٧ .

Hakham

* حاخام

أى الرجل الحكيم أو الفاضل ، وكانت تطلق فى الأصل على المعلم الفريسي اذ كان هؤلاء يعرفون بالاسم الجماعى (حاخاميم) وهم الفقهاء المحافظون غير المحترفين الذين أقاموا أنفسهم محافظين بالشرعة اليهودية ، ومع أن الحاخام لا يلعب دور الكاهن التقليدى نظرا لأنه لا يقوم بدور الوساطة بين الخالق والمخلوق ، فإنه كان يشغل مركزا قياديا فى الجماعة لأن الديانة اليهودية تتشابه طوقسها وتداخلها فى صميم الحياة اليومية ، كانت تثير كثير من المشاكل اليهود فيضطر الى اللجوء الى الحاخام بشكل متكرر .

Jehovah Guards

* حرس يهوه

تسمية تهكمية ساخرة أطلقها العلمانيون على المتدينين فى إسرائيل ، ويهوه من أكثر أسماء الخالق قداسة حسب التصور اليهودى .

Hassidism

* الحسيديّة

كلمة مشتقة من الكلمة العبرية " حسيد " أى التقى ، وتستخدم فى العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية . ويرجع نجاح الحسيديّة الى أسباب اجتماعية / تاريخية عدة ، فالجماهير اليهودية - فى أوروبا - كانت تعيش فى بؤس نفسى وفقر شديد زاد من حدته التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى كانت تخوضها مجتمعات شرق أوروبا وقتئذ .

Donmeh

* الدونمّة

كلمة تركية تعنى " المرتدون " ، وهى طائفة يهودية تركية من اليهود المتخفين ، استقرت فى سالونيك وأشهرت إسلامها تشبهاً بشبثاى تسفى الماشيح الدجال ، فقد اعتقد كثير من أتباعه المتعصبون

له أن ارتداده عن دينه واعتناقه للإسلام إن هو إلا تلبية لأمر خفى من الرب وتلبية للإرادة الإلهية فخذوا حذوه ولكنهم ظلوا متمسكين سرا بتقاليد اليهودية وبإيمانهم الراسخ بأن شيتاى تسفى هو الماشيح المنتظر .

* الدياسـهـورا Diaspora

كلمة يونانية تعنى التشتت وتستخدم للإشارة للأقليات اليهودية فى العالم الموجودة فى المنفى حسب التصور اليهودى / الصهيونى .

* الزواج المختلط Mixed Marriage

تحرم اليهودية الزواج بين اليهود والأغيار ، ويعتبر مثل هذا الزواج فجورا وزنا مستمرين . وليس مهما أن يكون الزوجان " مؤمنين " وإنما يكفى أن يكونا قد ولدا يهوديين ، والزواج من يهودى مرتد أو ملحد حلال ، أما الزواج بشخص اعتنق اليهودية فهو حرام ، فاليهودية بهذا المعنى ليست عقيدة يؤمن بها الإنسان بل صفة يرثها .

* السبت Saturday, Sabbath

كلمة عبرية مشتقة من كلمة " شبتو " والسبت هو العيد الأسبوعى أو يوم الراحة عند اليهود وتقول التوراة إن الله قد خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع ، ولذلك بارك هذا اليوم وقدمه وحرم فيه القيام بأى نشاط .

* السفارـد Sephardim

بالعبرية " سفارديم " وهم يهود أسبانيا وحوض البحر المتوسط وقد أطلق المصطلح تاريخيا على نسل أولئك اليهود الذين عاشوا أصلا فى أسبانيا والبرتغال فى مقابل الاشكناز الذين كانوا يعيشون

في ألمانيا وأوروبا ، وقد اكتسب هذا المصطلح دلالة دينية بجانب دلالاته العرقية وذلك لاختلاف طرق العبادة بين الطائفتين وتأثر السفارديم بالذوق العبري في طقوسهم ، وحينما طرد يهود الأندلس اتجهوا الى تركيا واليونان وشمال افريقيا واتباع معظم يهود المنطقة طريقتهم في العبادة ، لذا اتسع نطاق دلالة المصطلح ليشمل كل اليهود الذين يتبعون التقاليد السفاردية في العبادة ، ويطلق المصطلح الآن على كل اليهود الذين ليسوا من أصل اشكنازي ، ومعنى السفارديم اليوم في إسرائيل من غفوة واضحة في جميع المجالات بينهم وبين الاشكناز مما ساعد في انتشار تسمية جديدة لهم باسم "إسرائيلي الثانية" .

* الشخصية اليهودية Jewish Character

هي افتراض أن هناك سمات أساسية ثابتة للشخصية القومية اليهودية لا تتغير بتغير الزمان والمكان ويشترك الصهاينة والمعادون للسامية معا في الإيمان بهذه المقولة ، فيؤمن المعادون للسامية أن اليهود شعب مدمر متأمر مستغل للآخرين كره بطبيعته ... الخ أما الصهاينة فيؤمنون أن اليهود شعب يعيش خارج أي تاريخ متمركزا حول يهوديته يتعبد فيها وهذا الافتراض الصهيوني / المعادي للسامية افتراض وهمي أثبتت العلوم الحديثة بطلانه .

* الشعب المختار Chosen People

الإيمان بأن " الشعب اليهودي " قد اختاره " الرب " دون الشعوب الأخرى مقولة أساسية في الدين اليهودي فقد جاء في سفر التثنية (٢/١٤) " لأنك شعب مقدس للرب الهك وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض " .

* الصابرا Sabra

كلمة عبرية مشتقة من الكلمة العربية " نبات الصبار " أو " التين الشوكي " ، وتطلق هذه الكلمة على جميع اليهود المولودين على

أرض فلسطين ، وتعبر " الصابرا " يخدم هدفا سياسيا صهيونيا هو
الإيهام بأن الصهر الاجتماعى لمختلف الأصول الحضارية لليهود
قد تحقق فى إسرائيل وتمثل فى جيل جديد هو جيل الصابرا •

* الصهيونية Zionism

حركة سياسية فى العصر الحديث تطالب بإعادة توطين اليهود
فى فلسطين (باعتبارها أرض الميعاد) كوسيلة لحل المسألة اليهودية
وكلمة صهيونية اشتقتها ناثان برنساوم من كلمة صهيون (جبل يقع
جنوب غرب القدس) ليصف بها هذا الاتجاه السياسى " الجديد "
بين صفوف اليهود وغيرهم ، وهو جديد فى أنه حول النزعات الماشيحانية
اليهودية التى بدأت فى الظهور منذ منتصف القرن السادس عشر كتعبير
عن بؤس اليهود وشقايتهم نتيجة لما يسمى بالمسألة اليهودية ، حولها
الى حركة سياسية ، كما حول التطلع الدينى الماشيحانى القديم الى
برنامج سياسى ، ويبدأ التاريخ المتعين لهذه الحركة على يد هرتزل
وفى المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ ، ولو أن الكتابات الصهيونية
المتناثرة وجدت قبل ذلك •

* صهيونية الدياسپورا Diaspora zionism

هى ايمان يهود الدياسپورا ببعض الجوانب الثقافية والدينية
من العقيدة الصهيونية مع اهمال الجوانب السياسية والاقتصادية
التي تتعارض مع وضع اليهود الجدد فى العالم الجديد وتحاول
صهيونية الدياسپورا المزاوجة بين العقيدة الصهيونية وبين الأيديولوجية
السياسية السائدة فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة فى الغرب •

* عيد يوم الغفران (يوم كيپور) Yom Kippur

بالعبرية " يوم كيپور " وهو أهم الاعياد اليهودية على الإطلاق
ويعتبر أقدس يوم فى السنة ويطلق عليه سبت الأسهات ، وكان كيپور

الكهنة في الماضي يذهب الى قدس الاقداس ويتقوه باسم الخالق
"يهوه" الذي يحرم نطقه تماما الا في هذه المناسبة ، ويصوم اليهود
خلال هذا العيد ليلا ونهارا ولا يقومون بأى عمل آخر سوى التعبد .

الفهود السود Black Panthers

منظمة بدأت في الظهور في الاحياء الفقيرة لمدينة القدس في
يناير ١٩٧١ كتعبير عن رفض اليهود الشرقيين لسياسة التمييز التي
يمارسها اليهود الغربيون ضدهم ، ويقود المنظمة عدد من أبناء مهاجري
الغرب برئاسة ابن هكربيل ، ومعظم القيادات جاءت من صفوف الشباب
الهامشي في المجتمع الاسرائيلي الذين لم يحظوا بنصيب وافر من التعليم
بسبب وضعهم الطبقي والعرقى فتحولوا الى مشردين لهم سوابق في
في سجل الشرطة مما حرمهم من أى عمل . واختيار الاسم "الفهود
السود" تشبه بحركة "الفهود السود" في أمريكا لأن اليهود الشرقيين
في إسرائيل - كما يقول قادة المنظمة - يشبهون الزنوج في أمريكا من
حيث التفرقة في المعاملة .

القراءون Karaites

طائفة يهودية اسمها عنان بن داود في العراق في أواخر
القرن الثامن ، وتتلخص مذهب القرائين في جعلهم للنص المقدس
المكتوب ، أى العهد القديم ، المرجع الأول والأخير والمنبع لكل عقيدة
أو قانون وكانت التوراة مازالت تسمى بالمقرء أى المقرؤة ومن هنا
جاءت تسميتهم بالقرائين . وقد هاجم القراءون التلمود وهدموه وفندوا
تقاليد واشتد الصراع بينهم وبين الحاخاميين الى حد إعلان كل
طائفة تكفير الأخرى ونجاستها .

القومية اليهودية Jewish Nationalism

لا ينظر اليهود الى أنفسهم على أنهم أعضاء في جماعة دينية
(كما هو الحال في جميع الديانات) وإنما ينظرون الى أنفسهم كجماعة

عائلية أو كيان متماسك يسمى " بنو إسرائيل " يربطه رباط روحي
(التوراة) بل ورباط عرقى ولغة مشتركة وتقاليد حضارية / تاريخية
مشتركة ، أى أنهم جماعة دينية وقومية فى ذات الوقت .

Knesset

الكنيست

كلمة عبرية تعنى حرفيا " مكان الاجتماع " ويسمى المعبد العبرى
" بيت هاكنيست " ، وتستخدم الكلمة فى إسرائيل للإشارة لمجلس
" البرلمان " الإسرائيلى وقد تم تكوينه لأول مرة فى فبراير ١٩٢٩ ويتكون
من ١٢٠ عضوا ، ويتم انتخاب أعضائه وفقا للنظام الانتخابى المعمورف
بالتمثيل النسبى من جانب كل المواطنين الذين تجاوزوا سن الثامنة
عشرة .

Kibbutz

الكيبوتس

كلمة عبرية تعنى " تجميع " أو تجمع " وتستخدم الكلمة فى الكتابات
الصهيونية للإشارة الى مستوطنة صهيونية تعاونية تضم جماعة من
المستوطنين الصهاينة يعيشون ويعملون سويا ، وقد أريد لها فى
البداية أن تعتمد على الزراعة بصفة أساسية وأن تكون وسائل إعاشتها
من مبان وآلات وغيرها مملوكة للجماعة بطريقة جماعية ، حيث لا مكان
للثروة أو الملكية الخاصة ، وحيث يشبع الأفراد حاجاتهم الخاصة
والعامة بطريقة جماعية .

American Council for Judaism

المجلس الأمريكى لليهودية

تنظيم يهودى معاد للصهيونية تأسس عام ١٩٤٣ فى الولايات
المتحدة لتشجيع اليهود فيها على الاندماج فى مختلف نواحي حياتها
المدنية والاجتماعية ، وقد اعتبر المجلس اليهودية عقيدة دينية وحسب
وليس انتماء قوميا ، وهاجم اتجاه إقامة دولة صهيونية سواء فى فلسطين

أو غيرها واعتبره اتجاها عنصريا ومضادا لمصالح اليهود أنفسهم ففى فلسطين والعالم أجمع وكان هذا الموقف - وغيره - سببا فى تعرض المجلس لهجوم عنيف من قبل الصهيونية .

* الماشيح والماشيحانية The Messiah and Messianism

مشتقة من الكلمة العبرية " مشح " أى مسح بالزيت المقدس ، ولكن معنى الكلمة تطور وتحدد فيما بعد فأصبحت تشير الى ملك من نسل داود سيأتى ليجمع شتات النبيين ويعود بهم الى صهيون ويحط بهم أعداء إسرائيل ويتخذ أورشليم عاصمة له ، ثم يبدأ الفردوس الذى سيديم ألف عام ، ومن هنا كانت تسمية " الأحلام الألفية " وقد ظهر العديد من مسن المشحاء الدجالين الأمر الذى يعد تعبيرا عن بؤس وشقاء اليهود خاصة فى أوروبا .

* المسألة اليهودية Jewish Question

هى مشكلة يهود شرق أوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر أثناء مرحلة الانتقال الاوروبى من الإقطاع الى الرأسمالية ، وفشلهم فى التأقلم مع الاقتصاد الجديد ، فالمسألة اليهودية إذن مسألة اقتصادية تخص يهود أوروبا ولم يعرفها أو يسمع بها يهود العالم العربى - - - - - والإسلامى .

* معاداة السامية Anti-Semitism

والسمنى الحرفى للكلمة الانجليزية ضد السامية ، وهو بهذا لا يقتصر على اليهود ولكن يشتمل على كل الأجناس السامية ، ولكن المصطلح يستخدم عادة للدلالة على معاداة اليهود ، وقد برز هذا المصطلح عام ١٨٧٩ ، ولكن الظاهرة قديمة تعود بدايتها الأولى الى أيام الإغريق وذلك بسبب ميل اليهود الى العزلة وغموض عقيدتهم ، وظلت هذه الظاهرة واضحة فى أوروبا حتى العصر الحديث ، وقد رأى هرتزل أن اللاسامية جريمة يحتملها كل إنسان .

Natore Karta

* نواطير المدينة

" ناطورى كارتا " بالعبرية ، تعتبر جماعة نواطير المدينة من أكثر فئات اليهود ارضوكسية ، فهم لا تعترف بدولة إسرائيل وتعبرها نصره " الفطرسة الآثمة " لأنها قامت على يد نفر من الكافرين الذين خرقوا مشيئة الله بعملهم وتدخلوا فى صنعهم بدلا من انتظار الماشيح الموعود ، فالماشيح المنتظر - فى رأى هذه الجماعة - هو وحده القادر على إقامة الدولة ، وجماعة نواطير المدينة تؤلف أقلية ضئيلة جدا ، إذ يبلغ تعدادهم حوالى ٣٠٠ عائلة تقطن بأكملها فى حى ميتاشعاريم بمدينة القدس ، وتعيش فى شبه عزلة عما عداها ولا تتكلم العبرية إلا فى تلاوة الصلوات والتعليم الدينى على حين تستخدم اليديشية فى المعاملات اليومية .

Histadrut

* الهستدروت

الاتحاد العام للعمال اليهود ، وقد أنشأ الصهاينة هذا الاتحاد العالمى لا يمثل أى طبقة عاملة وإنما ليساهم فى توطيئين المهاجرين الصهاينة وليبلور ونمى هو والوكالة اليهودية مجتمع الأقلية اليهودية فى فلسطين حتى يصبح بناء الاستيطان متكاملا توجد فى داخله طبقة عاملة . وقد نص قانون إنشاء الهستدروت على أنه يعتبر أداة لعملية الاستيطان ولتنشيط الهجرة اليهودية الى أرض فلسطين ومن هذا الهدف تعددت مجالات عمله وأدواته التنفيذية .

Decalogue, The Ten Commandments

* الوصايا العشر

أساس الشريعة اليهودية ، وقد سميت بالوصايا العشر لأنه جاء فى سفر الخروج (٢٦/٣٤) أن موسى كتب على " اللوحين كلمات العهد ، الكلمات العشر " واللوحان المشار إليهما هما لوحا العهد اللذان كتب عليهما الوصايا ، وقد حطهما موسى ونزل بهما ، ولكنهما حينما رأى اليهود يرقصون حول العجل الذهبى ألقى بهما فتحطما فكث عند ربه أربعين نهارا أو أربعين ليلة ؟ عاد بعدها بلوحين جديدين .

يهودى Jew

كلمة عبرية تشير الى الشخص الذى يعتنق الديانة اليهودية ، وهى مشتقة من كلمة "يهودا" وكارت الكلمة تشير فى بادى الامر الى سكان مملكة يهودا وحسب ، ولكن دلالتها اتسعت لتشمل كل اليهود ورغم أن كلمة "عبرانى" و "يهودى" مترادفتان فى كثير من اللغات الأوروبية فإن المصطلح الأول يشير أساسا الى قبائل العبرانيين القديمة بينما يشير المصطلح الثانى الى من يؤمن بعقيدة دينية ، ولكن تحت تأثير الصهيونية تداخل المصطلحان نظرا لتداخل المفاهيم "القومية" بالمفاهيم الدينية فى اليهودية .

اليهودى التائه Wandering Jew

يروى أن المسيح عليه السلام بينما كان يحمل صليبه طلب ممن إسكافى يهودى جوعا ماء يبرى بها عطشه ولكن الإسكافى رفض أن يعطيه وأهانته فحلت على اليهودى لعنة تجعله يجوب بقاع الأرض الى أن يعود المسيح مرة أخرى ومن هنا سمي "باليهودى التائه" . وقد بدأت الأساطير المستوحاة من هذه الشخصية الغربية فى الظهور فى القرن الثالث عشر ، فكانت تظهر الشائعات من آونة لأخرى ومن مكان لآخر بأن اليهودى التائه قد شوهد يتجول فى هذا المكان أو ذاك وقد استغل تراث معاداة السامية هذه الصورة فى ترسيخ سلبيات مايسمى "بالشخصية اليهودية" فى الوجدان الشعبى .

اليهودية الارثوذكسية Orthodox Judaism

من أهم المذاهب اليهودية فى العصر الحديث وهى تعد رد فعل رجعى للتيارات الاستنارية والإصلاحية بين اليهود . والتوراة حسب تصور الارثوذكس هى كلام الله ، كتبها حوفا حوفا ، قيمها خالدة أزلية تنطبق على كل العصور ولولا التوراة لما تحقق وجود إسرائيل ، وعلى "الشعب اليهودى" اتباع هذا الكتاب المقدس الى أن يأتى وحى

Jewish Agency

* الوكالة اليهودية :

الساعد التنفيذي للحركة الصهيونية ، بل إن اسمها الحقيقي هو المنظمة الصهيونية العالمية /الوكالة اليهودية ، ويشير النصف الأول من المصطلح الى المنظمة الصهيونية في علاقتها بالأقليات اليهودية في العالم وفي نشاطها الأيديولوجي ، أما النصف الثاني فهو يشير الى نشاطها الاستيطاني الذي يتعامل مع الواقع الفلسطيني . ولقد نصت المادة الرابعة من صك الانتداب البريطاني على فلسطين على ضرورة الاعتراف بوكالة يهودية تتعاون مع سلطات الانتداب فيما يتعلق بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وعند قيام إسرائيل تحول جهاز هذه الوكالة الى الجهاز الحكومي لإسرائيل .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا : المرحليّات :

- | | | |
|------|-----------------------|--|
| ١ - | الفريد فـيـج : | النار والزيتون ، مجلة المسرح ع ٦٩ ،
القاهرة سنة ١٩٢٠ . |
| ٢ - | حسين مؤنس : | ثم غاب القمر (مقتبسة) مكتبة مصر
القاهرة سنة ١٩٥٦ . |
| ٣ - | رشاد رشدي : | الزهور لاتذبل أبدا ، مجلة المسرح
ع ٤٢ القاهرة سنة ١٩٦٧ . |
| ٤ - | _____ : | محاكمة عم أحمد الفلاح ، مختارات
الجديد ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٧٤ . |
| ٥ - | سعد الدين وهبة : | رأس العش ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤ . |
| ٦ - | شتاينبيك : | أقول القمر ، ترجمة منير بعلبكسي
دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٥٤ . |
| ٧ - | صلاح راتب : | ملحة من سيناء (مجموعة من وحى
أكتوبر) الهيئة المصرية العامة
للكتاب القاهرة سنة ١٩٧٥ . |
| ٨ - | صلاح عبد السيد : | الجرح يغنى (مجموعة الارشفي) ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة
سنة ١٩٨٢ . |
| ٩ - | عبد الرحمن الشرتاوى : | وطنى عكا . دار الشروق ، القاهرة
سنة ١٩٧٠ . |
| ١٠ - | علي أحمد باكثير : | شيلوك الجديد مكتبة مصر ط ٣ القاهرة
سنة ١٩٨٥ . |

ثانيا - المراجع العربية :

- ٢٢ - ١٠١ . ريتشاردز : مبادئ النقد الأدبي . ترجمة
د . مصطفى بدوي . المؤسسة المصرية
العامة . القاهرة سنة ١٩٦١ .
- ٢٣ - إبراهيم حماد (دكتور) : معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية
دار الشعب ، القاهرة ، سنة ١٩٧١ .
- ٢٤ - إبراهيم نصحي (دكتور) : تاريخ مصر في عصر البطالة . مكتبة
النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٦ .
- ٢٥ - أرسطو طاليس : فن الشعر . ترجمة عبد الرحمن بدوي
دار الثقافة بيروت . بدون .
- ٢٦ - أبو الأعلى المودودي : حقوق أهل الذمة . كتاب المختار
القاهرة . بدون .
- ٢٧ - أحمد المعدنسي : الالتزام في المسرح الشعري . رسالة
ماجستير ، جامعة عين شمس .
- ٢٨ - أحمد شلبي (دكتور) : اليهودية ط ٧ مكتبة النهضة
المصرية القاهرة سنة ١٩٨٤ .
- ٢٩ - أحمد العشري (دكتور) : المسرحية السياسية في الوطن العربي
سلسلة اقرأ ، أكتوبر سنة ١٩٨٥ .
- ٣٠ - أحمد عطية الله : القاموس السياسي ط ٤ دار النهضة
العربية القاهرة سنة ١٩٨٠ .
- ٣١ - أحمد غنيم وأحمد أبوكف : اليهود والحركة الصهيونية في مصر
دار الهلال . القاهرة سنة ١٩٦٩ .
- ٣٢ - أسعد زوق : المجلس الأمريكي لليهودية . دراسة
في البديل اليهودي للصهيونية
دراسات فلسطينية بيروت سنة ١٩٧٠ .

- ٣٣ — أشرف راضي : الصراع الطائفي في التجمع الصهيوني
دار البیادر ، القاهرة سنة ١٩٨٧ •
- ٣٤ — اكزن (بنيامين) : التخطيط في اسرائيل ، ترجمة
بسام أبو غزالة ، دراسات فلسطينية
بيروت سنة ١٩٦٧ •
- ٣٥ — الياس زين (دكتور) : هجرة الأدمغة والهجرة المضادة من
إسرائيل ، مركز الأبحاث الفلسطينية
بيروت سنة ١٩٧١ •
- ٣٦ — أمين سامي الغمراوي : لهذا أكره إسرائيل • دار النهضة
العربية القاهرة سنة ١٩٦٤ •
- ٣٧ — أمين العيوطي (دكتور) : دراسات في المسرح مكتبة الانجلو
مصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ •
- ٣٨ — أمين هويدي : الصراع العربي الإسرائيلي بين الراجع
التقليدي والراجع النووي • دار المستقبل
العربي ط ٢ القاهرة سنة ١٩٨٣ •
- ٣٩ — أيجري ، لايسوس : فن الكتابة المسرحية • ترجمة
دربني خشبة • الانجلو المصرية
القاهرة • بدون •
- ٤٠ — بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة وتقديم محمد خليفة التونسي
سلسلة كتب سياسية (٥) • القاهرة
سنة ١٩٥٧ •
- ٤١ — بسفيلد (الابن) روجر • فن الكاتب المسرحي • ترجمة دربني
خشبة • دار نهضة مصر • القاهرة
سنة ١٩٧٨ •
- ٤٢ — بلاص ، شمعون : الأدب العربي في ظل الحرب (٤٨)
١٩٧٣) ترجمة زكي درويش • دار
المشوق شفا عمرو سنة ١٩٨٤ •

- ٤٣ — بولتون ، مارجورى : تشرح المسرحية • ترجمة ديسنى
خشبة ، الأنجلو المصرية • القاهرة
بدون •
- ٤٤ — جاذبية صدقى : لمحات من المسرح العالمى
سلسلة اقرا ٣٢٥ القاهرة • سنة
١٩٧٠ •
- ٤٥ — جانسن (ج هـ) : الصهيونية واسرائيل وآسيا • ترجمة
راشد حميد • كتب فلسطينية
(٣٩) بيروت سنة ١٩٧٢ •
- ٤٦ — جلال العشرى : دقات المسرح ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب • القاهرة • سنة
١٩٧٣ •
- ٤٧ — جمال حمدان (دكتور) : اليهود انثروبولوجيا • دار الكاتب
العربى • القاهرة • سنة ١٩٦٧ •
- ٤٨ — حسن ظاظا (دكتور) : الفكر الدينى الاسرائيلى — أطواره
ومذاهبه • معهد البحوث
والدراسات العربية • القاهرة
سنة ١٩٧١ •
- ٤٩ — حسن فتح الباب : المخدرات سلاح الاستعمار
والرجعية • دار الكاتب العربى
القاهرة •
- ٥٠ — حسن محسن : المؤثرات الغربية فى المسرح
المصرى المعاصر • دار النهضة
العربية • القاهرة • سنة ١٩٧٩ •
- ٥١ — حسين مؤنس (دكتور) : كيف نفهم اليهود • كتابك • (٥٠)
القاهرة سنة ١٩٧٨ •

- ٥٢ - **حسين محمد رضا** : **الدراما بين النظرية والتطبيق**
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت • سنة ١٩٧٢ •
- ٥٣ - **دومب ، ريزا** : **صورة العربي في الأدب اليهودي**
ترجمة عارف عطاري ، دار الجيل
عمان • سنة ١٩٨٥ •
- ٥٤ - **رايس ، ألبر** : **المسح الحي** • ترجمة داود حلمي
السيد • دار نهضة مصر • القاهرة
سنة ١٩٦٥ •
- ٥٥ - **رفعت السعيد (دكتور)** : **اليسار المصري وقضية فلسطين** • دار
الفارابي • بيروت سنة ١٩٧٤ •
- ٥٦ - **سامي منير (دكتور)** : **المسح المصري بعد الحرب العالمية
الثانية** • الهيئة المصرية العامة
للكتاب • القاهرة • سنة ١٩٧٩ •
- ٥٧ - **سناه صبرى** : **الجيتو اليهودي** • رسالة ماجستير
جامعة عين شمس •
- ٥٨ - **سهم نصار** : **اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم**
١٨٧٧ - ١٩٥٠ • العربي للنشر
القاهرة سنة ١٩٨١ •
- ٥٩ - **السيد يس** : **الشخصية العربية بين صورة الذات
ومفهوم الآخر** • دار التنوير • بيروت
سنة ١٩٨١ •
- ٦٠ - **شحاته هارون** : **يهودي في القاهرة** • دار الثقافة
الحديثة • القاهرة • سنة ١٩٨٧ •
- ٦١ - **صلاح فضل (دكتور)** : **منهج الواقعية في الابداع الأدبي**
المعارف ط ٢ • القاهرة سنة ١٩٨٠ •

- ٦٢ — الطاهر مكي (دكتور) : دراسات أندلسية • دار المعارف
القاهرة سنة ١٩٨٠ •
- ٦٣ — ظفر الاسلام خان : التليود • تاريخه وتعاليمه • دار النفائس
ط ٦ بيروت سنة ١٩٦٥ •
- ٦٤ — عبد الحميد متولسى : نظام الحكم فى إسرائيل • معهد
الدراسات العربية • القاهرة سنة
١٩٦٣ •
- ٦٥ — عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية • ج ١ •
مطابع الشعب ط ٣ • القاهرة
سنة ١٩٦٩ •
- ٦٦ — عبد العزيز حموده : البناء الدرامى ، الانجلو المصرية
القاهرة • سنة ١٩٧٧ •
- ٦٧ — _____ : المسوح السياسى • الانجلو المصرية
القاهرة •
- ٦٨ — عبد القادر القط (دكتور) : من فنون الادب المسرحية • دار
النهضة العربية • بيروت • سنة
١٩٧٨ •
- ٦٩ — عبد الكريم الخطيب : اليهود فى القرآن الكريم • دار
الشروق ط ٢ سنة ١٩٨٠ •
- ٧٠ — عبد الوهاب الكيالى : الكيبوتس • المزارع الجماعية • مركز
الابحاث الفلسطينية • بيروت •
- ٧١ — عبد الوهاب المسيرى (دكتور) : الأيدلوجية الصهيونية (جزآن)
عالم المعرفة • الكويت سنة ١٩٨١ •
- ٧٢ — _____ : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية
رؤية نقدية • مركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية بالاهرام • القاهرة
سنة ١٩٧٥ •

- ٧٣ - عز الدين اسماعيل (دكتور) : قضايا الانسان في الادب المسرحي
المعاصر • دار الفكر العربي
القاهرة سنة ١٩٨٠ •
- ٧٤ - عصام بهي (دكتور) : الشخصية الشريرة في الادب المسرحي
الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة سنة ١٩٨٦ •
- ٧٥ - علي ابراهيم عبده (دكتور) وخيرية قاسميه :
يهود البلاد العربية • دراسات
فلسطينية بيروت سنة ١٩٧١ م
- ٧٦ - علي احمد باكثير : فن المسرحية من خلال تجاربي
الشخصية • مكتبة مصر • القاهرة
ط ٣ • سنة ١٩٨٥ •
- ٧٧ - علي شلش (دكتور) : اليهود والماسون في مصر • الزهراء
للإعلام العربي • القاهرة سنة
١٩٨٦ •
- ٧٨ - عمر الدسوقي (دكتور) : المسرحية ط ٤ دار الفكر العربي
القاهرة • سنة ١٩٦٦ •
- ٧٩ - عواطف عبد الرحمن (دكتور) : الصحافة الصهيونية في مصر
(١٨٩٧ - ١٩٥٤) دار الثقافة
الجديدة • القاهرة سنة ١٩٨٠ •
- ٨٠ - فؤاد حسين (دكتور) : الادب اليهودي المعاصر • معهد
البحوث والدراسات العربية • القاهرة
سنة ١٩٧٢ •
- ٨١ - فائق عبد القادر : ازدهار وسقوط المسرح المصري •
كراسات الفكر المعاصر • القاهرة
سنة ١٩٧٩ •

- ٨٢ - فارق عبد القادر : مقدمة مسرحية " نحن والولايات المتحدة " تأليف بيتربروك • روايات الهلال • القاهرة سنة ١٩٧١ •
- ٨٣ - فريد ، سيحون : موسى والتوحيد ، ترجمة عبد المنعم الحفنى • الدار المصرية للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٧٢ •
- ٨٤ - الفكرة الصهيونية • النصوص الأساسية : ترجمة لطفى العابد وآخرون • مركز الأبحاث الفلسطينية • بيروت سنة ١٩٧٠ •
- ٨٥ - قاسم عبده : اليهود فى مصر منذ الفتح العربى حتى الغزو العثمانى • المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت سنة ١٩٨٠ •
- ٨٦ - قدرى حفى (دكتور) : دراسة فى الشخصية الإسرائيلية (الاشكازيم) مطبعة جامعة عين شمس • سنة ١٩٧٥ •
- ٨٧ - تجسيد الوهم دراسة سيكولوجية للشخصية الاسرائيلية • مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالأهرام • القاهرة • سنة ١٩٧١ •
- ٨٨ - الكتاب المقدس : العهد القديم •
- ٨٩ - كمال اساعيل : الشعر المسرحى فى الأدب المصرى المعاصر • الهيئة المصرية العامة للكتاب • القاهرة • سنة ١٩٨١ •
- ٩٠ - لاندوا ، يعقوب : دراسات فى المسرح والسينما عند العرب ترجمة أحمد المغازى الهيئة المصرية العامة للكتاب • القاهرة سنة ١٩٧٢ •

- ٩١ - لطفى الخولسى : حوار مع راسل وسارتر اقرأ (٣١٠)
القاهرة أكتوبر سنة ١٩٦٨ •
- ٩٢ - _____ مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى
عام ٢٠٠٠ كتاب الفكر (٨) ، القاهرة
سنة ١٩٨٦ •
- ٩٣ - ليون ، ابراهيم : المفهوم المادى للمسألة اليهودية
ترجمة عماد نبيهض • دار الطليعة
بيروت • سنة ١٩٦٩ •
- ٩٤ - ماركس ، كارل : المسألة اليهودية ، ترجمة محمد
عيتانى • مختارات من السياسة
العالمية - ١ - القاهرة •
- ٩٥ - مجدى وهبة ، وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية
مطبعة لبنان • بيروت سنة ١٩٧٩ •
- ٩٦ - محمد غنيمى هلال (دكتور) : الأدب المقارن • دار نهضة مصر
ط ٣ القاهرة بدون •
- ٩٧ - _____ النقد الأدبى الحديث • ج ١ نهضة
مصر • القاهرة •
- ٩٨ - محمد مندور (دكتور) : المسرح العالمى • دار نهضة
مصر • القاهرة • بدون •
- ٩٩ - _____ فى المسرح المصرى المعاصر • دار
نهضة مصر • القاهرة سنة ١٩٧١ •
- ١٠٠ - محمود رامين العالم : الوجه والقناع فى المسرح المصرى
دار الآداب بيروت سنة ١٩٧٣ •
- ١٠١ - مصطفى زبور (دكتور) فى النفس • مطبعة جامعة عين
شمس • القاهرة • بدون •
- ١٠٢ - مصطفى السعدنى : أمريكا واليهود ، كتب إسلامية المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية • القاهرة سنة
١٩٦٧ •

- ١٠٣ - مصطفى عبد العزيز سر : إسرائيل ويهود العالم دراسات
فلسطينية بيروت سنة ١٩٦٦ •
- ١٠٤ - القريزى : خطط المقرزى ج ١ ، ج ٢ مؤسسة
الحلبى وشركاه القاهرة •
- ١٠٥ - منى كاظم (دكتور) : المسيح اليهودى (نحن وهم)
دار الاتحاد ابو ظبى سنة ١٩٨٦ •
- ١٠٦ - موسوعة القضية الفلسطينية : ج ٢ مركز دراسات الشرق
الأوسط • القاهرة •
- ١٠٧ - ميليت ، فود • ب وجير الدين بنتلى :
فن المسرحية • ترجمة صدقى
خطاب • دار الثقافة بيروت
سنة ١٩٨٦ •
- ١٠٨ - نبيل راغب (دكتور) : الدراما الواقعية عند نعمان عاشور
الهيئة العامة للكتاب • القاهرة
سنة ١٩٨٢ •
- ١٠٩ - نيكولا الأراذس : علم المسرحية • ترجمة درينى
خشبة • مكتبة الاداب • القاهرة
سنة ١٩٥٨ •
- ١١٠ - هانى الراهب (دكتور) : الشخصية الصهيونية فى الرواية
الانجليزية ، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر بيروت سنة
١٩٧٨ •
- ١١١ - هيلدا شعبان صايغ : التمييز ضد اليهود الشرقيين فى
اسرائيل • مركز الابحاث الفلسطينية
بيروت سنة ١٩٧١ •

- ١١٢ — وجيه حسن قاسم :
نظرة جديدة في التحالف الصهيوني
الامبريالى • دارالبيادر • القاهرة
سنة ١٩٧١ •
- ١١٣ — وحيد عبد الحميد :
اليهود العرب فى اسرائيل • احتمالات
العودة واتجاهاتها مركز الدراسات
السياسية والاستراتيجية بالاهرام
سنة ١٩٧٨ •
- ١١٤ — وليم فهمسى :
الهجرة اليهودية الى فلسطين
معهد البحوث والدراسات العربية
القاهرة • ١٩٧١ •
- ١١٥ — يسرى خميس (دكتور) :
مقدمة مسرحية مارا — صاد • روائع
المسرحيات ٤٣ القاهرة سنة ١٩٦٧ •

ثالثا : — كتب ومقالات بالانجليزية —

1. Balls , Shimon . " The Israel image in Arabic literature The Jewish Quarterly 2 1977.
2. Bloor , J. Stephen, The Jew in American Dramatic Literature . New York Univesity 1950.
3. Comos, Juan, The Myth of the Jewish Race, Issues. A.C.J. ,Winter, 1975.
4. Encyclopaedia Britineca, Vol. 13 University of Chigago.
5. Goitein, S.D., Jews and Arabs, Their Contacts through Ages.
6. Granville, Wilfred, The theater Dictionary.
7. Judaica Vol. 6.
8. Landau, J. The Jew in the Nineteenth Chentury in Egypt.
9. Marlowe, Christopher. The Jew of Malta, Manchester University Press.
10. Modder, Montugo F. The Jew in early English literature Hermon Press, New York 1972.
11. Shakespear, William, The Marchent of Venice, The Comedies of Shakespear Vol. 2 . The modern library, New York.

رابعاً : الدوريات :

- ١ - اتجاهات الصحافة الاسرائيلية • مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الاهرام • القاهرة • سنة ١٩٥٢ •
- ٢ - الاخبار القاهرة ١٩٨٨/٤/٦ •
- ٣ - الاهرام ١٩٨٨/٣/٢٩ •
- ٤ - الثقافة ع ٧٤ القاهرة سنة ١٩٧٩ •
- ٥ - شئون فلسطينية •
- ٦ - عالم الفكر ع ١٤ ١ الكويت سنة ١٩٨٣ م •
- ٧ - مجلة المسرح •

الفهرست

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٧	تمهيد تاريخي
٢٥	الفصل الاول : المقدمة المنطقية
٩٦	الفصل الثاني : الشخصية النمطية
١٥٥	الفصل الثالث : الشخصية المتطورة والشخصية المتحولة ..
٢١٠	الفصل الرابع : الصراع (صراع عربي - اسرائيلي) ...
٢٧٢	الفصل الخامس : الصراع (صراع يهودي - يهودي) ...
٣٣٠	الخاتمة
٣٣٧	معجم بالمصطلحات اليهودية والصهيونية الواردة بالبحث
٣٥٤	المصادر والمراجع
